من اجل خطوة الى الامام

على طريق الجهاد المبارك

من اجل خطوة الى الامام
على طريق الجهاد المبارك
من اجل خطوة الى الامام
على طريق الجهاد المبارك
من اجل خطوة الى الامام
على طريق الجهاد المبارك
من اجل خطوة الى الامام
على طريق الجهاد المبارك

النادي الشبابي

سعيد وهبي

من أجل خطوة إلى الأمام

على طريق الجهاد المبارك

النادي الشبابي

الطبعة الاولى

١٩٧٨ م
١٣٩٨ هـ

حقوق الطبع محفوظة

النادي الشبابي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن قصوراً كبيراً قد طرأ على التصورات العامة للمسلم في شأن الاسلام وصلته به وقد انعكس هذا القصور الكبير على كل مواقف المسلم ومواقعه نتيجة لذلك فأصبحت له تصورات عجيبة غريبة ومواقف ومواقع كذلك لا تنسجم أدنى انسجام مع أية نظرة صحيحة للاسلام ولا مع أي فهم صحيح لمركز الانسان في هذا الكون ٠

إن الاسلام الذي هو الاجابة الصحيحة على كل سؤال للانسان ، وإن الاسلام الذي يصوغ الانسان كل صياغة صحيحة في عقله وقلبه ونفسه وعمله وسلوكه قد انحسر في قلب المسلم انحساراً هائلا ترتب عليه خلل كبير في كل شيء وهو موضوع سترى مظاهره مرة بعد مرة ويكفي هنا أن نقول :

إن من مظاهر هذا الوضع المريض أنك تجد البعض ممن يعتبرون أنفسهم مسلمين بحكم الإرث ينحرفون عن الاسلام في شأنهم كله

فيكون وضعهم كله منحرفاً بل يصل بهم الأمر الى أن يتبنى كل ما هو كافر وضال وتجدهم يحاربون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل شيء ، ومع ذلك فإنهم يريدون من الله عز وجل أن يكون تحت أمرهم وبتصرفهم ويسبون ويكفرون إذا لم يهيىء لهم الله عز وجل كل الأمور كما يريدون فكأن الله عز وجل هو العبد والانسان هو الرب .

ومن مظاهر هذا الوضع المريض أنك تجد بعض خطباء المسلمين وعلمائهم يقولون بعد كل هزيمة وكارثة : أيها الناس تجب العودة الى الله والتوبة اليه ثم يسكتون عما تنبغي التوبة منه وكيف تكون العودة إلا القليل وحتى هذا القليل فإنه يفسر في دوائر دون دوائر ، أما أن يوجد من يقول للناس : إن التوبة تعني الكفر بالطاغوت والفرار من الشرك والكفر والبعد عن مفاهيم الجاهلية وقيمها وترك كل عقيدة ومنهج يخالفان منهج الاسلام وعقيدته والعودة الى الالتزام الكامل بالاسلام عقيدة وعبادة وشعائر وشرائع فهذا نادراً ما يكون .

ومن مظاهر هذا الوضع المريض أنك تجد الشكوى من الداء والبعد عن الدواء . فمثلا تجد الكلام كثيراً والشكوى كبيرة عن الفرار من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والشكوى كثيرة من أمراض الفرقة والخلاف والتشتت ولكن نادراً ما تجد من يشرح المرض ويعرف أبعاده ويوضح الطريق الى الشفاء منه ويحاول أن يوجد كل الظروف المناسبة للتخلص منه . وهكذا تجد وضعاً مستمراً على غاية من السوء ومن ثم كان لا بد من مسح شامل وفهم شامل من أجل صياغة جديدة للمسلم وللأمة المسلمة ومن أجل انطلاقة جديدة للحركة الاسلامية ومن أجل تحرك اسلامي معاصر سليم ومكافىء ، إذ بقدر ما تجد شكوى مريرة من كل شيء ، وبقدر ما تجد رغبة صحيحة في التغيير وبقدر ما تجد اندفاعات عاطفية في الطرق الخاطئة

الكثيرة ، وبقدر ما تجد محاولات للركوب على متن أي ريح لتغيير أوضاع الذلة والتخلف ، بقدر هذا كله تجد عمى عن الرؤية الواضحة والمسح الكامل لما تنبغي معرفته مع انعدام التحرك الشامل على ضوء ذلك • تجد مسلماً تتضح لديه ضرورة قضية ما ، آخر يفطن لقضية أخرى ، وآخر يفطن لجانب ، والمسلمون يحتاجون لهذا وهذا وذاك وأمثل ذلك كثير ، ولكن ما محل ذلك كله في مجموع المراد ومن الذي ينسق بين الجميع ؟ ومن الذي يضع الامور في مواضعها ؟ والحركة الاسلامية تحتاج الى الاجابة عن آلاف الأسئلة لتحقيق أهدافها وتحتاج الى أمور كثيرة حتى تصبح هذه الاهداف موضع التطبيق والتحقيق • وكل ذلك يقتضي رؤية واضحة ومسحاً كاملاً وحركة شاملة صحيحة ومستقيمة على ضوء ذلك •

وقد ابتليت منطقتنا بثقل الحركة الصهيونية وآثارها ، كما ابتليت في كل منطقة إسلامية بعقدة من العقد وما أكثرها ، وفي كل عقدة ابتليت بها هذه الأمة تظهر شدة الخبث والدهاء عند الخصوم وتظهر القدرة الكبيرة لدينا على التخريب • فالحركة الصهيونية مثلا التي استطاعت أن تجمع بين الاشتراكية والديمقراطية وبين وحـدة الشعب الواحد وتفجير طاقاته من خلال الوكالة اليهودية والهيستدروت مـع وجود تعدد الاحزاب يقابلها عندنا أعمال لا حصر لها من كبت طاقات شعبنا وقتل روحه ، وفي وضع كهذا تكثر ردود الفعل الخاطئة وقصيرة النظر كما يكثر تعلق الأعين بالسراب والاوهام ، ولكن ما ان يخطو واحد على الطريق خطوات حتى يكتشف كثافة الوهم الذي غرق فيه فتتمزق حجب الوهم عن عين بصيرته فإما أن ييأس وإما أن ينحرف الى طريق آخر مسدود ، وقليل هم الذين يدركون أنه لا بد من الحل الشامل الذي بدايته السير في الطريق الصحيح ولو كان طويلاً ، ويدركون أن

هذا السير ليس أمامنا خيار فيه فإما أن نبدأ الآن وإما أن نبدأه في المستقبل القريب أو البعيد .

والمشكلة العظمى أن هذه الاوضاع السيئة التي تصاب بها الامة المسلمة التي تملك وحدها تقديم صبغة الحق الوحيدة للعالم ، ويصاب بها المسلم الذي يملك وحده شفاء أمراض هذا العالم ومن ثم فإن المفارقة في غاية البشاعة ، فالمسلم الذي ينبغي أن يقدم للآخرين الحق والشفاء أصبح محل تلقّ للباطل والأمراض وأصبح غيره يقدم له الباطل على أنه حق ، والمرض على أنه شفاء ، وأصبح هو يصدق ذلك .

ومع كل ما مر ، فهناك رغبة ملحة عند أعداء الاسلام في استئصال الاسلام وعدم إعطائه أي فرصة في الظهور ، حتى إنك لتجد تناقضات عجيبة على مسرح حياة هذه الامة وخذ على ذلك هذه الأمثلة :

١ ــ إن هناك دعوات قومية وصلت الى الحكم وأوجدت جبهات تحكم من خلالها ، ومن العجيب أن كل كافر عندها يمكن أن يكون شريكاً في الحكم وكل فئة يمكن أن تكون حليفاً إلا الاسلام والمسلمين ، ولو افترضنا أن المانع من إشراك الحركات الاسلامية في الحكم هو أمميتها فلماذا يشرك الشيوعيون وهم أمميون وعملاء بنفس الوقت ، وهذه مجرد ملاحظة وإلا فالحركة الاسلامية تأبى أن تساوم على الاسلام كما تأنف أن تقارن بالشيوعية أو غيرها من دعوات الكفر أممية كانت أو قومية أو اقليمية .

٢ ــ من خلال الصحف القومية تجد حملات عنيفة على كل ميزة للغة العربية حتى إن المزايا تصبح عند هؤلاء نقائص فهم يدعون لاجتثاثها ، فكيف يجمعون بين إيمانهم بالقومية وبين مثل هذا ؟ ولكنه الكفر ليس غير .

٣ ــ وفي العالم الاسلامي كله تقريباً لا تجد نظام حكم يسمح للمسلمين بإقامة أحزاب سياسية إسلامية مع أن أوربا نفسها وهي العلمانية في جوهر أنظمة حكمها لا تجد فيها بلداً تقريباً إلا وفيه حزب سياسي مسيحي • هذا مع أن المسيحية لا تتكلم إلا في جوانب قليلة مما يقرره الاسلام •

كل هذا يدلك على أن هناك رغبة ملحة عند المخططين العالميين وعملائهم لاستئصال الاسلام على هذه الارض ، وأمام هذا فلا بد من إدراك ووعي لما ينبغي فعله •

فإذا عرفنا أن هناك قصوراً في التصورات وقصوراً في العلاج وقصوراً في الرؤية الشاملة وقصوراً في الحركة على ضوئها • وعرفنا ما يراد بنا ولنا نحن المسلمين ، إذا عرفنا ذلك كله وأدركنا أن هذا كله يقتضي منا ما يقابله وما يكافؤه ، وأن بداية ذلك كله إتقان البناء وإحسانه ندرك بعض الأسباب الحاملة لنا على إصدار هذه السلسلة / في البناء / التي تشكل هذه الرسالة جزءاً من أجزائها •

ولقد حاولنا في هذه السلسلة أصلاً أن تكون كل رسالة منها تخدم غرضاً في قضية البناء أو تحقق هدفاً مرحلياً أو شاملاً ، وهذه الرسالة لا تخرج عن ذلك وتترك تفسير ذلك الى رسائل أخرى •

وقد بدأت الرسالة بالبديهيات الى أن وصلت الى وضع الخطوط الكبرى لما يريد المسلمون أن يحققوه على أرض الواقع المعاصر مارة بعرض الصفات المشتركة للدعوات الكافرة والصفات الرائعة لدعوة الانبياء وتبيان جوانب المرض المعاصرة في أمتنا ونقطة البداية في إزالتها متحدثة عن الواقع المر لهذه الأمة مبينة أهم الملاحظات التي ينبغي أن تلاحظها الحركة الاسلامية محددة نوع النظام المرحلي

الذي تحرص الحركة الاسلامية على وجوده ، وتختم الرسالة بمقارنة بين ما يريده الكافرون وما نريده من أجل أن يبصر الأعشى .

وإنا لنطمح أن تؤدي هذه السلسلة في أجزائها العشر :

١ ــ جند الله ثقافة وأخلاقاً .

٢ ــ المدخل .

٣ ــ فقه التكوين والعمل .

٤ ــ فقه التنظيم والتنفيذ .

٥ ــ جولات في الفقهين الكبير والأكبر .

٦ ــ تصوف الحركة الاسلامية المعاصرة .

٧ ــ القواعد في البناء .

٨ ــ على طريق الجهاد الأصعب الاطهر .

٩ ــ في التنفيذ فقط .

١٠ــ هذه الرسالة .

إنا لنطمح أن تؤدي هذه السلسلة دورها في إقامة دولة الله ونصرة شريعة الله، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوحيد أمة الله ، وإقامة الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا في العالمين ولتكون كلمة الذين كفروا هي السفلى بإذن الله .

هذا ونحب أن نقول لكل الكافرين والمنافقين والفاسقين في العالم: إننا لواثقون برغم كل الظروف الصعبة القاسية التي نمر بها أن دولة عالمية للإسلام ستقوم وسيرى العالم هذا كله حقيقة قائمة بإذن الله وسنعمل لإقامة هذه الدولة بثبات وعميق إدراك لتكون خطواتنا دائماً

الى الامام ، وإن معركة يدبر لأهلها رب العالمين لا شك أن أهلها منصورون إذا أدوا حق الله عليهم • ونقول لكل الكافرين :

« إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون » •

كما نحب أن نقول منذ الابتداء لثلاثة أصناف من أبناء المسلمين كلمة صريحة هذه الاصناف الثلاثة هي :

ـ المسلم الذي يحرص على أن يحتفظ بلقب شرف مزعوم يخلعه عليه الكافرون ـ والمسلم الذي يحرص على الدنيا من خلال الانخراط تحت ألوية الكفر وكأن الدنيا ليست إلا للكافرين ـ والمسلم الذي يصدّق الخونة والكاذبين عندما يتهمون المسلمين الأمناء الصادقين •

نقول للأول : أنت يا صاح كما قال القرآن عن طبقة : « سماعون للكذب أكالون للسحت » وأنت كما قال الله عز وجل : « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء » • وأنت كما قال الله عز وجل : « يقولون للذين كفروا ـ أي عن الذين كفروا ـ هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » إن المسلم لا يحتاج الى لقب شرف من كافر لأن الكافرين في العالم كله أخس من الحيوانات قال تعالى : « إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا » •

ونقول للثاني : إن الله عز وجل يقول : « من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » ويقول : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » والله عز وجل يقول : « من كان يريد العاجلة عجلنا له منها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن

فأولئك كان سعيهم مشكوراً » • والله عز وجل يقول : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » •

ونقول للثالث : أيها الانسان أين أنت من قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » فإذا كان الفاسق لا يصدق في أمر المسلمين فكيف نصدق كافراً أو منافقاً في شأن مسلم ؟ أي انك وقعت فيما ذكره الحديث الشريف : (إن بين يدي الساعة سنين خداعة يؤتمن فيها الخائن ويخوّن الأمين ، ويُصدّق فيها الكاذب ، ويكذّب فيها الصادق) والى الله المشتكى • ولنبدأ عرض أبحاث الرسالة •

* * *

الباب الأول

البديهيّات الأولى

البديهيات الاولى

كثيراً ما يحدث أنك تجد مسلماً يحب الاسلام ويلتزم بعض شعائره حتى إذا طرحت عليه موضوعاً من الموضوعات البديهية في الاسلام استغربه واستنكره ، ومن ثم تبقى بين المسلمين هوات هائلة إذ كيف يتم تفاهم ولقاء والبديهيات منقوصة ؟ وكثيراً ما يحدث نتيجة لذلك أن تجد مسلماً يسلم نفسه للعمل تحت ألوية الكفر ولا يشعر أن ذلك يتناقض مع الاسلام وكثيراً ما تجد مرتداً عن الاسلام قد فاء الى الاسلام ولكنك عندما تدارسه أو تناقشه أو تسمع أفكاره تجده قد انتقل من كفر كلي الى كفر جزئي بسبب غيابه عن البديهيات ، وأحياناً تجد مسلمين مقبلين إقبالا عظيماً على الاسلام علماً وعملا وسلوكاً ، ومع هذا تغيب عنهم بعض البديهيات فتراهم في جانب في القمة وفي الجانب الآخر في فراغ . وأحياناً تجد مسلماً لا تغيب عنه بديهيات الاسلام ولكنه لا يبني على ما تستلزمه ، وهذا كله يترك آثاره السيئة على وضع المسلمين فيستنفد طاقات ويهدر أوقاتاً ، ويحدث مصادمات ويجعل مردود الجهد الاسلامي صغيراً أحياناً وقليلا أحياناً ، ومن ثم كان الابتداء بذكر هذه البديهيات التي نعتبرها أمهات أو من الضرورة في المكان الاول .

إن الإدراك الصحيح لموضوع هذه البديهيات والتفاعل معها واللقاء عليها هو نقطة البداية الصحيحة لسير سليم للمسلمين في كل

قطر وعلى كل مستوى ، أما اذا غاب الإدراك الصحيح لواحدة من هذه البديهيات فلا بد أن ينعكس ذلك انعكاساً سيئاً على المسلمين عامة ومن ثم كان لا بد من تفصيل ، ونحب أن نقرر هنا أن هذه البديهيات تشكل جزءاً مما يعبر عنه علماؤنا بالأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي يعتبر جحود أحدها كفراً والتي يفترض أن يعرفها العام والخاص من المسلمين ، وما كانت كذلك إلا لكثرة النصوص فيها ووضوحها ولعل بعض طلاب العلم يسارعون فينكرون أن يكون بعض ما نذكره ههنا من هذه البديهيات ، والذي نقوله لهؤلاء : تأنوا قليلا وتأملوا ما نقول وعودوا الى الكتاب والسنة ثم عودوا الى المفاهيم العامة للمسلمين قبل سقوط الخلافة العثمانية ثم تأملوا الواقع الذي يترتب على غياب هذه البديهية فإنكم سترون أنكم تسرعتم في الإنكار بل أصبحتم به على شفا خطر ، وليس من أدبنا أن نسارع في التكفير فذلك نفس خارجي ، ولكن القاعدة العامة أن الإنكار للقطعي بعد البيان كفر بإجماع المسلمين فالأمر جد ودين الله عز وجل أعظم الجد ولنبدأ بعرض هذه البديهيات .

● **البديهية الأولى :**

الاسلام هو النظام الوحيد المكلفة به الانسانيةكلها شرقها وغربها، شمالها وجنوبها ، أصفرها وأحمرها ، وأبيضها وأسودها . وأجناسها كلها ، وهو الذي لا يقبل الله عز وجل من أحد ديناً غيره ، قال تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » وقال : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » .

والمراد بالاسلام هنا الدين الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم فهو الصيغة القاسمة لكل دين سبق والخاتمة لكل رسالات الله عز وجل ، والانسانية مكلفة به حتى قيام الساعة وكل

من بلغه هذا الدين ولم يؤمن به فهو من أصحاب النار عنـد الله عز وجل • قال عليه السلام :

« والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحـد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » •

● **البديهية الثانية :**

هـذا الاسلام هو الإجابة الوحيـدة والصافية والحق على كل تساؤل للانسان إذ هو التغطيـة الكاملة لحيـاة البشرية في الاعتقاد والعبادات والشرائع والشعائر ، وهو الضابط الوحيد لكل شيء في حياة الانسان كفرد والانسانية كلها على كل مستوى ، فعنه الهداية الصحيحة والسليمة والمستقيمة في كل شأن • قال الله تعالى واصفاً كتابه:

« ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » وقال تعـالى عن القرآن : « ما كان حديثـاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» • وإنما كان الكتاب تبياناً لكل شيء إما بنصوصه أو بما أحالت عليه نصوصه من سنة أو قياس أو إجماع أو استحسان أو استصحاب أو استصلاح أو عرف أو بما اعتمدته من أحكام عقلية أو شرعية أو عادية وبما حددته لهذا كله من مدى ضابط ومنضبط فأطلقت بذلك للعقل مداه وللتجربة مداها •

● **البديهية الثالثة :**

إن الدخول في الاسلام يعني الاسلام المطلق لله تعالى في كل شيء ، وكون الاسلام يغطي كل شيء ، إن ماله علاقة في النفس أو

في العقـل أو في القلب أو في الروح ، وإن ماله عـلاقة في العواطف والمشاعر أو ما له علاقة بالعلميات والعقلانيات وإن ماله علاقة في العقائد أو العبادات أو ما يدخل تحت اسم المبادىء الدستورية أو ما يدخل تحت اسم القوانين الحاكمة لكل معاني الحياة أو ما يدخل تحت باب الأخـلاق والآداب • إن كون الاسـلام كذلك يعنـي أن الاسـلام لا يقبل الشركة لا في التلقي ولا في التبني قال الله عز وجل : « ادخلوا في السلم كافة »أي في الاسلام جميعاً ، وقال الله عز وجل : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقـد استمسك بالعـروة الوثقى » التي هي الاسلام •

● **البديهية الرابعة :**

والعقلية التجريبية هي إحدى مظاهر التكوين الاسلامي للشخصية الاسلامية ومن ثم فكل ما وصل اليه العقل التجريبي الحكيم هو مقبول من وجهة النظر الاسلامية ويعتمد أصلا • ومن ثم كانت القاعدة العامة: الحكمة ضالة المؤمن فأينما وجدها فهو أحق بها ، ومن ثم اعتمد عمر نظام الدواوين الفارسي وهو من باب الاداريات التي توصل اليها تجربة لصالح الانسان ، وعلى هذا فالاسلام لا يعني الانغلاق عن العالم بل يعني الانفتاح على العالم والأخذ منه في الاطر التي يوصل اليها ماعتمده الاسلام من طرائق ، فالاسلام إذ أمر بالتفكر وأمر بالتعلم وأمر بالنظر في ملكوت السموات والارض وأمر بالنظر في كيفية نشأة الحياة ، واعتمد المصالح المرسلة ــ قد فتح لنا آفاق الأخذ السليم لكل نتيجة صحيحة أوصل اليها ما أمرنا باعتماده ولو كان الواصلون لذلك غيرنا على أنه إذا صبغه غيرنا بفكره وطرائق حياته وما يعتمده من عقائد فعلينا أن نجرده من ذلك ونصبغه صبغة إسلامية صافية •

● **البديهية الخامسة :**

إن كون الاسلام نظاماً « كاملا » شاملا فهو بالتالي نظام سياسي، وكما أنه نظام سياسي فهو نظام اجتماعي واقتصادي وأخلاقي ومن ثم فإغفال أي جزء منه تعطيل له وإقامة أي عامل سياسي على غير أساسه تعطيل له وتعارض معه ودخول في صراع مع أهله ومن ثم فإن الذين يدعون الى عزلة الاسلام عن العمل السياسي إنما يدعون الى تعطيل الاسلام والى خلعه عن مركزه الصحيح الذي أراده الله عز وجل ، وكذلك كل عمل يتبنى جزءاً منه ويهمل أجزاء أو يتبنى بعض أحكامه ويغفل أحكامه الأخرى ، ومن ثم كانت كل التكتلات والتجمعات السياسية التي لا تتبنى الاسلام كله معارضة للإسلام ومحاربة له ولأهله في النهاية وهي داخلة إما في قوله تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » . أو بقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

إنه من العجيب ألا تقبل الشيوعية معها شريكاً وألا يفصل الشيوعي بين الماركسية كنظام سياسي وبين أرضيتها وخلفياتها الفكرية مع أنها نظام باطل في أصله وفرعه . ثم أن يتصور متصور أن الاسلام يرضى شريكاً أو يرضى أن ينفصل كعقائد وعبادات عن كونه نظام حياة شاملا سياسة واقتصاداً واجتماعاً ، ومن الحديث الصحيح الذي يقول فيه عليه السلام : (إن الاسلام بني على خمس ... » ندرك أن فوق هذه الخمس بناء يشمل كل شيء في الحياة البشرية .

● **البديهية السادسة :**

إن المسلمين مكلفون أن تكون كلمة الله هي العليا قال تعالى : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا » وقال عليه السلام : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله » فإذا كان هذا تكليفاً عاماً للمسلمين على مستوى البشرية كلها فكيف لايكون ذلك تكليفاً للمسلمين في أقطارهم ؟ ولا تكون كلمة الله هي العليا في قطر إلا إذا كان المسلمون يحكمون هذا القطر بالاسلام أما إذا حكم القطر بغير الاسلام فإن كلمة الله لاتكون هي العليا بل يكون الاستعلاء لكلمة الكفر ونظامه ، وإذا لم يكن المسلمون هم الحاكمين فإن العزة لا تكون لأهل الايمان والاسلام وهذا تناقضه كبير مع الوضع السليم الذي قال الله عز وجل عنه : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ومن ثم ندرك مباشرة أنه عندما لا يكون دين الدولة هو الاسلام في قطر وعندما لا يكون رئيس الدولة مسلماً فان ذلك تناقضه كامل مع كل أصول الاسلام ويستحيل أن يسلم المسلمون بذلك ، بل واجبهم الصراع مع مثل هذه الانظمة حتى تسقط ، وهذا أدنى مظاهر القوة وأدنى مظاهر أن تكون كلمة الله هي العليا .

● **البديهية السابعة :**

والمسلمون في القطر الواحد بل في العالم كله يجب أن يكونوا كتلة واحدة وجماعة واحدة هـذه الكتلة كتلة إيمانية كما هي كتلة سياسية وكل فصل ما بين هذا وهذا مغالطة كفرية وتضليل كبير ، هذه الكتلة يجب أن يكون لها إمام واحد وهي قضية لا تحتمل في منطق الاسلام نقاشاً ولا تأخيراً ولا تأجيلا حتى إن الصحابة قدّموا انتخاب الخليفة على دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى إن عمر أمر بقتل من يخالف أكثرية الستة من الستة في شأن إمام المسلمين لأن وحدة

القيادة مقدمة على كل شأن ومن ثم فالمسلمون في القطر الواحد يجب أن يكونوا جماعة واحدة وكتلة واحدة وكذلك هم في العالم • ويجب أن تكون لهذه الجماعة في كل قطر السلطة كاملة غير منقوصة •

وليس فيما ذكرناه ما يخيف مواطنينا من غير المسلمين وليس هذا شيئاً لا يحتمله العصر كما يزعمون وتفصيل ذلك فيما يلي :

أ ــ إن الاسلام أمر المسلمين ألا يكرهوا غير المسلمين على الدخول في الاسلام إلا وثنياً عربياً فهذا لا يُقر على وثنيته وقد ثبت تاريخياً أن المسلمين وحدهم المؤتمنون على دينهم وعلى حرية غيرهم في الاستمرار على دينه بدليل أن المسلمين حكموا بلاد الشام فاستمرت بها الاديان هذه القرون الطويلة كلها ، فلو أن غير المسلمين كانوا يُضطهدون أو تُغتال حريتهم الدينية لما استمروا ، وهذا موجود في كل مكان بينما تجد أن المسلمين حيث سيطر غيرهم يُستأصلون وهذا يشير الى أن المسلمين هم وحدهم المؤتمنون على دينهم وعلى أديان غيرهم •

ب ــ إن الاسلام يأمرنا أن نقدم للمواطنين غير المسلمين على أرضنا البر والعدل ما وفوا لنا بشروطهم وما لم يحاولوا قتالنا وإخراجنا من ديارنا • قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » فنحن مأمورون أن نقدم لهم مع العدل البرّ ، وإذا عرفنا أن الاسلام بالنسبة لهؤلاء مذهب سياسي فإن أي حكم في العالم لا يقدم لغير المؤمنين بالحكم ونظامه ما يقدمه المسلمون لغيرهم على أرضهم • إن أقصى ما يحكم به أي انسان لا يؤمن بنظام أن يقدم له هذا النظام العدل الحقيقي أما أن يقدم له البر الكامل مع العدل الحقيقي لا يصل اليها أي نظام في العالم على مثل هذا المستوى الشامل •

حـ ــ إن الاسلام بالنسبة لغير المسلمين نظام سياسي يتعامل معهم بحسب الميثاق الــذي يتفقون عليه ومن رغب في أن يدخــل في الاسلام بمحض اختياره فإن له ذلك ويعطى مباشرة من الحقوق ما لكل مسلم على أنه إذا ارتد عن الاسلام بعد ما دخل فيه بمحض اختياره قتل كما هي الحال بالنسبة للمسلم وتنطبق عليه في حالات المخالفة أو الخيانة أحكام الاسلام التي تنطبق على المسلمين عامة .

د ــ إن الاسلام في الأصل يخيّر الناس بين القتال أو الاسلام أو إعطاء الجزية وذلك فرض فرضه الله على المسلمين أن يفعلوه لإعلاء كلمته في الارض ، والمسلمون هم المنفذون لأمر الله في هذا الشأن ، ولا مجال لأن يقارن الاسلام بغيره في هذا الموضوع لأن الاسلام حق وغيره باطل ، ولان الاسلام دين الله خالق الانسان الذي وحده يعطي الحقوق ، وقد أعطى المسلمين حق القتال والقتل ، فقتالهم كل كفر هو عدل وحق ، وسيطرتهم على العالم لمصلحة هذا العالم .

إن الجماعة الاسلامية الحق إذا حكمت هــذا العالم فانهــا هي وحدها تحمل هذا العالم على صيغة العدل الكامل في إطار الحق الشامل وعندئذ فلا شعب" يستغل شعباً ولا غني" يتحكم بفقير ولا مترف" يستغل اضطرار الانسان ولا قوة تحكم حقاً ، العدل يحكم الجميع والحق فوق الجميع ويربط بين الجميع رباط الرحمة الحقيقية بالانسان .

وما عــدا ذلك فإن العالم سيبقى محكومــاً بدوائر من الظلــم والاستغلال والتحكم والقهر الحاقد والتناقض الواضح بين الشعارات والواقــع .

هـ ــ إن الجزية التي رضيهــا الاسلام من غير المسلمــين ذات مضمون تغيب عن الكثيرين آفاقه :

١ً ــ إن الجزيــة هي رمز القبول للخضوع لسلطان الاسلام والمسلمين فمتى قبل غير المسلمين بهذا الخضوع مبدئياً لسلطان الاسلام والمسلمين أصبحت هناك قابلية للاتفاق معهم على أنواع من التعايش تحددها الاتفاقات .

٢ً ــ هذه الاتفاقات يمكن أن تكون ذات صبغ متعددة ، يظهر ذلك من مجموع الاتفاقات التي عقدها الصحابة والمسلمون من بعدهم مع غير المسلمين في كل قطر .

٣ً ــ يمكن أن تعدل هذه الاتفاقات على حسب المصلحة العامة للمسلمين بما لا يزيد من أثقال غير المسلمين بل بما يخففها .

٤ً ــ من حيث المبدأ إن الجزية كضريبة مالية تسقط عن غير المسلم إذا رغب هذا أن يشارك في القتال مع المسلمين ، ومن حيث المبدأ يمكن أن يسلّم غير المسلمين وظائف تنفيذية من الوزارة فما دون ، ومن حيث المبدأ فان لغير المسلمين ما للمسلمــين من الحقوق وعليهم ما عليهم في قضايا المعاملات وإذا شاء غير المسلمين أن يحتكموا لبعضهم ولشريعتهم في شؤون بعضهم فذلك جائز ، وإن شاءوا أن يحتكموا إلينا نحكم بينهم بشريعتنا ، وفي القضايا المشتركة الحكم الاسلامي هو الذي يخضع له الجميع .

٥ ــ إن موضوع الجزية هو إذن بمثابة بدل عسكري فالمسيحي أو اليهودي أو البوذي أو غير ذلك مخيّر بين الخدمة العسكرية أو البدل العسكري السنوي الذي لا يرهقه ، ومما يؤكد أن الجزية بدل عسكري أنها لا تؤخذ من غير القادرين على القتال أصلاً أو الذين لا يقاتلون ولذلك فإنها لا تؤخذ من المــرأة ولا من الصبي ولا من الشيخ الكبير ولا من رجال الدين كما يؤكد أنها كذلك أن المسلمين أسقطوها عمن كان يشارك في الحرب مع المسلمين وقد كان المسلمون

يأخذون الجزية (٤٨) درهماً من المتوسطي الغنى و (١٢) درهماً من الفقراء ، وهو مبلغ زهيد إذ معدل الدرهم حوالي ثلاثة أرباع الليرة السورية ولو أن أي انسان في بلادنا خيّر بين دفع هذا البدل العسكري أو أكثر منه خمسة أضعاف سنوياً مقابل إعفائه من الخدمة العسكرية لفضله على هذه الخدمة ، والحقيقة أن من عدل الاسلام أن قبل الجزية كبديل عن القتال ، إذ القتال في الاسلام عبادة من العبادات ، فإذا كلف الاسلام غير المسلمين بالقتال فكأنه أكرههم على عبادة إسلامية كيف وقد يكون القتال ضد أبناء دينهم ؟!.

و ــ ونحب هنا أن نقرر ما يلي :

إذا رفض غير المسلمين في أي قطر إسلامي أن يكون دين الدولة الاسلام فإنهم بذلك ينقضون كل العهود السابقة بيننا وبينهم والواقع أنهم أعلنوا رفضهم لهذا المبدأ في كثير من الاقطار وهذا يجعل كل عهد بيننا وبينهم لاغياً وبالتالي فإن هذا يجعلنا في حلٍّ من كل التزام سابق بيننا وبينهم ويعطينا حرية واسعة في التصرف من وجهة النظر الاسلامية على أننا ونحن دعوة رحمة « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » نعرض على مواطنينا في أرضنا أن يلتقوا معنا على صيغة ضمن الأسس التالية :

١ ــ لا بد من قبول مبدأ أن دين الدولة الاسلام وأن رئيس الدولة الأعلى ينبغي أن يكون مسلماً .

٢ ــ في موضوع الخدمة غير المسلم مخيّر بين دفع بدل عسكري سنوي أو المشاركة في الخدمة العسكرية .

٣ ــ يمكن أن يعطى لغير المسلمين من وزارات الدولة بنسبة عددهم لمجموع سكان القطر .

٤ ــ يمكن أن يعطى لغير المسلمين في مجلس النواب بنسبة عددهم لمجموع سكان القطر •

٥ ــ يستقل غير المسلمين باختيار ممثليهم الى مجلس النواب ورئيس الدولة يستقل باختيار من يشاء منهم للوزارات •

٦ ــ يحق لغير المسلمين إنشاء مدارس خاصة بهم بإذن عام من الدولة وتحت إشرافها •

٧ ــ كل ما كان جزءاً من دينهم يستطيعون أن يمارسوه وأن يوجدوا الأطر التنظيمية له على ألا يخل ذلك بالاصل العام •

٨ ــ يحظر على غير المسلمين إقامة التنظيمات المسلحة أو العسكرية أو شبه العسكرية •

ضمن هذه الصيغة يمكن أن يتم تفاهم جديد وعقد جديد وإلا فإن الأمر من جديد يمكن أن يعود الى الحرب والقتال ليقرر القتال بعد ذلك الصيغة النهائية من التعامل ونرجو ألا نصل الى مثل هذا • والامر جد يجب أن يعرفه الكبير والصغير ، ومن حيث المبدأ فان أي انسان على أرضنا إذا انتسب الى حزب علماني يرفض مبدأ أن يكون دين الدولة الاسلام يعرض نفسه وأهله وماله للعقوبة المقررة لذلك إسلامياً •

ز ــ وأخيراً نقرر إنه لا حرية على الارض الاسلامية للإلحاد ولا حرية سياسية لغير المسلمين إلا على ضوء المعاهدات التي تربطنا معهم ، ولا حرية سياسية لمسلم إلا على ضوء الاسلام • وعلى ضوء الاسلام يمكن أن يقوم أكثر من تنظيم سياسي في القطر الواحد أو على امتداد هذه الامة على أن يلتزم الجميع بحكم الاسلام ثم بالشورى

كأساس ينبثق عنه الحكم • إن فيما يعتمد من قواعد أو فيما ينبثق عن هذه القواعد من قيادات •

وبالتالي فإنه لا حرية سياسية لمن يرغب أن يحتكم الى القوة على الارض الاسلامية مادام الاسلام قائماً والقيادات مسلمة ملتزمة والشورى يلتزم بها الجميع •

إن وضع الأمور في مواضعها هو الحل الحاسم من أجل انطلاقة جديدة للأمة الاسلامية وللمسلمين وعلى كل مسلم أن يعرف أننا نراعي الرأي العام محلياً وعالمياً فيما لاتتعطل فيه الاحكام أخذاً من قوله عليه السلام لعائشة : « لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت البيت وبنيته على قواعد ابراهيم » كما أننا نراعي الرأي العام إذا لم يكن ظالماً أخذاً من قوله تعالى : « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم » أما ماعدا ذلك فإننا كما قال الله تعالى : « يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » •

● **البديهية الثامنة :**

في حالة تهدم السلطان السياسي للاسلام والمسلمين في قطر ما أو في عامة الاقطار فواجب على المسلمين مباشرة نصب إمام والبدء بالقتال بالشكل المناسب أو الاعداد للقتال بالشكل المناسب أو الاعداد الصحيح لاختيار الامير ثم القتال • وعلى كلٍّ المسألة تبقى ضمن هذه الأطر والله تعالى يقول : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » • وفي هذا المقام توجد مجموعة أغلاط يجب أن تصحح ، ومن ثم نحب أن نتحدث في هذه البديهية عن مجموعة أمور :

١ ــ كثيرون من جهلة المشايخ يعتبرون المعارضة لأي نظام سياسي نوعاً من البغي والخارجية ويعتبرون ذلك خطأً دينياً ، ولا شك

أن هذا من أفظع الجهل لأنه إن صح كلامهم فإن موسى وابراهيم عليهما السلام يكونان مخطئين إذ دخلا في صراع مع فرعون ونمرود ، وإذن فليست كل معارضة بغياً أو خارجية • لقد عرّف فقهاء الحنفية البغاة والخوارج بأنهم الخارجون على الإمام الحق بغير الحق وإذن فالخروج بالحق على الإمام غير الحق لا يعتبر خارجية ، والخروج على الامام غير الحق لا يعتبر خارجية ، فكيف إذا كان الخروج بالحق على الإمام غير الحق ؟ فهل يسمي هذا أحد خارجية وبغياً إلا اذا كان من أجهل الجاهلين ، والرسول عليه السلام حدد متى تجب الطاعة ومتى يجب القتال فقال : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله » رواه البخاري • ولما سأله الصحابة عن قتال نوع من الأئمة بقولهم : أفلا ننابذهم ؟ قال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة ••• » فإذا أصبحت السمة الظاهرة لكل أنواع الحكم في العالم الاسلامي ترك الصلاة وعدم إقامة كتاب الله فهل تعتبر المعارضة هنا خارجية والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح عن الخلوف الذين يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون : « من جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » أليس عجباً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر عدم جهاد هؤلاء علامة على عدم الايمان ، وبعض جهلة المتصدرين للعلم يعتبرون ذلك بغياً وخارجية •

٢ ــ يتجاذب الكثير من المسلمين في كل شيء وخاصة في قضايا السياسة والحكم اتجاهان : اتجاه يلغي الاسباب بحجة التوكل على الله واتجاه يحسب كل شيء بمنطق الاسباب المادية ويلغي قضية التوكل وينسى القوانين الربانية الخاصة إذا وجد الايمان وأهله والذي نقوله : إن الله عز وجل أمرنا أن نعمل ضمن عالم الاسباب والقوانين

وأمرنا أن نبذل جهدنا في إعداد كل مايلزم ، وأمرنا مع هذا كله بالتوكل الكامل عليه ، وعلمنا أن له تعالى تأييداته الخاصة للمسلم وللمسلمين إذا توفرت فيهم خصائص محددة فما لم يع المسلم هذه الامور مجتمعة يكون على خطأ عظيم فخذ أدلة هذه المعاني :

ـ قال عليه الصلاة والسلام : « ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة» فههنا ذكر العدد وهو من عالم الأسباب ويفهم من الحديث أن غير القلة يمكن أن يكون سبباً في الخذلان ومن ذلك عدم التحقق بالخصائص التي وعد الله عز وجل أهلها بالنصر من مثل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

ـ قال الله جل جلاله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » .

من هذه الآية ندرك أن المسلم في منتهى قوته مكلف بأن يقابل عشرة ، وفي حالة ضعفه مكلف بأن يقابل اثنين ، فالأسباب إذاً غير ملغية ولكن في الصراع بين الكفر والايمان هناك قوانين فعندما يكون صراع بين كفر وكفر فالقوانين المادية تعمل عملها بإرادة الله والتفوق المادي يعمل عمله بارادة الله ، ولكن للصراع بين الكفر والايمان قوانين خاصة قال تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

ـ قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » فههنا أمر الله بإعداد ما استطعنا من وسائل الرمي وأدواته لأن في ذلك ذروة القوة قال عليه السلام : « ألا وإن القوة الرمي » وأمرنا كذلك باعداد ما يُركب للمعركة . إنك لا تستطيع أن تقابل البندقية بصدرك في قتال إلا أن تحتال . ولا نريد أن نغفل حب الاستشهاد ولكن الله عز وجل أمرنا أن نعد والإعداد يحتاج الى تدريب ومران ونظام ، ودخول المعركة يحتاج الى تخطيط ودراسة ، وكل ذلك مطلوب ، ومطلوب معه أيضاً عدم الاعتماد عليه بل المطلوب معه التوكل على الله وحده قال تعالى : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً » وقال تعالى : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » وقال تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ... » .

فالمطلوب أخذٌ بالأسباب المادية وتوكل على الله على أن يكون القرار ملاحظاً فيه أن الصراع بين الكفر والإيمان له قوانينه الخاصة إذا وجدت خصائص أهل الايمان كما سنراها .

٣ ـ يعتبر كثير من المسلمين ويغلب هذا حتى على العلماء أن الابتلاء في حالة الصراع مع الدولة أو النظام علامة خطأ على السير ، وبعضهم يعمم ذلك حتى على الصراع مع الدولة الكافرة القائمة ، وذلك ضلال ما بعده ضلال لأن ذلك معارضة صريحة لنصوص القرآن فالله عز وجل يقول : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم » . إن هذه الآية تبين أن الذين يقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس مجرمون يستحقون العذاب الأليم ، وكثيرون من

مسلمي عصرنا يعتبرون الذي يأمر بالقسط هو المخطىء وإذا ابتلي يشمتون به فأي ضلالٍ أكبر ؟! ثم إن كثيرين من جهلة عصرنا يعتبرون القتل في سبيل الله نقصاً عن الدرجة العليا في الولاية وينسون أن علياً قتل ، وأن عمر قتل وأن عثمان قتل وأن كثيراً من الانبياء والرسل قتلوا ، هذا زكريا وهذا يحيى وقد قال تعالى كما في قراءة ورش : وكأي من نبيٍ قُتِلْ ... » فقراءة ورش تقف على / قُتِلْ / مما يدل على أن أنبياء كثيرين قتلوا والله عز وجل أنّب بني إسرائيل بقوله : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » . وإن القرآن الكريم يعتبر مجرد التصور أن ادعاء الإيمان بلا امتحان غلط عظيم قال تعالى : « أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

٤ ــ يغلط كثير من المسلمين غلطين . الأول : أنهم لا يتصورون أن إقامة الدولة الاسلامية التي تحكم بالاسلام فرض ، ويغلطون إذ يعتبرون ذلك من فروض الكفايات حتى لو لم تقم فيغلطون مرة ثانية في تصورهم العام لفرض العين ولفرض الكفاية ولتصحيح هذا الغلط نقول :

ــ إن الله عز وجل قال : « كتب عليكم القصاص » وقال : « سورة أنزلناها وفرضناها » فكيف تقام هذه الفرائض بدون حكومة إسلامية ، والقاعدة العامة أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب . إن إقامة الدولة الاسلامية فريضة إذ كيف تكون العزة لهم بدون ذلك. ثم إن عمل المكافيء لتحقيق ذلك فريضة ، وكثيرون من الناس يغلطون في فهم بعض النصوص الواردة في حالة وجود الدولة المسلمة التي فيها خلل ما كالدولة الأموية أو العباسية أو العثمانية التي كانت تؤمن بالاسلام وتطبق الاسلام على خلل في التطبيق وخلل في نظام الخلافة .

إن القاعدة العامة أن فرض الكفاية يبقى فرض عين حتى يقوم ، وفرض الكفاية لا يسقط حتى يقيمه بعض المكلفين فإذا كانت الدولة الاسلامية لم تقم فان المطالبة العامة بإقامتها تشمل الجميع ، صحيح أن الفرض في حق بعض الناس أكثر منه في حق البعض الآخر ولكن الجميع آثمون اذا لم يعملوا ، ويزداد الإثم على الذين هم مرشحون وحدهم للتخطيط والاقناع والتنفيذ ثم يقصرون .

● **البديهية التاسعة :**

إن لزوم جماعة المسلمين وإمامهم هو أحد الفروض العظمى في الاسلام وهو فرض لا يسع المسلم أن يتخلى عنه إلا في حالة واحدة وهي عندما لا يوجد للمسلمين جماعة ولا إمـام فعندئذ يعتزل فرق الضلال كلها ويكون في هذه الحالة هو الجماعة قال تعالى: « إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً » . ولكن هل تخلو الارض من جماعة للمسلمين وإمام ؟ الأصل : لا . قال عليـه السلام : « لا تزال طائفـة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهـم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » . وقال الامام علي رضي الله عنه : « ولا تخلو الأرض من وليّ قائم لله بحجة » ومن ثم فإن أحداً إلا نادراً لا يجد نفسه في هذا العالم وحيداً دون أن يكون له من يتعاطف معهم من المسلمين ويلتزم بهم وحتى في حالة فقدان سلطان الخلافة السياسي قال فقهاء الشافعية عن هذه الحالة : تنتقل أحكام الخلافة الى أعلم أهل زمانه . فالأمر إذن لا يحتمـل إلا صورة وحيـدة ، وهو موضوع يُقصّر فيه أكثر المسلمين مع أنه في المقام الأعلى من الفروض الاسلامية قال عليه السلام : « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » وزيادة على ما ذكرناه فإن كثيراً من المسلمين

يقعون في أغلاط في هذا الموضوع وتغيب عنهم أشيـاء هي في حكم البديهيات ومن ثم فلا بد أن نسجل هنا مجموعة أمور :

أ ــ في الحديث الذي رواه الشيخان وأبو داود عن حذيفة قال : « كان الناس يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت يا رسول الله : إنا كنا في جاهلية وشر فجـاءنا الله بهـذا الخـير ، فهـل بعـد هـذا الخير من شر ؟ قال نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دَخَن ، قلت : وما دخنُه ؟ يا رسول الله ؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر ، فقلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم قذفوه فيها ، فقلت يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

الدخن هنا : تغيّر الدين لمخالطة غريب عنه .

هذا الحديث هو فتوى العصور فلنلاحظ فيه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عما يجري على هـذه الأمة وما يحدث فيها : فيذكر مرحلة الخيرية الاولى ثم مرحلة الشر تأتي بعد ذلك ثم مرحلة من الخير تأتيوفيها دخن مع تعريف في الحديث لهذا الدخن ثم مرحلة من الشر جديدة ذات خصائص جديدة محددة في الحديث .

ويبدو ــ والله أعلم ــ أن مرحلة الشر الذي فيه دخن هي المرحلة السابقة على مرحلتنا الحاضرة فانظر الى واقع الإرث الاسلامي الذي نرثه فإنك تجد تصوّفاً معاصراً موروثاً وفيه دخن والفقه خالطه شيء من الدخن وقل مثل ذلك في أمور كثـيرة هي إرث المرحلة السابقـة وانظر كتابنا / جولات .. / .

ويبدو أن المرحلة اللاحقة لمرحلة الدخن هي مرحلتنا فهي المرحلة التي كثرت فيها الدعوات التي تدعو الى جهنم كالشيوعية والرأسمالية والوجودية وغير ذلك حتى أصبح الأمثال هذه الدعوات من السلطان على أرضنا ما كاد به صوت الاسلام يضيع •

ومن الحـديث ندرك أن واجب عصرنا بالنسبة للإرث المخالط بالدخن أن نحرره من دخنه ، وبالنسبة لموقفنا من عصرنا أن نعتزل فرق الضلالة من ناحية وأن نلتزم جماعة المسلمين وإمامهم هذا هو الواجب الاول فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام فان واجبنا يكون اعتزال فرق الضلالة •

يقول الحديث : « فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام قال : اعتزل تلك الفرق كلها » أي الفرق التي تدعو الى جهنم ، وإذن فليست العزلة المرادة هنا عزلة حتى عن المسلمين الدعاة الى الله عز وجل •

وصف الرسول صلى الله عليه وسلم دعاة جهنم في رواية بأنهم قوم من جلـدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، وإذن فهـم منا ، من بيننا • وما أكثرهم الآن وهم يُحسون وليسوا بحاجة الى كثير تعريف •

واضح من الحديث أن لزوم جماعة المسلمين وإمامهم هو الواجب الاول والموقف الاول •

وفي هذه السلسلة أثبتنا بما لا يقبل جدلاً عند المنصفين أن أحداً لم يضع قدم المسلمين في هذا العصر في طريق تحرير الاسلام من الدخن ثـم في الطريق الى جمـاعة للمسلمين وإمام تتوافر فيهما الخصائص كحسن البنّا رحمه الله والمسألة مسألة دليل •

ب ــ ومعنا الحديث الصحيح : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم الى قيام الساعة » وفي

إحـدى الروايات الصحيحة قوله عليه السلام : « وهم في الشام » فالجماعة إذن موجودة وباستمرار ولزومها واجب ، والكتاب والسنة فصّلا في مواصفاتهـا ، ومتى عرف الانسان المواصفات بدقة عرف الطريق للتحقق بها وعرف أهلها ، قال الامام علي رضي اللـه عنه : « إعرف الحقّ تعرف أهله » وسنفرد الكلام عن مواصفات الجماعة التي هي مظهر الحق وظهوره في بديهية مستقلة لأن الكتاب والسنة فصّلا في هـذا الشأن تفصيلاً كثـيراً أعطاه حكم أكثر الاحكـام الاسلامية بداهة .

حـ ـ واضح من قوله عليه السلام في الحديث الاول : « أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » ومن قوله عليه السلام في نفس الحديث : « اعتزل تلك الفرق كلها » أن واجب المسلمين دائماً شيئان : اعتزال الضلال وأهله وربط الحق بالمسلمين والالتزام بهـم ، أما أن تكون طائفة أخرى في الوسط فهو النفاق قال تعالى : « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء » وقال عليه السلام : « مثل المنافق مثل الشاة العائرة بـين الغنمين تعـير الى هـذه مرة والى هـذه مرة » لمسلم والنسائي .

● **البديهية العاشرة :**

إن المسلمين جماعة واحدة وحزب واحد وإن التقدم والتأخر في هذه الجماعة على حسب العلم والخصائص والالتزام . ومن ثم فالمسلمون كلهم منظمون تنظيماً عفوياً ، ولكنه عفوي" يخضع لقواعـد صارمة ولا يلغي الاحتياج لتنظيم هادف يحقق غايات ، وإن الجماعة الاسلامية بقدر ما تحكمها مبادىء صلبة أعطاها الاسلام مرونة كبيرة في الحركة وإن هذه الجماعة المسلمة التي يعتبر كل مسلم جزءاً منها ، لا يصح لمسلم أن يخرج منها أو يخرج عليها أو ينتسب لتنظيم أو جهة ليست

منها ، كما لا يجوز أن يتعاطف أو يكثّر سواد جهة ضدها ، كما أن على كل مسلم أن يفجر طاقاته كلها في خدمتها لله عز وجل وفي خدمة دين الله عز وجل ، ولا يجوز له غير ذلك إلا بتكليف منها أو بالاتفاق معها كجماعة أو أفراد منها لهم مثل هذا الحق .

وسنتكلم في كل هذه المعاني باختصار ولكن بشكل كافٍ يدرك فيه أن هذه القضايا من باب البديهيات .

ـ قال تعالى : « فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر فإن ذلك من عزم الأمور » .

هذه الآيات تحدد خصائص الامة المسلمة وخصائص جماعتها :

الإيمان والتوكل واجتناب الإثم والفواحش وضبط النفس عند الغضب والاستجابة لله في الشأن كله والانفاق والانتصار من الظلم والعدل في العقاب . ومن هذه الآيات ندرك أن للجماعة المسلمة خصائص تتفرد بها وتجب التربية عليها منها الشورى في الأمر ، والانتصار من الظلم .

ـ من خلال النصوص نجد أن في هذه الجماعة منصباً اسمه منصب الخلافة وفي هذه الجماعة شيء اسمه الولي المرشد أو الوارث الكامل أو العالم العامل وفي هذه الجماعة شيء اسمه النقيب وشيء

اسمه المجاهد وشيء اسمه النصير وشيء اسمه الامير وشيء اسمه أولو الأمر ولكل من هؤلاء خصائصهم المحـددة وفي ذلك كله وفيما قبله ما يشير الى أن المسلمين جماعة واحدة ذات تنظيم تلقائي عفوي ، التقـدم فيه والتأخر فيه يخضع لمبـدأي الخصائص والشورى ولنر أدلة ذلك :

ـ أما منصب الخلافة فقد قال تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » وفي الحديث الشريف : « إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الآخر منهما » فدل هذا على أنه في قمة الأمر ينبغي أن يكون خليفة واحد للمسلمين منبثق عن شوراهم ومتوافرة فيه خصائص معينة وقد أحصى القرطبي هذه الخصائص في تفسيره عند قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة » فذكر منها القدرة على إدارة أمور الأمة ديناً وسياسة وحرباً ، وذكر صفات كثيرة وإنما أشرنا فقط الى ذكر هذه الامور الثلاثة ولكن بعبارة أخرى الأن منصب الخلافة لا يدرك كثيرون من الناس الخصائص العليـا التي ينبغي أن يتصف بها ومـع توفر الخصائص لا بـد أن تنبثق الإمرة العامـة للمسلمين عند شوراهم الكاملة واختيارهم الحر .

وأما اسم أولي الأمر فقد ورد في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فدل ذلك على أن هناك أولياء الأمر المسلمـين من المسلمين أنفسهم هم قادتهـم وأمراؤهم وعلماؤهم المتوافرة فيهم خصائص معينة .

ومن قوله تعالى : « ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً » ومن قوله عليه السلام : « العلماء ورثة الانبياء » ندرك أن هناك شيئاً في المجتمع الاسلامي اسمه الولي المرشد أو الوارث أو العالم العامل .

ومن قوله تعالى عن بني إسرائيل : « وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً » ومن فعله عليه السلام إذ قال لمن حفظ من بين وفد سورة البقرة : « اذهب فأنت أميرهم » ومن أمره عليه الصلاة والسلام يوم العقبة للأنصار أن يختاروا من بينهم اثني عشر نقيباً ما يشير الى أن هناك شيئاً اسمه النقيب . ومن سيرته عليه السلام إذ كان يجعل على كل عشرة عريفاً ما يشير الى أن هناك شيئاً اسمه العريف .

ومن قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

ندرك أن هناك طبقتين في حزب الله طبقة المجاهدين ذات الخصائص المحددة وطبقة الانصار ذات الخصائص المحددة وتأتي بعد ذلك كله في المجتمع الاسلامي طبقة الفساق والمنافقين فالخصائص هي التي تقدم أو تؤخر داخل هذا المجتمع ومع وجود الخصائص تكون الشورى والطاعة هما الضابطين لهذا المجتمع ومن هذا كله ندرك أن المسلمين منظمون أدق تنظيم بشكل تلقائي لا يلغي احتياجهم لأنواع من التنظيم أخرى تقتضيها طبيعة الدولة أو تقتضيها طبيعة العمل للدولة في حالة فقدانها من باب « مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

ومما مرّ ندرك أنه في قمة هذا التنظيم يوجد الخليفة ثم الوارث ثم النقباء ثم المجاهدون ثم الانصار ثم العامة والدهماء وأن الذي يرفع إنساناً من اسم الى اسم هي خصائصه وحدها في بعض الاحوال أو خصائصه مع الشورى أو خصائصه مع تعيين الخليفة أو نائبه أو الوارث

العاملين • وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمّروا أحدكم » فمن باب أولى ألا يكون وضع المسلمين كله فوضى ولكن المسلمين فرّطوا في هذا كله فرطوا في الخصائص وفرطوا في التنظيم وفرطوا في الشورى فأصبحوا غثاء كغثاء السيل أي لا وزن له ولا ثبات كما ورد في الحديث الشريف : « توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ فقال : بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » • أخرجه أبو داود •

ومن ثم فإن نقطة البداية في العمل إرجاع المسلمين الى وزنهم من خلال التربية على خصائصهم ليعود كل شيء الى نصابه وليكرمنا الله عز وجل ينزع الوهن منا •

ومن أفظـــع ما فرط فيه المسلمون في عصرنا موضوع الجماعة الواحدة والحزب الواحد فتمزقوا كل ممزق وتشتتوا تحت كل لواء إلا اللواء الجامع بحق لهم لواء الاسلام وفات الكثيرين ما ينبغي فعله للعودة بالمسلمين الى الجماعة الواحدة •

فاتتهم الخصائص والتربية عليها وفاتهم العلم اللازم لقيام الجماعة وفاتهم ضرورة الالتزام وفاتتهم الشروط السابقة أو اللاحقة لتحقيق ذلك كله •

و لانعلم أنه من بين خلق الله من فطن لهذا كله ولغيره من شروط قيام أو إقامة جماعة المسلمـين كما فطن الى مجموع ما يلزم لتحقيق الجماعة الاسلامية أهدافها على كل مستوى من صياغة للمسلم الى إقامة للـدولة المسلمة في كل قطر الى الوصول الى الدولة الاسلامية

العالمية وهـذا موضوع سنراه مرة ومرة في هـذه السلسلة مع رؤية الأدلة عليه .

تجد الآن مسلماً ليس لديه حظ من علم أو خصائص أو التزام نحو جماعة المسلمين ، وتجد مسلماً عنده شيء من علم ويفرط بعلوم أو عنده علم دون خصائص أو عنده علم وبعض خصائص دون التزام وكل ذلك تفريط يحتاج الى علاج ولقد كان في دعوة الاستاذ البنا العلاج لهذا أو غيره .

ـ والجماعة الاسلامية تخضع لقواعد صلبة في الأخلاقية العامة لها وفي آداب التعامل مع الآخرين فالمعاهدة معاهدة والغدر لا يجوز وظلم الآخرين حرام إلا أنه مع هذا كله أعطاها الاسلام مرونة كبيرة في الحركة ونهاية في موضوع الحزم في عالم كله غدر وخسة يظهر ذلك من قوله عليه السلام « الحرب خدعة » كما يظهر ذلك من أمثلة ثلاثة نختارها من كثيرات مثلها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم :

١ً ـ لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالاً وإن لي بها أهلا وإني أريد أن آتيهم فاننا في حلٍّ إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً فأذن له صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء فأتى امرأته حين قدم فقال اجمعي ما كان عندك فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استحيوا وأصيبت أموالهم ، وفشا ذلك بمكة وانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحاً فعقر العباس وجعل لا يستطيع أن يقوم فأرسل غلامه الى الحجاج فقال : ويلك ماذا جئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خيرٌ مما جئت به فقال الحجاج للغلام : قل له فليخل لي بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على ما يسره . فلما بلغ الغلام باب الدار قال : أبشر يا أبا الفضل ، فوثب العباس فرحاً حتى قبله بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه .

ثم جاء الحجاج فأخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم فتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله فيها واصطفى صفية بنت حيي وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، ولكني جئت لمالٍ لي هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ما شئت فاخف عني ثلاثاً ثم قل ما بدا لك ، فجمعت امرأته ما بدا لها من متاع وحلي فدفعته اليه ثم سرى به ثم أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب وقالت لا يحزنك الله أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال : أجل لا يحزنني إلا هو ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا فتح الله خيبر على رسوله وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى النبي صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به • قالت : ما أظنك والله صادقاً • قال : فإني صادق والامر على ما أخبرتك ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مرّ بهم لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل قال لم يصبني إلا خير بحمد الله قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثاً وإنما جاء ليأخذ ماله ثم ذهب • فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وخرج المسلمون حتى أتوا العباس فأخبرهم الخبر فسرّوا •

٢ ــ ورد في الحديث عن جابر مرفوعاً قال : « من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن سلمة يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال نعم، قال : ائذن لي فلأقول • قال: قل • فأتاه فقال له ، وذكر ما بينهم وقال : إن هذا الرجل قد أراد صدقة فقد عنانا فلما سمعه قال : وأيضاً والله لتملنّه قال : إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير أمره وقد أردت أن تسلفني سلفاً

قال : فما ترهنني ؟ ترهنني نساءكم ؟ قال : أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا ؟ قال : ترهنوني أولادكم ؟ قال : يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة ــ يعني السلاح ــ قال : نعم • ووعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر فجاءوا فدعوه ليلاً فنزل اليهم ، قالت له امرأته : إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم قال : إنما هو محمد ورضيعي أبو نائلة ، إن الكريم لو دعي الى طعنة ليلاً لأجاب • قال محمد : إني اذا جاء فسوف أمد يدي الى رأسه فإذا استمكنت فدونكم ، فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا : نجد منك ريح الطيب قال : نعم تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب ، قال : فتأذن لي أن أشم منه ؟ قال : نعم فشمّ فتناول ثم قال : أفتأذن لي أن أعود ؟ فاستمكن من رأسه ثم قال : دونكم ، فقتلوه » • للشيخين وأبي داود•

٣ً ــ جاء في الحديث الشريف عن جابر قال : « أن سعد بن معاذ رُمي يوم الاحزاب فقطعوا أكحله أو أبجله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فتركه فنزفه الدم فحسمه أخرى فانتفخت يده فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم على حكمه فحكم فيهم أن تقتل رجالهم وتستحيا نساؤهم يستعين بهن المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات • للترمذي •

من خلال هذه الامثلة الثلاثة ندرك أن المرونة في الحركة والحزم في العمل لا بد من توافرهما في حركة الجماعة المسلمة وهي تتحرك في خضم صراعاتها المتعددة الجوانب لتحقيق أهدافها ، فإذا أدركنا هذا كله أدركنا بعضاً من قضية الجماعة الاسلامية الواحدة. هذه الجماعة الواحدة يعتبر كل مسلم جزءاً منها • قال عليه السلام :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان • وقال عليه السلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً • وشبك بين أصابعه » أخرجه الشيخان والترمذي • من مثل ذلك ندرك مقدار التلاحم بين المسلمين تلاحم لا يفوقه تلاحم قرابة أو حزبية أو عصبية أو أي شيء آخر •

وإذا كانت الجماعة هذا شأنها فلا يجوز لمسلم الخروج منها قال عليه السلام : « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » • وقال عليه السلام : « يد الله مع الجماعة ومن شذّ شذّ في النار وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » وقال الله عز وجل : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » كما لا يجوز لمسلم الخروج عليها « ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه ولا يرد عليّ الحوض » أو كما قال عليه السلام •

وعلى كل مسلم ألا ينتسب لتنظيم أو جهة ليست من الجماعة لأن الطاعة لا تجوز إلا لأولي الامر من المسلمين وتحرم على غيرهم اختياراً قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم بعد إيمانكم فتنقلبوا خاسرين » « ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون » •

وكما حرم الله عز وجل علينا أن نعطي الطاعة لغيرنا حرم علينا أن نعطي الولاء لغيرنا قال تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن

العزة لله جميعاً » • وقال تعـالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخـذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً » وقال تعالى : « لا يتخـذ المؤمنون الكافرين أوليـاء من دون المؤمنين » وقال تعالى : « لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم » وقال : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » وعلى المسلم ألا يكثر سواد غير المسلمين في شأن قال عليه السلام : « من كثر سواد قومٍ فهو منهم » وروى الترمذي عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قوله : « لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم » •

ـ ولنتأمل هذه الآية الجامعة : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ».

ـ وعلى المسلم أن يفجر طاقاته كلها في خدمة دين الله عز وجل وداخل إطار الجماعة المسلمة ففي الحديث الشريف « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » •

ونظن أنه بعد كل ما مر وضحت مسائل البديهية العاشرة وعرف أنها كلها من البديهيات وإن كان قسم كبير من هذه البديهيات أصبح من المنسيات عند كثـير من المسلمين ، هذا ونكتفي بهـذا القدر من البديهيات في هذه الرسالة لأن البديهيات الاخرى لا تكاد تغيب إلا عن القليل ومحل عرضها في كتب العقائد • ولعل فيما ذكرناه هنا من بديهيات ما يكفي ليحرر المسلم نفسه من أسر ما حوله ويرجع الى الله

عز وجل ليربط مصيره بمصير الاسلام والمسلمين فقد آن للمسلم أن يتذكر بعد أن رأى ما رأى من مآسٍ وطغيان وانحراف وظلم وتسلط سببه نسيانه البديهيات الاولى وكيف لا يفعل وهو الوارث الوحيد لهدي الانبياء وهو الذي على عاتقه تقع مسؤولية إحياء تراث الانبياء •

ولنلاحظ قبل أن نقول كلمة الختام لهذا الباب : إننا لم نرد أن نمسّ قضية البديهيات في هذه الرسالة إلا مساً رفيقاً ولم نرد أن نتوسع في قضية وحدة الجماعة الاسلامية وخصائصها ومقوماتها لأن ذلك محله أبحاث أخرى في هذه السلسلة وإنما أردنا هنا فقط أن نذكر بما لا ينبغي أن يختلف فيه اثنان من المسلمين •

وأخيراً نقول :

إذا أدرك المسلم هذه البديهيات العشر فانه يدرك حقيقة الاختلاف بين أبناء الحركة الاسلامية وبين غيرهم من حملة الاسلام والداعين اليه فليس الخلاف بيننا وبين أحد حول ضرورة تصفية القلوب أو حول ضرورة الأناة أو حول ضرورة التمويه أو حول ضرورة الروح الجهادية أو حول ضرورة استيعاب ساحة المعركة وأبعادها المحلية والعالمية أو حول ضرورة وجود أبواب مفتوحة آمنة للدعوة الى الله أو حول أي شيء هو من الاسلام أو يخدم الاسلام أو يحتاجه المسلمون • وإنما الخلاف حول بديهيات منسية وحول أهداف مفروضة يغفل بعض المسلمين عن السير لتحقيقها أو لا يعطون هذه الاهداف مجموع احتياجات تحقيقها •

ونقول لإخواننا : إن عليهم أن يكونوا دقيقين جداً وهم يدعون أو يناقشون فلا يفرطون في القضية الاساسية على حساب قضية فرعية ولا يجعلون الخلاف بيننا وبين غيرنا حول قضايا نحن في الاصل

لا نختلف مع أحد عليها وفي ذلك إبعاد لنا عن جوهر المعركة وحجاب بيننا وبين إخواننا المسلمين .

ولكي تكون معركتنا واضحة المعالم وأنها المعركة بين ورّاث الانبياء وأعداء الانبياء وأنها الصراع بين هدى الانبياء وباطل أعدائهم ، ولكي تكون معالم هدى الانبياء واضحة وعلامات طريق المجرمين واضحة فإن البابين اللاحقين سيكونان في هاتين القضيتين ليعرف كل الناس ماهية قضيتنا وليدركوا حقنا في متابعة هذا الصراع حتى نهايته التي هي إخضاع العالم لكلمة الله إنقاذاً للانسان وتحريراً للانسانية من الطغيان .

* * *

الباب الثاني

تراث الأنبياء

تراث الأنبيـــاء

لم تزل البشرية بكثرتها الكاثرة تقدس الانبياء وهديهم عـلى دعاوى في هذا الشأن يدعيها بعض المنتسبين الى بعض الانبياء في أنهم وحدهم أصحاب الحق ووراث الهدى •

ولم يزل الرافضون لهدي الانبياء والكافرون بهم يفلسفون هذا الرفض ويزخرفون هذا الكفر وفي خضم الدعاوى والزخرفة الكذوب وجدت غشاوات في أذهان الكثيرين حول تراث الانبياء وهذا يقتضي منا جلاء لهذا الموضوع •

والبشرية بحكم أصل الفطرة وأصل الخلقة لم يزل مستقراً في ضميرها الحرص على أمور والتطلع الى أمور والتقديس لأمور ، فهناك مثلاً حرص عند الانسان على معاني الحرية وتطلع الى العدل وتقديس لكل ما هو انساني وهكـذا قل في أمور كثـيرة ، ولكن الملاحظ أن البشرية في هذا كله وأمثاله تضيع بمعزل عن هدي الانبياء فهي تتطلع أحياناً الى الشيء وتسير في الطريق المعاكس وتقدس شيئاً وتهتك حرمته عملياً وتحرص على كل شيء ولكن في غمار الحرص عليه تغلو فيصبح الدواء داء • فما أكثر دعاوى الانسانية وما أكثر الإغراق في الحيوانية وما أكثر دعاوى العدل وما أكثر ما يرتكب من ظلم باسمه وما أكثر ما بذلت البشرية للحصول على الحرية وما أكثر ما اغتيلت الحرية باسم

الحرية وهكذا قل في كل الاشياء المستقرة في الضمير البشري بحكم أصل الفطرة وهذا يقتضي منا نوع بيان في حدود هذه الرسالة لمجموعة من الأمور ومحلها ومضمونها في هدي الانبياء عليهم السلام •

فلنبدأ عرض مجموعة هذه القضايا :

ما من وحي أنزله الله عز وجل على رسول أو نبي إلا وهو اسلام وما من رسول أو نبي إلا وهو على الاسلام لأنه ما من نبي ولا رسول إلا وهو مستسلم لأمر الله ونهيه ومؤمن بما أوحاه الله إليه والى غيره من رسل الله وأنبيائه وذلك هو الاسلام ومحل تفصيل ذلك في كتابنا « الاسلام » من سلسلة الاصول الثلاثة •

هذا الاسلام الـذي هو دين الله عز وجل نصوصه الوحيـدة الصحيحة الثابتة هي نصوص الوحي الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فليس عندنا ما نتعرف فيه على وحي الله الذي أنزله على رسله جميعاً إلا نصوص القرآن والسنة الثابتة ولا ننفي أن توجد نصوص فيما نقل الينا من وحي قديم يمكن أن يكون لها أصل إلا أنها نصوص مخلوطة جزماً بما ليس وحياً، كما أنها نصوص لا تستطيع الجزم بأصلهـا والـذي يدلنا على أن لها أصلاً أولا هي موافقتها لنصوص الكتاب والسنة أولا ، وليس عندنا طريق آخر وإذا كان الوحي الذي أنزله الله عز وجل على أنبيائه ورسله السابقين قسم منه ذو طابع محلي أو مرحلي وإذا كان الوحي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ذا صفة عالمية ودائمة ، وإذا تضمن الوحي الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم كل الوحي السابق من حيث المضمون ، فقد جعله الله عز وجل ناسخاً لكل ما سواه وهو وحده الذي كلف الله عز وجل به البشرية ولا يقبل الله عز وجل ديناً سواه يقول عليه السلام :

« والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هـذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » والأمة في هذا الحديث أمة الدعوة وهي البشرية جميعاً لأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الى الناس جميعاً « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ... »

وهاهنا قضايا متعددة لا بد أن نتحدث عنها تفصيلا :

ـ أولا : إن نظرة واحدة على كتب العهد القديم وخاصة الاسفار الخمسة الأولى التي تعتبر عند يهود اليوم ونصارى اليوم توراة موسى تريك بما لا يقبل الجدل أنها ليست هي التوراة التي أنزلت على موسى بعينها : أولاً للأغلاط العلمية فيها . وثانياً لتناقض كثير من نصوصها مع بعضها ، وثالثاً لهبوط كثير من نصوصها عن مستوى أن تكون وحياً ، ورابعاً لأن فيها ما يدل على أنها كتبت بعد فترات طويلة من وفاة موسى عليه السلام، وخامساً لأن فيها ما يناقض حقائق تاريخية، ثم لأن في كتب العهد القديم نفسها ما يدل على أن قسماً من التوراة كان ضائعاً وعثر عليه فيما بعد فلما عثروا عليه وجد اليهود أن ثمة تناقضاً كبيراً بين ما فيه وبين ما هم عليه هذا ودولتهم قائمة ، فاذا كان هذا شأن التوراة المعتمدة عند اليهود والنصارى اليوم فما بالك بغيرها من كتب العهد القديم ، وحتى لا يكون كلامنا محل تهمة فهذه أدلة ما ذكرناه :

ـ في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية ما يلي :

« فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم » إن هذا النص يدل بما لا يقبل الجدل أن بين كتابة التوراة الحالية وبين نزولها مئات السنين وهذا النص حتماً ليس من

التوراة لأنه يتحدث عما بعد موسى عليه السلام مما يدل على أن كُتّاب التوراة لم يحاولوا إفرادها عن غيرها •

لا شك أن أي أمة تحرص على معرفة قبر رسولها فأن يضيع قبر موسى فلا يعرف ثم تكتب التوراة بعد ذلك إن هذا يدل على أن بين كتابة هذه التوراة وبين نزولها مئات السنين وهي فترة كافية لأن تغير التوراة الحقيقية خاصة والله عز وجل كلف أهلها أن يحفظوها قال تعالى : « يحكم بهـا النبيون الذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » • محمد فهمي الهدان

ـ في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الثاني هذا النص:

« فقال حلقيّا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب ، وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه ، وجاء شافان الكاتب الى الملك ورد على الملك جواباً وقال : قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة في البيت ودفعوها الى يد عاملي الشغل وكلاء بيت الرب • وأخبر شافان الكاتب الملك قائلا : قد أعطاني حلقيّا (الكاهن) سفراً• وقرأه شافان أمام الملك ، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه وأمر الملك حلقيّا الكاهن وأخيقام بن شافان وعكبور بن ميخا وشافان الكاتب وعسايا عبد الملك قائلا : اذهبوا اسألوا الربّ لأجلي ولاجل الشعب ولأجل كلّ يهوذا مِن جهة كلام هذا السفر الذي وجد ، لأنه عظيم غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن آباءكم لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا » •

هذا الاصحاح يتحدث عن الملك يوشيّا الذي حكم بعد سنين كثيرة من حكم سليمان وداوود عليهما السلام فاذا كان سفر الشريعة ضائعاً ثم وجد ومن يدري إذا كان مثلا قد عثر عليه ولم يكن قد كتب وقتذاك فكيف ببقية الأسفار ؟ وواضح من النص أنه حتى المعاني كانت

ضائعة لانهم عندما قرأوا سفر الشريعة وجدوا تناقضاً كبيراً بين ما هم فيه وبين مافي السفر وهذا كله يشير الى أن التوراة التي أنزلت على عهد موسى ليست هي بعينها الموجودة بأيدينا •

ـ في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج هذا النص :
« وقال ـ أي الله عز وجل لموسى ـ لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراني ويعيش » وفي الاصحاح الرابع والعشرين من السفر نفسه هذا النص : « ثـم صعد موسى وهارون وماداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا إله إسرائيل ••• فرأوا الله وأكلوا وشربوا » لاحظ التناقض بين النصين فكيف يمنع موسى من رؤية الله ويقال له : لأن الانسان لا يراني ويعيش ثم يرى السبعون مع موسى وهارون الله • إن مثل هذا التناقض وهو كثير في ما يسمى التوراة الحالية يدلك على أنها ليست هي التوراة الاصلية •

ـ في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين كلام عن زنى بنات لوط بأبيهما دون علمه وفي الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين أن رأوبين زنى بسريّة أبيه يعقوب وأمثال ذلك كثـيرة في التوراة مما يدل على أن هذا الكتاب المكتوب باسم التوراة يهبط كثيراً عن أن يكون يقص بحق وحياً يعرض على الناس حياة القدوة من الانبياء والأولياء كما هم في حقيقة الحال •

ـ في الإصحاح الاول من سفر التكوين ما يفيد أن النجوم قد خلقت في السماء بعد أن أخرجت الارض عشبها وشجرها وذلك يتناقض مـع حقائق العلم المعاصر بينما النصوص القرآنية تذكر قضية خلق السموات والأرض بمـا لا زال الانسان يكشف بعض أسراره شيئاً فشيئاً • وهذا مما يدل على أن النص التوراتي قد حُرّف •

ـ في الإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج بمناسبة الكلام عن غرق فرعون : « وأجابتهم مريم : رنموا للرب فقد تعظم ، الفرس وراكبه طرحهما في البحر » ومن المعلوم أن كل من هو مظنة أن يكون فرعون موسى وجـدت جثثهم محنطـة في حفريات آثار مصر ويأتي القرآن ليقول : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » فالنص القرآني هو الذي يفسر غرق فرعون ووجود جثته محنطة الآن • من هـذه النماذج ندرك أن التوراة لايمكن أن تكون مظهر وحي الله الخالص ولا يمكن أن يتمثل فيهـا التراث الصافي للأنبياء • بل هي لا تصلح أن تكون مصدر ثقة للتلقي عنه في أي أمر •

ـ ثانياً : وإن نظرة واحدة على زبور داوود عليه السلام كما هو موجود في أسفار العهد القديم والمذكور تحت اسم المزامير نجد فيها أن الزبور قد اختلط بما هو قصائد من نسج داوود كما اختلط بما هو قصائد لغيره ، مما يؤكد أنه لم يبق صافياً فمثلا هناك مزامير لآساف ومزامير لسليمان في نفس القسم الذي يكتبون في نهايته : تمت صلوات داوود بن يسّى ، والملاحظ أنه في هذا القسم نفسه مزامير تذكر على أنها قصائد لنفس داوود بينما نجد مزامير لا تذكر تحت عنوان كهذا ، وكأن في ذكر مزامير دون عنوان ما يشير الى أن هذه وحي خالص ، فاذا كان الأمر كذلك بالنسبة لكتاب سماوي فكيف نستطيع توثيق نقل ناس هذا شأنهم في إهمال وحي الانبياء •

ومن هنا ندرك احتياج البشرية الى كتاب وحي موثق عن الله عز وجل ، ومن هنا ندرك كيف أن وجود القرآن شيء تقتضيه احتياجات الانسان لمعرفة وحي الله الخالص ودينه الصافي •

ـ ثالثاً : وإن نظرة واحدة نلقيها على كتب العهد الجديد تدلنا على أن رسالة المسيح منعدمة فيها وأن مجموع كتب العهد الجديد

ليست إلا آثار مدرسة تتنافى تنافياً كاملا مع مدرسة المسيح عليه السلام وهذا دليل ذلك :

إنه من الملاحظ أن العهد الجديد كله تقريباً هو من آثار مدرسة بولس الذي لم يكن من تلاميذ المسيح حتى الأناجيل الاربعة كلها من آثار مدرسة بولس .

والملاحظ أن بين هذه الأناجيل تناقضات كثيرة في الحادثة الواحدة مما يدل على أنها ليست وحياً . كما أن من الملاحظ أن بولس نفسه يذكر في كثير من رسائله اختلافه مع تلاميذ المسيح المباشرين أي مع الحواريين أنفسهم مما يدل على أن اتجاهاً مغايراً لاتجاه حواريي المسيح الذي هو المدرسة الحقيقية للمسيح هو الذي استقر في كتب العهد الجديد وهذا يؤكد أن صراعاً ما قد حدث بين اتجاه مدرسة المسيح الحقيقية وبين المنحرفين عنها . فاذا عرفنا أن كل كتب العهد الجديد من آثار بولس فهذا يدلنا على أن الاتجاه المنحرف هو الذي تغلب عند النصارى وبالتالي فان كتب العهد الجديد كلها ما هي إلا المظهر التحريفي لرسالة المسيح وإن حوت ففرات صالحة إلا أننا لا نحكم على صلاحها الا من خلال القرآن الذي أعطانا الصيغة الكاملة للحق في كل شيء ولنلاحظ هذه النقول من كتب العهد الجديد :

ـ في الإصحاح التاسع عشر من إنجيل متى هذا النص :

« وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاحٍ أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له : لماذا تدعوني صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ، ولكن إن أردت أن تدخل في الحياة فاحفظ الوصايا » .

من ملاحظة هذا النص تدرك كم هنا من متناقضات بين مجموع معاني كتب العهد الجديد التي تجمع مثل هذا ومثل أن المسيح ابن الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ـ في الإصحاح الخامس عشر من أعمال الرسل : « فحصل بينهما مشاجرة » أي بين برنابا تلميذ المسيح المباشر وبين بولس « مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر » .

ـ في الإصحاح السادس عشر من رسالة بولس الى أهل رومية : «وأطلب إليكم أيها الأخوة أن تلاحظوا الذين يصيغون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه وأعرضوا عنهم ... » .

وإذن فهناك تعليم ومعلمون على غير أسس بولس .

ـ في الإصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الاولى الى أهل كورنثوس : « أنا تعبت أكثر منهم جميعاً » أي من جميع رسل المسيح عليه السلام وهذا يشير الى أن بولس كان يؤكد تميزه عن تلاميذ المسيح .

ـ في الإصحاح الحادي عشر من رسالة بولس الرسول الثانية الى أهل كورنثوس : « لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح » .

ـ في الإصحاح الثاني من رسالة بولس الى أهل غلاطية : « ولكن لما أتى بطرس (حواري المسيح الاول) الى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً .... ورأى معه باقي اليهود حتى إن برنابا أيضاً انقاد الى ريائهم » من هذا النص ندرك أن مدرسة بولس شيء ومدرسة تلاميذ المسيح شيء آخر فاذا عرفنا ذلك وعرفنا أن مدرسة بولس وحدها هي التي تلبت وأن بولس كان يهودياً من أشد أعداء

المسيح ثم ادعى بعد رفع المسيح بسنين أن المسيح ظهر له ثم بدأ يدعو الى دعوة تغتال تعاليم المسيح وتعاليم تلاميذه المخلصين ، وإذا عرفنا ذلك أدركنا أن كتب العهد الجديد لا تصلح أن تكون مصدراً موثقاً للوحي .

ـ رابعاً : من هـذه النظرات السريعة على أهم مصادر الوحي خلال العصور ندرك أن هذه المصادر في وضعها الحالي لم تعد محل ثقة يمكن أن تقوم بها حجة . فإذا كان هذا شأن هذه المصادر فما بالك بالمصادر الدينية الأخـرى التي تنزل عن هذه . إنه لا تقوم الحجـة الكاملة على الانسان كل إنسان إلا اذا جاء مصدر يملك كامل الثقة على أنه وحي الله الخالص .

كما أن هذه النظرات تدلنا على احتياج البشرية الى مصدر ثقة للوحي يأخذه الانسان بلا تحفظ يكون مصححاً للخطأ وبياناً للانسان وقد كان ذلك هو القرآن ، وقد جعل الله عز وجل في هذا القرآن من ألوان الإعجاز ومن كثرة المعجزات مالا يبقى معه شك أن هذا القرآن من عند الله ، ومن إعجازه إحاطته بكل الوحي السابق بحيث حوى وحي الانبياء جميعاً وزاد على ذلك كل ما تحتاجه البشرية في مسيرتها العالمية الى قيام الساعة ، وقد وعد الله عز وجل بحفظه من التغيـير والتبديل لتبقى الحجية فيه قائمة الى قيام الساعة ومن ثم فان القرآن فيه تراث الانبياء كلهـم وزيادة ، ومن ثم كان الاسلام هو الصيغـة الوحيدة للحق وهو الصيغة الوحيدة الملزمة للانسان وهذا يعطي أهله وحملته حقوقاً خاصة إذ هم وحـدهم المنفذون لأمر الله عز وجـل ولتوضيح هذه القضايا نقول :

إن اللـه عز وجل قد جعـل في هذا القرآن من مظاهر الإعجاز مالا يحاط بـه بحيث تقوم به الحجـة على كل انسان وكل مظهر من

مظاهر الإعجاز يستحيل معه أن يكون هذا القرآن بشري المصدر وقد ذكرنا طائفة من ظواهر الاعجاز في كتابنا « الرسول » أثناء الكلام عن المعجزة القرآنية وفصلنا ظواهر الإعجاز في كتابنا «الأساس في التفسير» •

هذا القرآن هو كتاب الاسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم والذي هو الصيغة النهائية والخاتمة لرسالات الله والذي هو الصيغة الوحيدة للتكليف الإلهي والذي لا يقبل الله عز وجل غيره ، وسنحاول في الفقرات التالية أن نذكر بعض ملامح هذا الاسلام مما تقتضيه طبيعة هذه الرسالة لندرك بذلك بعض معاني الإرث الضخم الذي ورثته أمتنا ولننتبه من خلال عرض هذه الملامح على كثير من الخطأ الذي يقع فيه بعض الناس •

ـ هذا القرآن قد حوى كل ما تحتاجه الحياة البشرية من هداية على مدى العصور وذكر من قصص الانبياء السابقين ومن هديهم ما استوعب كل هدي سابق تحتاجه الحياة البشرية في مسيرتها •

ـ صحح القرآن الكريم الأغلاط الموجودة في نسخ العهد القديم والعهد الجديد كأثر عن التحريف والتبديل والغلط ، بل صحح كل غلط في كل إرث ديني •

ـ ولهذا كله فإن القرآن وشارحته السنة الثابتة الطاهرة هو وحده التراث الصحيح للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو وحده الحق الذي لا يخالطه شك ولا لبس ولا باطل ولا غلط ، وبهذا يتأكد أننا نحن المسلمين وحدنا عندنا تراث الانبياء جميعاً وذلك لأن الله عز وجل بعد أن ذكر مجموعة من الانبياء في القرآن قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » •

ـ إن رسولنا عليه السلام هو مظهر الوراثة الكاملة لكل الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام سلوكاً وعملا • وإن الوحي الذي أنزله الله عز وجل عليه فيه تصديق الوحي السابق وفيه كمال زائد قال تعالى: « ونزلنا عليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه »•

والآن بعد هذه النظرا تالسريعة والملاحظات الخفيفة فقد آن أن نتحدث عن بعض ملامح تراث الانبياء عليهم الصلاة والسلام المتمثل بهذا الاسلام وهي ملامح نعرضها على الطريقة نفسها التي سرنا بها في هـذه الرسـالة إذ نجمـل ولا نفصـل فللتفصيل مكانة في غـير هذه الرسالة وسنرى أثناء عرضنا لهذه الملامح أخطاء نصححها من خـلال ذلك وسنرى كذلك كيف أن كـل التطلعات العليـا للانسان تتطابق مع هدي الأنبياء دون معنى زائد أو معنى منحرف ، وهـذا وحده يدل على أن خالق الانسان ومنزل الاسلام واحد وهو الله رب العالمين ، وإذا أدركنا ذلك أدركنا فظاعة جرم الذين يحولون دون ظهور هذا الاسلام كما ندرك فظاعة الكارثة في حق الانسانية كلها إذ نضعف عن حمل هذا الدين حق حمله •

ـ أولاً : إن الاسلام معيار لا يسع غيره أي لا يقبل أن ينافسه غيره على النفس البشرية وعلى السيطرة على الحياة البشرية فالاسلام يعني استسلام الفرد والجماعة والانسانية لله رب العالمين في كل شيء ومن ثم فلا إسلام بدون هذا الاستسلام •

إن كثيرين يحسرون الاسلام عن الحياة حتى لا يبقى لهذا الاسلام إلا دائرة ضيقة وإ نكثيرين يقيمون الاسلام من أنفسهم إقامة أقل مما يقيم به أصحاب الدعوات الباطلة دعواتهم ، وإن كثيرين يتصورون أن الاسلام يقبل من أتباعه بأقل مما تقبل الدعوات الارضية من أتباعها فمثلاً : الشيوعيون لا يرضون من الشيوعي أن تبقى فيه ذرة لغـير

الشيوعية ، والشيوعي الحقيقي لا يرضى بتعطيـــل جزء من النظرية الشيوعية • هذا والشيوعية لم تجب إلا بعض أجوبة وخاطئة ، أفيرضى الاسلام من أبنائه وهو الذي أجاب على كل سؤال إجابة صحيحة أن يبقى في المسلم لغير الاسلام أو يبقى جزء من الاسلام معطلا •

إن أي دعوة أرضية لم تغط إلا جزءاً من واقع الانسان ومع أن تغطيتها لهذا الجزء إما باطلة وإما قاصرة وإما مخلوطة ، ومع ذلك فإنها تطالب الانسان بأن تنبثق تصرفاته على ضوئها فهل يقبل الاسلام وهو التغطية الكاملة الصحيحة للحياة الانسانية أن يشاركه غيره أو ينافسه غيره على هذه الذات البشرية ، إن هذا وهم وقصور فهم ، كيف والله عز وجل يقول : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » •

ـ ثانياً : إن الاسلام هو الصيغة الوحيدة لانسجام العقل مع ذاته ومبادئه ، فمبادىء العقل : الهوية والسببية والحتمية والغائية والتي يعبر عنها بأن الشيء هو ذاته وأن لكل حادثة سبباً ، وأنه إذا توفرت جملة الظروف لحادثة فلا بد أن تتكرر بشكل حتمي وأن كل شيء في هذا الكونفي وجوده حكمة ما ومن ثـم فالبحث وراء الحكمة هدف من أهداف السعي الانساني • إن الانسان الذي يطبق مبدأ السببية على حوادث الكون ولا يطبقه على الكون كله ليصل الى معرفة خالقه إنسان معطللعقل والانسان الذي يؤمن بمبدأ الغائية ولا يؤمن بوجود الله الذي خلق الاشياء على مقتضى الحكمة متناقض مع عقله ، والانسان الذي يرى ظاهرة خرق العادات إذا وجد الرسل معطّل لمبدأ الحتمية ، ومن ثم كان الايمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام هو السلام الحقيقي مع العقل وأن يؤمن الانسان بالله ورسله ثم لا يتلقى الهداية عنهم فذلك تعطيل كامل للعقل ومن ثم كان الإيمان بالإسلام هو السلام الحقيقي للعقل وهو وحده السبيل الوحيد لجعل الانسان لا يتناقض مع هذا العقل •

ـ ثالثاً : إن الاسلام هو الصيغة الوحيدة للعقلية العلمية الشاملة، فالاسلام أطلق للتفكير عقاله وللتجريب مداه ، ومن ثم فإن كل ما يصل اليه الفكر السليم أو التجريب الصحيح معتمد إسلامياً كيف لا والله عز وجل يقول : « قل انظروا ماذا في السموات والارض » « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » ولكن الاسلام في عالم الفكر والتجريب يربط الاشياء ببعضها والاسباب بما وراءها ، ومن ثم يأخذ على الذين يعرفون شؤون الكون ولا يربطون هذه الاشياء بما وراءها قال تعالى : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم » وقال تعالى واصفاً الكافرين : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » فالاسلام هو الصيغة العلمية الشاملة الوحيدة لكل شأن في أمر الغيب والشهادة والدنيا والآخرة ، فالطريق الموصلة الى معرفة القانون الحياتي معتمدة ، والطريق الموصلة الى معرفة القانون الرياضي معتمدة ، والطريق الموصلة الى معرفة الله معتمدة والطريق الموصلة الى معرفة اليوم الآخر معتمدة ، وكل ذلك طرق علمية معتمدة لدى العقل السليم الصحيح فبينما غير المسلم يعتمد بعضاً ويعطل بعضاً فالمسلم وحده يعتمد الطرق العلمية كلها للوصول الى كل الحقائق بطريق ذلك .

ومن أكثر الدعاوى في عصرنا عنجهية وغروراً دعوى الشيوعيين أنهم وحدهم يملكون القانون العلمي ، وهو موضوع سنناقشه في الباب القادم حيث نرى نماذج على تعطيلهم للعقل وللعلم في كثير من الأمور .

وههنا ننبه فقط على قضية في شأنهم :

إنك عندما تقرأ كتبهم تلاحظ أنهم يحشون كتبهم بقوانين علمية يعرفها طلاب المدارس الاعدادية ، ومن خلال هذا العرض لمثل هذه

القوانين يريدون أن نقتنع معهم بقانون جديد على أنه هو الحق فمثلهم في ذلك مثل الذي يضع بين مجموعة أمور صالحة شيئاً زائفاً لترويجه وذلك لا يمر إلا على جاهل أو مغرر به أو متعصب للباطل بسبب هوى ، وكثيراً ما تجدهم يضعونك أمام مثل هذه الصورة : لقد رأينا الشمس وهذا دليل على أن القمر ليس موجوداً ، هذه تقريباً خلاصة القضية في الفكر الشيوعي كله كما سنرى في الباب القادم ، ومن ثم فهم يدعون العلم وليسوا على علم ، ويدعون العقلانية والعقل ضدهم ، ويدعون البحث عن القانون ويفرون من القانون ، ويعرضون مسيرة التاريخ وكأنه لولاهم لم يكتشف الناس حقيقة كونية في الوقت الذي لم يكرمهم الله بأن يكتشفوا حقيقة علمية ، فهم في كل شيء عالة على غيرهم وفي المقابل نجد الفكر الرأسمالي المخلوط بالأهواء والشهوات والاغاليط والموجه بدوائر التوجيه الخفية التي تستخدم العالم لصالح الهوى .

والاسلام فيما بين هذه الدوائر وغيرها يضع كل شيء في محله : العقل والعلم والقانون العلمي ويدل على الطرق الموصلة لكل حقيقة ويقدرها ويطالبنا باعتمادها والمسلم الحق لا يفر من حقيقة ولا يخشى علماً بل يطلبه ، ولا يتناقض مع عقل بل يحكّمه ويبحث عن القانون ويسخره في الطريق الذي يعمر به هذا العالم على منهج الحق الخالص .

ـ رابعاً : إن الاسلام هو الصيغة الوحيدة لتفجير طاقات الانسان كلها في إطارها الصحيح فبينما تجد غير الاسلام يعطل طاقات الانسان أو يُفجّرها تفجيراً خاطئاً في الطريق الخاطىء ، نجد الاسلام يفجر كل طاقات الانسان في الطريق الصحيح ، إنه ما من طاقة في الانسان إلا ويفجرها الاسلام في طريقها الصحيح ، فالطاقة العقلية تنطلق ضمن

قوانين العقل الشاملة الى حقول التأمل والتجريب وفي إطار من الشمول الذي يسع ظواهر الكون كلها، والطاقة النفسية تتفجر في أطرها الأخلاقية كلها بحيث تسع كل جوانب النفس البشرية فلا يبقى قلق للنفس في وضعها الصحي إلا تفجر قاطعاً الطريق على التفجر المرضي لإقلاق النفس البشرية ، والطاقة القلبية التي لا يعرفها أصلا إلا المسلم تأخذ مداها ، والطاقة الروحية التي لا يحس بها غير المسلم تأخذ مداها ، وطاقات الجسد يفجرها الاسلام في طريقها الصحيح بحيث لا تنعكس بها على أي جانب من جوانب الحياة آثاراً سلبية ، وعند المسلم لا توجد طاقة معطلة ، لا طاقة جسدية ولا عقلية ولا روحية ، ولا يوجد عنده تفجير خاطىء لأية طاقة من هذه الطاقات ، بينما غير المسلم نجد طاقته العقلية تتفجر في جانب دون جانب وطاقته النفسية تتفجر تفجرات مرضية فتنعدم عنده كثير من الأخلاق العليا للنفس البشرية ، وطاقته القلبية معدومة فلا يحس أصلاً بشيء اسمه قلب فضلا عن أن يستشعر طاقة القلب ، وطاقته الجسدية يفجرها في طرق خاطئة سواء أكانت طاقة جنس أم طاقة انتاج أم طاقة نضال أم طاقة حيوية ، ولا يدرك الكثير من الناس هذه المعاني بسبب من قصور كثير من جوانب انسانيتهم كما أن الكثيرين تغيب عنهم جهلاً هذه الأمور . وبمناسبة الكلام عن كون الاسلام هو التفجير الأرقى للطاقات البشرية ، والاسلام كذلك هو التسخير الارقى للكون بما يحقق سلام النفس البشرية فالاسلام يريد من المسلم أن يستفيد من كل ما خلق الله على هذه الارض قال تعالى: « هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها » وقال : « هو الذي جعلكم خلائف الأرض » وقال : « هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعاً » وقال : « ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض ... الآية » من هذا كله ندرك أن الاسلام أراد أن يستفيد الانسان من طاقات الكون كلها ضمن الاطار الذي حدده الله عز وجل

ومن ثم فالمسلم تتفجر طاقاته كلها ويفجر طاقات الكون كلها بتوازن كامل يحقق للكون سلاماً ، وللنفس البشرية سلاماً ، ويعالج الظواهر المرضية كلها خلال هذا التفجير ولا يدرك هذا المدى الواسع لعملية التفجير هذه وآثارها في اتجاه سلام نفسي إلا من آتاه الله عز وجل نظرة شاملة ذات آفاق واسعة أما الذين أُحيط بأبصارهم وبصائرهم فلم يعودوا يرون إلا جزء الحقيقة فهؤلاء تغيب عنهم أكبر حقائق الوجود .

ـ خامساً : إن الاسلام هو وحده الذي يعطي الانسان وضوح الرؤية في كل شيء قال تعالى واصفاً كتابه : « هذا بصائر للناس » وقال : « قد جاءكم بصائر من ربكم » فهذا القرآن هو وحده الذي يجعل الانسان يرى الأشياء على حقيقتها ويرى الامور كما هي ، بينما الكفر يطمس على القلب فلا يرى الانسان به شيئاً رؤية صحيحة قال تعالى : « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » فالكافر يرى الشر خيراً والخير شراً والحق خطأ والخطأ صواباً ، والكبير صغيراً والصغير كبيراً . وكذلك المنافق ، قال تعالى في سياق الكلام عن المنافقين : « ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » فكما أن الكافر والمنافق لا يريان الاشياء على حقائقها فكذلك تجد رؤياهم متغيرة وطريقهم ملتبسة فبينما تجده اليوم على رأي تجده بعد ذلك على رأي آخر وكلا الرأيين خطأ فهما لا يعرفان الحدود ولا يعرفان الخطأ من الصواب والصواب من الخطأ فهما مبهوران بزخرف من القول لا طائل تحته يمشيان في ظلام يظنونه نوراً وكلما تكشف لهم ظلام ما هم عليه بهروا بخطأ آخر وظلمة أخرى ثم يتكشف لهم غرور ما هم فيه وهكذا دواليك الى مالانهاية له إلا النار « حسبهم جهنم يصلونها » على عكس المسلم الذي يرى الكون حقيقة ابتداء واستمراراً وانتهاء ، والذي يعرف الله عز وجل حق المعرفة والذي يعرف الانسان ودوره ومكانته في هذا الكون

ويعرف الطريق الذي ينبغي أن يسير عليه الانسان ويعرف ما يصادفه وما سيصادفه ويعرف ما هو الموقف الصحيح في كل مقام وله رأيه الواضح المنير في كل شيء حوله وكلما سار زادت رؤيته للأمور وضوحاً • فالرؤية اللاحقة تعمق الرؤية السابقة ولا تلغيها وكلامنا كله في المسلم المستضيء بنور العلم والتوفيق •

ـ سادساً :والاسلام هو الصيغة الوحيدة للانسانية العليا فالانسان يشترك مع الحيوان بقدر مشترك لا بد منه ولكن ما عدا هذا القدر فالانسان يتميز من الحيوان واستعدداته في هذا التميز عالية جداً حتى إنه ليستطيع أن يتخلص من مجموعة الاخلاق الحيوانية السيئة حتى فيما هو مشترك بينه وبين الحيوان يستطيع أن يرتقي في طرق الأداء والممارسة الى ما به يتميز من الحيوان ولن تزال البشرية إلا اذا ارتكست تنظر باعجاب الى فكرة الانسانية المتميزة من الحيوان ولا تزال في كل والشعب كلمة الحيوان سبّة توجه للانسان ، والاسلام هو الصيغة الوحيدة الشاملة التي أعطت هذه الانسانية المتميزة مداها وموازينها في كل شيء إنْ في خصائص النفس أو في أدب السلوك أو في الحياة اليومية أو في الحياة العامة حتى في صلاة المسلم تجد المسلم يتجنب افتراش الثعلب وإقعاء الكلب ونقر الديك • وللحياة الزوجية آدابها وللحياة المعاشية آدابها وللطعام والشراب آدابه وللتعامل الاجتماعي حدوده وأخلاقه وللمسلم آدابه في لباسه ومشيته وللمسلم آفاقه في التصورات والمشاعر وكل ذلك يرتقي به الى أعلى آفاق الانسانية قال تعالى : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » •

وإن إبراز هذا الجانب في هذا العصر مهم جداً إذ انتكست القيمة الانسانية عند خلق كثير حتى أصبحوا يعتبرون الحياة الحيوانية مثلهم الأعلى وفي ذلك من الانتكاس وتخريب نظام العالم ما فيه • وإن الذين

يفرون من الاسلام إنما يفرون من الصيغة الوحيدة للانسانية العليا الى صيغ من الحيوانية البهيمية لا حدود لها ، ولا نقول هذا ناسين ما يفعله الناس في القرن العشرين في مؤسساتهم الدولية والعامة من أجل تأكيد حقوق الانسان ورعاية شؤونه ولكن هذا إذا لم يقم على الاساس الأول لإنسانية الإنسان وهو معرفة الله وعدم التناقض مع هذه المعرفة فإن هـذه الجهود كلها تتعثر وما أكثر ما تخرق مـع أنها ليست كافية ولا كاملة .

ـ سابعاً : والاسلام هو الصيغة الوحيدة للحق الخالص في هذا العالم سواء في ذلك موضوع الربوبية أو موضوع الغيب أو موضوع العالم المحسوس أو في مكانة الانسان ، فالاسلام هو الصيغة الوحيدة للحق المطابق للواقع في هذه الأمور ، والانسان وهو مكلف من الله عز وجل بأنواع التكاليف لا يستطيع أن يجد الصيغة الوحيدة المطابقة للواقع فيما كلف به إلا بهذا الاسلام ، وكل محاولة للبحث عن حقٍّ آخر فيما وراء هـذا الاسلام إنما هي محاولة عابثة لا طائل تحتهـا ولنلاحظ كلمتنا (وكل محاولة للبحث عن حق آخر) إذ أننا لا ننكر أن يبذل الانسان جهوداً للوصول الى الحق ولكن لا حق وراء الاسلام في كل ما ذكرته نصوص الاسلام ، وما من شيء له علاقة في هداية الانسان وتبصيره إلا ذكرته هذه النصوص . ومن ثم فإن الوصول الى حق آخر يعارضه الاسلام أو يقابله أو ينقضه شيء مستحيل في منطق العقل ومنطق العلم ومنطق الواقع وههنا يجب أن نسجل احتراساً فنحن لا ننكر خطـأ الفهم للاسلام ولا خطأ العرض فما أكثر الذين يخطؤون في الفهم ويخطؤون في العرض ، ونحن لا ننكر سوء التطبيق فما أكثر الذين يدّعون ويسيؤون التطبيق ، وليس في ذلك كله مطعن في الحق نفسه وليس في ذلك ما ينقصه أو ينتقص منه فالبشرية في كل أعصارها تبتعد كثيراً أو قليلا عما تؤمن به ، فإذا كان الحق هو الموجه

فليس في الابتعاد عنه مطعن" فيه بل مطعن في المبتعدين ، والحق أقوى من أن يكون نقص المبتعدين عنه عاملا في هجرانه ، فالذين يبتعدون عن الاسلام بحجة خطأ الفهم أو سوء العرض أو سوء التطبيق يفرون الى الباطل فهم يفرون في هذا الى باطل وهوى ، أترى لو أن رواد الفضاء والمشتغلين فيه غلطوا في الحساب وترتب على هذا الغلط أشياء أيكون ذلك حجة لأحد في إبطال قانون الجاذبية أو حجة لاحد في التشكيك فيه أو الطعن • إن الحق حق وهو فوق أي اعتبار آخر وليس أحد يعفى من الايمان به والتزامه • إن الاسلام بالنسبة الى الانسان كالبديهية العقلية وكالحقيقة العلمية وكالقانون الرياضي فهو حق خالص لا يُعذر أحد في تركه أو ترك الايمان به ، ويقابل الحق الباطل ويقابله الضلال ، ويقابل أتباع الحق أتباع الهوى ويقابله أتباع الظن : قال تعالى : « فماذا بعد الحق إلا الضلال » • وقال : « إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً » ومن ثم فلا نجد إنساناً يفر من الاسلام إلا الى ضلال وإلا الى ظنون مهما سمي هذا الضلال بأسماء ، ومهما أعطيت هذه الظنون من ألقاب العلمانية والعقلانية والتقدمية وغير ذلك فالواقع شيء وذلك شيء آخر ، وأبرز دليل على هذا الثمار المرة التي تجنيها البشرية في خبطها وضلالها ، من ذلك تهدم نظام الأسرة والآلام التي ترتبت على ذلك في الشعوب الكافرة ، ومن ذلك آلام الحروب الطاحنة التي رأينا نماذجها وأسبابها وثمارها في الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكل ذلك أثر اتباع الهوى قال تعالى : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم وهم عن ذكرهم معرضون » •

ـ ثامناً : والاسلام هو الصيغة الوحيدة للعدل في الحكم أو المعاملة أو التوزيع ، قال تعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وإذ أمر الله عز وجل بالحكم بالعدل فقد أنزل صيغة العدل

الكاملة التي لا يمكن أن يوجد ما يكافؤها في أي صيغة أخرى ، فالاسلام في نظامه الاقتصادي أوجد صيغة العدل الوحيدة إنْ في نظام المعاملة أو في أسلوب تحقيق التوازن العادل في توزيع المال بما يحقق أكبر مردود في الانتاج وأقل قدر من الخصومة وأعظم تفجير لطاقات الانسان وأوسع توزيع لرأسمال الأمة وأخصب جوٍّ لنمو الامة اقتصادياً بما يخدم أهدافها الكبرى وكل ذلك ضمن صيغة تفصيلية لا تجدها في غيره •

والاسلام في نظامه الاجتماعي أوجد صيغة العدل الكاملة في العلاقات بين الأسرة والفرد ، وبين الزوجة والزوج، وبين الآباء والابناء، وبين الفرد وجواره ، وبينه وبين نقابته ودولته وجنسه والإنسانية بما لا يدرك حدوده إلا من درس هذا النظام تفصيلا ، والاسلام في نظامه السياسي أوجد صيغة للعدل الشامل إن في العلاقات بين الشعب والحكومة أو بين غير المسلمين والمسلمين أو في علاقات الامة بغيرها بما لا يُسبق به المسلمون في خلقٍ عال ولا في أدب إنساني •

وعندما ندرس الاسلام في أوامره الفردية تجد العدل على كماله حتى بين أعضاء الانسان وحواسه فعندما يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الانسان ألا يجلس في ظل وشمس بآن واحد نجد أمراً في العدل حتى بين أعضاء الانسان نفسه ، وعندما يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل ألا يستعجل إذا قضى حاجته من زوجته حتى تقضي حاجتها تجد في ذلك كله صيغاً للعدل لا تبقي جانباً من الجوانب إلا وصلت اليه •

وتفصيلات صيغة العدل الاسلامي تحتاج الى دراسة شاملة للكتاب والسنة وههنا نحب أن نشير الى أننا في سلسلتنا « الأساس في المنهج » أبرزنا كل هذه الجوانب التي ذكرناها كخصائص لدعوة الانبياء وصيغتها النهائية الاسلام •

ـ تاسعاً : والاسلام هو الصيغة الوحيدة للسلام الانساني :

فمن الواضح من تاريخ العالم أنه ليس غير المسلم الحقيقي أميناً على القيم الانسانية العليا من توحيد ومن حرية للأديان الاخرى في ظله ونظامه ، كما أنه لا يوجد غير المسلم أميناً على خصائص الانسان فبدون الاسلام تغيض الأخلاق الانسانية العليا لحساب الاخلاق الهابطة ولحساب الحيوانية ، وبدون المسلم يُعتدى على الاديان بأنواع من الاعتداء ، وبدون المسلم تصبح جميع البديهيات الحياتية محل نظر وتصبح كل الظنون والأوهام وكأنها حقائق ، فلا سلام للانسان مع عقله ولا سلام للانسان مع العلم ولا سلام للانسان مع نفسه وقلبه وروحه ولا سلام في محيط الأسرة ولا سلام عادلا بين الطبقات ولا بين الشعوب ولا بين الانسانية ، ومن ثم كانت فريضة الجهاد الاسلامية وإن أخذت مظهراً قتالياً إلا أنها في النهاية هي التي تحقق السلام النهائي في العالم ومن ثم نجد أن الله عز وجل يسمي السلام والاسلام باسم واحد لأن السلام الحقيقي هو الاسلام .

إن القلق النفسي والاضطراب والحيرة القاتلة لا حل لها إلا بالاسلام اعتقاداً وسلوكاً : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وإن سلام الأسرة لا يتحقق بلا اسلام حيث تتعادل الحقوق والواجبات في جو الرحمة والحب والحنان وصلة الارحام ، وإن السلام الاجتماعي لا يتم إلا بإسلام حيث يعطي المسلم لغيره الحقوق كاملة ويأخذ منه ما يحتاجه استمرار هذا السلام .

وإن السلام بين الشعوب لا يتم إلا بإسلام حيث يجعل الاسلام المظهر الفطري لحكمة تعدد الشعوب التعارف « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

وإن سلام الانسان مع الكون لا يتحقق بلا إسلام إذ الاسلام هو الذي حدد العلاقة المنسجمة مع كل جزء من أجزاء الكون • وبالاسلام ينال الانسان السلام من الله فلا يكون محلاً لنقمته وغضبه وانتقامه قال تعالى : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم » « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » •

وعندما يسود الاسلام العالم تعم جميع أنواع السلام على الارض، وحتى عندما تنحرف الأمور إسلامياً فان حظ المسلمين من السلام يبقى أكثر منه في أي مكان آخر • فمع كل ما حدث في المجتمع الاسلامي المعاصر من خلل فإن حظ أبناء الأسرة المسلمة من السلام أكبر من حظ أي أسرة أخرى ومع كل الصراعات التي حدثت داخل شعوب الأمة الاسلامية فإن آثار هذا الصراع تبقى أخف من أي صراع آخر يحدث بين أمم أخرى أو شعوب •

ومع كل التطبيقات الجائرة والخاطئة يبقى حظ المجتمع الاسلامي من السلام أكبر من أي مجتمع آخر لأن الاسلام يبقى معدّلا لظلم أي نظام دون أن يكون أداة تبرير لهذا الظلم أو عامل استمرار له بل دائماً يعطي الاسلام المظلوم قوة هائلة على دفع الظلم •

ـ عاشراً : والاسلام هو التعبير الصحيح والاصح للشورى على أي مستوى من المستويات فالاسلام وحده هو الذي يعطي الشورى صيغتها السليمة وذلك أن العالم بدون الاسلام لا يعرف الحدود الحقيقية للشورى ومن ثم يقع الخطأ في التطبيق سلباً أو إيجاباً سعة أو ضيقاً ولنر العالم من حولنا لنجد مصداق هذا القول : عالمنا اليوم مفتون بالديمقراطية ويعتبر أن الديمقراطية مسلّمة من مسلمات أي

نظام سياسي، ومن ثم تجد هذا العالم على اختلاف نظم شعوبه السياسية يتحدث عن الديمقراطية ويتبناها ، فالنظم الديكتاتورية تتحدث عن الديمقراطية وتتبناها وتدعي أنها تطبقها على الوجه الأمثل والنظم التي تقوم على فكرة الحزب الواحد تدعي الديمقراطية وتتبناها وتدعي أنها تطبقها على الوجه الأمثل والنظم ذات نظام تعدد الاحزاب تتبنى الديمقراطية وتعتبر أن تطبيقها لها هو التطبيق الأمثل ، والنظم الدستورية تدعي أنها ديموقراطية . وهكذا لا تجد جهة تمارس حكماً إلا وتدعي أنها ديموقراطية ثم إن كل نظام يعطي لديموقراطيته صفة من الصفات فهذه ديموقراطية حرة ، وهذه ديموقراطية مركزية ، وهذه ديموقراطية شعبية ، وهذه ديموقراطية مطلقة ، وهذه ديموقراطية دستورية ، وهذه ديموقراطية في ظل سيادة القانون وهكذا .

غير أنك إذا بحثت عن الجانب الذي هو محل اعتبار عام في قضية الديموقراطية عند الجميع فإنك تجده يتمثل في ثلاث دوائر .

ـ أولاً : أن القيادة السياسية يجب أن تنبثق عن أكثرية الأمة أو أن تكون بشكل ترضى عنه أكثرية الامة .

ـ ثانياً : وأن على هذه القيادة السياسية أن تكون منفذة لرغبات أكثرية الامة .

ـ ثالثاً : وأن البند الأول والبند الثاني ينبغي أن توجد لهما الصيغ العملية التي من خلالها يتعرف بها على رغبة الاكثرية في الدائرتين الأولى والثانية .

هذا هو القاسم المشترك بين فكر المتكلمين عن الديمقراطية حقيقة أو دعوى ومن ثم فإنك لا تجد أحداً يتكلم عن الديموقراطية إلا ويحاول أن يبرهن للناس أن هذه الأمور مجتمعة في ديموقراطيته ثم بعد ذلك ينقسم الناس في الدعوى في هذا الشأن :

فبعضهم يتبنى نظرية ما سياسية أو اقتصادية أو فلسفية ويعتبرها المسلّمة التي لا يجوز أن تُمس وأن الممارسة الديموقراطية يجب أن تكون على ضوئها وبعضهم يضيف الى هذه المسلمة دستوراً عاماً ينبثق عنها ويحدد مسار الأمة وكيفية مزاولة الديموقراطية على ضوء ذلك وتضيف الانظمة ذات نظام الحزب الواحد دستوراً داخلياً للحزب على ضوئه تكون الممارسة للديموقراطية داخل الحزب الذي يعتبر ممثلا حقيقياً لرأي أكثرية الأمة عندهم ومن ثم فما قرره الحزب يعتبر قراراً يمثل أكثرية الامة وبعضهم لا يقيد الديموقراطية إلا بقيد الدستور المنبثق عن أكثرية الممثلين للأمـــة سواء كانت أكثرية ذات نسبة عالية أو دنيا .

وفي كل صور الديموقراطية المذكورة تجـــد فراغاً هو : هـــل الديموقراطية لا حدود لها أو لها حدود ، هل هناك مسلمات لا يجوز أن تخرقها الديموقراطية أو ليست هناك مثل هذه المسلمات فما تراه الأكثرية من الامة أو ما تراه أكثرية ممثلي الامة في كل شأن هو الذي ينبغي أن ينفذ وإذا كان للديموقراطية حدود فمن الذي يضع هذه الحدود؟ وإذا كانت تستندعلى مسلمات فمن الذي يضع هذه المسلمات؟ هل هو العقـــل وحده أو رغبات الاكثرية وحـــدها ؟ فإذا قيل رغبات الاكثرية فهل رغبات الاكثرية دائماً عقلية وعلمية أم أنها قد تختلط بالهوى، وإذا قيل العقل ، فعقل مَن ؟ عقل الاقلية وإذن فلا ديموقراطية أو عقل الاكثرية وليس هناك من ضمانة أن يكون هذا العقل مجرداً عن الهوى أو أن يكون حكمه صحيحاً ، فالأكثرية في فرنسا مثلا نفذت بهياج مذبحة بروكلمان ضد البروتستانت ، والاكثرية في فرنسا بعد الثورة الفرنسية تصوّت بجانب الحرية الدينية ، والاكثرية في بريطانيا صوتت بجانب اعتبار اللواط جريمة ثم صوتت بجانب عدم اعتباره جريمة . ومن ثم نقول :

إن كل صيغ الديموقراطية المعروفة عالمياً عليها ملاحظات ومؤاخذات • ويكفي للتدليل على ذلك أن تقرأ ما يلاحظه كل أصحاب ديموقراطية على الديموقراطيات الاخرى ، وأن الصيغة الوحيدة للديموقراطية الحق هي الشورى الاسلامية •

إن الشورية الاسلامية تقوم على ركائز لا تقبل نقضاً :

١ً ــ ان ماهو حق ليس محلاً للمناقشة وليس محلا للشورى•

٢ ــ وأن ما ذكره الله عز وجل في كتابه أو ما ذكره رسوله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى هو الحق الخالص •

٣ً ــ وأن هذا الحقهو المسلّمات الوحيدة التيتقيد الشورى•

فإذا استقر هذا فانبثاق القيادة عن الاكثرية حق مقرر ، ووجوب استشارة الأمة في كل ما يخصها حق مقرر ، والصيغ التي يتحقق فيها هذا وهذا كثيرة والمهم هو الجوهر وكلما توسعت هاتان الدائرتان وانضبطتا يكون ذلك أجود •

وبهذا يكون الاسلام هو الصيغة العليا للشورية الحق والتطبيق الأصح لمبدأ الشورى إذ انضبطت الشورى في هذه الحالة فلا خروج على قواعد العقل ولا انحراف عن مبدأ العلم ولا وقوع في عالم الهوى ، وقاد الأمة بذلك من تحبه أكثريتها وفجرت طاقات الأمة العقلية بهذه الصيغة ووعت الامة بذلك كل قضاياها •

والذين يشكون في صحة ما قلناه عليهم أولاً أن يبحثوا هل القرآن من عند الله أولاً ؟ وهل الكتاب والسنة حق خالص فليس أمامهم إلا التسليم ومن قرأ بحث المعجزة القرآنية في كتاب الرسول من سلسلة « الأصول الثلاثة » عرف بالدليل القطعي أن هذا القرآن

من عند الله ومن قرأ سلسلة « الأساس في المنهج » عرف أن الكتاب والسنة حق خالص •

أما الـذين لا يؤمنون بالله أصلاً فهؤلاء نحيلهم عـلى كتابنا « اللـه جل جلاله » ليروا أنهم مخطؤون فإذا آمنوا بعد ذلك فعليهم ألا يتناقضوا مع هذا الإيمان فان الله وحده هو المحيط علماً بكل شيء وقد أنزل كتابه حقاً وبالحق •

وأما الذين يرون بعض جوانب سوء التطبيق في التاريخ الاسلامي وبالتالي يفرون من الاسلام أصلا فهؤلاء كذلك مخطئون إذ انحراف الناس عن الحق ليس فيه حجة لأحد في ترك الحق فالحق في كل زمان ومكان أحق أن يتّبع •

أما الذين يعتبرون أن سوء التطبيق يعود الى مثالية في الحكم القرآني غير قابلة للتطبيق فهؤلاء كذلك مخطؤون • لأن الله عز وجل جعل شريعته سهلة سمحة تطبقها النفس البشرية « ما جعل عليكم في الدين من حرج » « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » •

إن الشورية الاسلامية هي المظهر الوحيد السليم لأي مارسة ديموقراطية خالصة مما ينتقده العقل الصحيح على هذه الارض، مارسة بضوابط الحق الخالص وغير ذلك ليس إلا اتباع الهوى •

ـ حادي عشر : والاسلام هو الصيغة العليا الوحيـدة للحرية الانسانية :

إنه لم تزل البشرية تعتبر أن حرية الانسان ليست مطلقة فما من أمة تعتبر التجسس عليها مباحاً وما من أمـة إلا وعندها ثبت جرائم لا يجوز لأحد أن يرتكبها وهذا كله يشير الى أن موضوع الحرية نفسه

موضوع له حدوده وقيوده ، ومع الرغبة العنيفة عند البشر عامة للوصول الى حرية مثلى ، إلا أننا وجدنا البشرية تفر من نوع من العبودية لتقع في أنواع من العبودية كلها مرّ ، ومن ثم نجد ما سعت اليه البشرية البعيدة عن هداية الله في جيل تفتقده في جيل آخر بل تحاربه أحياناً ، ومن ثم تجد حرية الصحافة وحرية إبداء الرأي وحرية الاعتقاد والحرية السياسية كل هذه الحريات تنعدم في أنظمة وتقيد في أنظمة وتعاني منها أنظمة .

ففي أنظمة تجد حرية الرأي قائمة والرأي يباع ويشترى ، وتجد حرية الصحافة قائمة والصحافة تباع وتشترى ، وتجد الحرية السياسية مصونة ولكنه يرافقها الكذب والاتهام للخصوم .

وفي أنظمة أيّ معارضةٍ للنظام القائم ونظراته وأشخاصه تعني السّحق ، وتجد أن المواطن مهمته التأييد والمراقبة والتجسس وأن لا حرية رأي ولا حرية صحافة ولا حرية سياسة إلا في الإطار العام للدولة ونظمها ، وتجد الاتهامات والانتقادات لكل من الأنظمة الاولى والثانية فيما بينها قائمة . فهذه تتهم الثانية بأنها تسحق حقوق الانسان، وتلك تتهم الاولى بأن حقوق الطبقة العمالية والفلاحية معدومة وأن الطبقات الدنيا مسحوقة لحساب أصحاب رؤوس الاموال المستفيدين الوحيدين من كل أنواع الحرية .

غير أن هناك أنظمة استطاعت أن ترتفع بالطبقات العمالية الى القمة مع إعطائها الحرية الكاملة في الرأي والصحافة والسياسة وغير ذلك مما يشكل إدانة لمفهوم الحرية عند الطرفين إلا أن الآثار السيئة للحرية المطلقة عند هؤلاء بدأت تظهر في جوانب حياتية ذكرناها في الجزء الرابع من كتابنا « الاسلام » .

وفي الاسلام الحرية كل الحـرية للخير والدعـوة اليه والأمر به ضمن الطريق الذي حدده الله عز وجل ولا حرية للشر ولا للدعوة إليه ولا للأمر به ، والخير تحـدد دعوة الله ماهيته وحـدوده ومصادره وموارده • وما من منطق سليم في العالم يرفض هذه الأطر للحرية ، وما من عاقل في العالم يرفض أن يكون الله عز وجل وحده هو الذي يحدد الخير والشر لأن الله وحده هو المحيط علماً بكل شيء •

فإذا اتضح هذا نقول :

إن حرية إبداء الرأي مصونة ، وحرمة الانسان في بيته محترمة ما لم يظهر شره خارج بيته ، والحرية السياسية للانسان مصونة مالم يستعمـل السلاح ضد السلطة الشرعية للمسلمين وعنـدما يستعمل الانسان حريته ضمن مبدأ العبودية لله عز وجل فإنه يتحرر من الشر كله ، ويتحرر من كل قيمة شريرة ومن كل ضغط خاطىء ومن كل مظهر ظالم •

ـ ثاني عشر : لهذا كله ولغيره نقول :

إن دعوة الانبياء هي النموذج الأعلى للانسانية العليا وهي المظهر الوحيد للتقدم البشري المتكامل المتجدد ضمن المسار الصحيح • إن الملاحظة الكبرى على مسار البشرية الحالي أن التقدم في جانب يقابله تخلف في جانب ، فالتقـدم في تسخير الكون والتعرف عـلى قوانينه والاستفادة من ذلك يقابله تخلف في العقائـد والاخـلاق وتخلف في التطبيق القانوني عند الأمم والتخلف في التصورات العامة عن الكون والانسان والحياة ، ومن ثم تجـد الوصول الى القمر رافقـه وجود الاجيال الفوضوية والاجيال العابثـة المتمردة على كل شيء وتجـد

الاعتداء المتواصل على حقوق الانسان في كل مكان تمارسه كل الدول إما داخلياً وإما خارجياً أو داخلياً وخارجياً مع نمو المؤسسات الدولية التي أوجدت لخدمة الانسان ففي عصرنا تجد التخلف والتقدم يسيران جنباً الى جنب تقدم في جانب يرافقه تخلف في جانب ، أما الأسلام فقد رأينا في كتابنا « الاسلام » كيف أن كل أنواع التقدم تترافق جنباً الى جنب في تصاعد متواصل ، فالتقدم في الصناعات يرافقه تقدم في السلوكيات وكل ذلك يرتكز على أسس عليا صحيحة وسليمة وحق في كل جانب وأصل من أصول العقائد وجوانب التشريع والتوجيه •

ولا شك أن هذا الكلام يعكر عليه الواقع التاريخي لمسار الأمة الاسلامية ولكن ما من منصف إلا ويعرف أن أخطاء التطبيق والظروف الصعبة كانت وراء التخلف التاريخي في مراحل متعددة متلاحقة وقعت بها الأمة الاسلامية وأن ذلك كله كان وراءه سوء فهم للاسلام أو مخالفات صريحة له • وإن أي متأمل منصف لقوانين التقدم المرئي يدلك على أن الاسلام قد فرض السير على ضوء هذه القوانين ، وإن الكثيرين من المنصفين الغربيين يؤكدون أن أوربا انطلقت من خلال الاقتباس من مسيرة الأمة الاسلامية على ضوء الاسلام •

ومن قرأ سلسلة الأصول الثلاثة أدرك بوضوح أن الصيغة الكاملة للتصورات والسلوكيات والمسارات والعقائديات والتشريعات العليا للانسانية لا توجد إلا حيث يوجد الاسلام وأن تخلفاً ما سيبقى أبداً في الحياة البشرية إذا لم يكن الاسلام كله موجوداً •

من كل ما مر نأخذ صورة كلية عن دعوة الانبياء عليهم السلام في صيغتها النهائية والخاتمة إلا أن هذه الصورة مغطاة أو مغشاة بجهل كثيف وواقع مرّ لا يزيله إلا جهاد متواصل دؤوب وراشد يتحطم فيه باطل أعداء الانبياء عليهم السلام وما أسخفه من باطل وما أكثر دعاواه

وما أظهر غشمه وظلمه وتناقضه وما أحرانا أن نبذل في شأنه جهداً من أجل انهاء سلطانه الخبيث على هذا العالم .

لقد رأينا في هذا الباب كيف أنه لا تطلع صحيحاً للفطرة البشرية إلا وهو في دعوة الانبياء وهذا كله موجود بما يتفق مع قوانين العقل وحقائق العلم فلا قضية ينقضها علم ولا تناقض مععقل بل دعوة الانبياء عليهم السلام هيوحدها التي تنسجم معقواعد العقل وهي الجزء الثاني من القوانين العلمية بل إن كل ما يكتشفه الانسان من قوانين علمية يبقى ناقصاً إذا لم يسر على هدي الانبياء لأنه وحده هو الذي يوجه نحو استخدام القانون العلمي بحق ، وهو وحده الذي يدل على سنن الله في كل شيء ، وهو في الوقت نفسه القانون العلمي الحياتي الوحيد، والبشرية لن تحط رحالها في أمرها كله حتى تكون على بصيرة وعلم إلا باتباعها هدي الانبياء ودعك من دعاوى العلمية والعقلانية عند أعدائهم وهاك الدليل على ذلك في الباب القادم بعد إذ رأيت إرث الانبياء وماذا يعني ؟ وبضدها تتميز الأشياء .

★ ★ ★

اعداء الأنبياء وإلقاءاتهم

الانبياء عليهم الصلاة والسلام شيء واحد والإيمان بهم جميعاً واجب والكفر بواحد منهم كفر بالجميع قال تعالى: « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً » وقال تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « الانبياء إخوة » ، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

من هذه النصوص ندرك أن كل من كفر برسول الله فقد كفر بكل الرسل والانبياء. ومن عادى رسولا فقد عادى كل الرسل والانبياء وعادى الله بذلك وعاداه الله ، وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم رسل الله كما قال تعالى : « وما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » إذا كان محمد كذلك فإن كل من لم يؤمن به وبدعوته محققاً كل ما يلزم لاعتبار الانسان مسلماً بأن يدخل

في الاسلام مقراً بالشهادتين مسلّماً بالاسلام كله ، متخلصاً من كل ما ينقض الشهادتين • إن الانسان ما لم يكن كذلك فانه يكون من أعداء الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً ومن ثم فقد دخل في أعداء الانبياء حتى أولئك الذين يؤمنون بأنبياء سابقين على رسالة رسولنا فدخل في ذلك يهود اليوم ونصارى اليوم فضلا عن غيرهم من أبناء الاديان فضلا عن غيرهم ممن لا يؤمن بدين أصلاً ، ودخل في ذلك كل الفرق التي انشقت عن جسم الأمة الاسلامية باعتقاد كفري ، فدخل في ذلك القاديانيون والبهائيون والدروز والنصيرية والاسماعيليون وغيرهم ، ويدخل في ذلك كذلك كل مسلم ارتد عن الاسلام إما بجحوده أو بفعله أو اعتقاده ناقضاً من نواقض الشهادتين كما فصلنا بعضها في كتابنا « الاسلام » ودخل في ذلك من قابل هؤلاء من الجن ، وهؤلاء جميعاً على قسمين : دعاة ومدعوين وكلهم أعداء الله عز وجل : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين »•

★ ★ ★

ولأعداء الانبياء دعواتهم التي تقابل دعوة الانبياء وهم فيما بينهم مختلفون لأن من لم يجمعهم الحق فرقهم الباطل • قال تعالى : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » وقال تعالى : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا • وإن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله » وكون أعداء الانبياء يختلفون فلا يعني أن أتباع الانبياء لا يختلفون ، ولكن حيثما وجد خلاف فهناك شيء من بُعدٍ عن حق تفاوت في درجات البعد ، فشتان بين بعد أتباع الانبياء عن الحق وبين بعد أعدائهم •

ولئن تعددت دعوات أعداء الانبياء وكل تبعد عن صراط الله كما قال تعالى : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » فإن قاسماً

مشتركاً يجمع بين جميع هذه الدعوات هذا القاسم المشترك الذي هو صفة مشتركة بين كل دعوات أعداء الانبياء هو الزخرفة والغرور • قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » • إن هذه الآية تحدثت عن الاصل الجامع لكل طرح يطرحه أعداء الانبياء •

لقد حددت هذه الآية الصفتين الرئيستين لكل طروح أعداء الانبياء وإلقاءاتهم فوصفت ذلك كله بهذا التعبير المعجز : « زخرف القول غروراً » وفي نهاية الآية قال تعالى : « فذرهم وما يفترون » مما يفيد أن كلامهم كله بزخرفه وغروره كذب ، وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أمر لهذه الأمة في الحقيقة أن يدعهم وكذبهم ، **وهذا هو موقف المسلم الحق من أعداء الانبياء أن يتركهم وأن يترك** أكاذيبهم • وهذا شيء يغفل عنه الكثيرون من أبناء المسلمين إذ يغفلون عن وجوب ترك أعداء الانبياء وترك أكاذيبهم ، فكم من مسلم يتمسك بعدو للأنبياء أو يتمسك بكلمة من كلماته ، وبكل كلماته وهو بهذا كله يصبح إما على كفر ونفاق أو على شفا كفر ونفاق •

وفي الآية التالية يذكر ربنا من هم الذين تصغي قلوبهم لإلقاءات أعداء الانبياء فيقول : « ولتصغي اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون » لقد بينت هذه الآية والتي قبلها أنه ما من نبي إلا وله أعداء من شياطين الإنس والجن ، وأن الصفتين الجامعتين لطروح هؤلاء الشياطين : « زخرف القول غروراً » وأن طروحهم كلها افتراء وعلى المسلم أن يتركهم وطروحهم وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين تصغي قلوبهم لافتراء شياطين الجن والانس ، وأن هؤلاء هم الذين يرضون طروحهم•

وأن حصيلة ذلك كـله الإصرار عـلى اقتراف الآثام ، وإنه لوصف معجز يعرف إعجازه كل من نظر الى ما حوله ببصيرة العقل فرأى مايقوله ويكتبه أعداء الانبياء ورأى دوائر المنصتين لهم والمتأثرين بهم ، ورأى غرق الجميع في الشهوات الآثمة الحرام .

★ ★ ★

ولم تظهر الزخرفة والغرور في طروح أعداء الانبياء كما ظهرت في عصرنا ، ولو أنك تأملت بعض طروح أعـداء الانبياء ثـم تتبعت امتداداتها في عصرنا وما يكتب حول هذه الامتدادات لرأيت العجب العجيب في ذلك ولرأيت ما ذكرته الآيتان بأجلى صورة ، ترى زخرفة في القول على مدى ما بعده مدى ، وغروراً لم يعد بعده مزيد ، وكذباً في هذا وهذا تكاد تنقطع دونه كذبات العصور وللبيان نقول :

دعا الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى مبدأ ضبط النفس على مقتضى شرع الله وحاربوا أتباع الهوى ، وفي المقابل دعا أعداء الانبياء الى اتباع الهوى والسير وراء الشهوات ، واقرأ ما كتبه الكاتبون خلال العصور ثم اقرأ الكفر الوجودي المعاصر والذي هو الفلسفة الكاملة لقضية أتباع الهوى ، فإنك تجد كيف أخذ هذا الجانب من دعوة أعداء الانبياء مداه في عصرنا ثم تأمل مجموع ما قالوه وما أكثره فانك تجد الزخرفة في القول والزور في المواقف والطرح ، والكذب في هذا كله على أعلاه بل على أخسّه وأدناه .

ودعا الانبياء الى الإيمان بالله والى الايمان بالغيب الذي أخبرنا عنه الأنبياء ، ودعا بعض أعداء الانبياء الى الإنكار المحض والنفي لكل قضية غـير مادية ، واقرأ كل ما كتبه المفكرون قـديماً واقرأ الفكر الشيوعي مثلا وهو جزء من الفكر الانكاري فإنك تجد أن فلسفة النفي

لم تأخذ مداها كما أخذته في عصرنا ولم يُبن عليها في الماضي ماتستلزمه من معان حياتية كما بُني عليها في عصرنا ، وإذا تأملت كل ما كتب في هذا الموضوع ــ وسنتاوله في الصفحات القادمة ــ فإنك لا تجد مثله ظهــوراً في الزخرفة والغرور وفي الكذب أصلا • وكل ذلك يعرض بقالب علمي أو عقلي وذلك نفسه من الزخرفة والغرور •

ودعا الانبياء عليهم السلام الى ترك العصبية الجاهلية للقوم أو للجنس أو لأي شيء آخر ما عدا العصبية للحق وأهله ، عصبية لاتخرج عن الحق الى الباطل ، ودعا ويدعو أعداء الانبياء الى عصبيات متعددة إما الى القوم أو الى جنس أو الى طبقة أو الى غير ذلك • واقرأ ما كتبه دعاة القومية الجاهلية مثلا وهــم جزء من مجموع الــدعاة الى أنواع العصبية الباطلة فإنك تجد جبالاً من الكلام المزخرف وكتلا من الغرور الفارغ وكل ذلك عندما تتأمله تجده كذباً وزوراً •

من هذه النماذج تدرك كيف أن عصرنا بلغت فيه إلقاءات الشياطين مداها ووصلت فيه دعوات أعداء الانبياء الى مستقراتها وأعطت ثمراتها المرّة الخبيثة التي يستطيع كل عاقل أن يدرك مرارتها وأن يدرك كذلك صفاتها التي ذكرناها من خلال الآيتين اللتين بنينا عليهما هذا البحث •

★ ★ ★

إن إلقاءات أعداء الأنبياء يجمعها جميعاً أنها كذب ولكنه كذب يغطى بزخرف من القول ويغطيه كذلك الغــرور • أما دعوة الانبياء فإنها دعوة صدق وحق ظاهرها كباطنها ، وإن الحق أروع ما فيه أنه لا يحتاج صاحبه الى تكلف •

أما أن دعوة الانبياء كلها صدق وحق فهذا لا يستريب فيه من عقل ، ومن قرأ سلسلتنا عن الأصول الثلاثة أو سلسلتنا عن الاساس

في المنهج رأى من حجج ذلك الكثير على أن الأمر أوضح من أن يحتاج الى بيان ، وإننا لنتحدى العالم كله أن يبرهن على أن آيـة واحدة من كتاب الله يمكن أن ينقضها شيء •

وأما أن دعوات الانبياء يجمعها الكذب وتغطيها الزخرفة والزور فهذا الذي نريد أن نتوسع في توضيحه في هذا البحث لنوفر على أنفسنا عناء تسفيه أعداء الأنبياء في الصغيرة والكبيرة من أمرهم وذلك من خلال مناقشة الدعوات القومية والدعوة الماركسية والدعوة الوجودية• إذ هذه الدعوات الثلاث بمجموعها تكاد تكتسح فكر أكثر الناس ، بل كل واحدة منها غزت الكثـير من قلوب الناس فإذا عرينا هـذه الدعوات الثلاث فاننا نتصور أننا وفرنا على أنفسنا كثيراً من الجهد في الرد التفصيلي على أعداء الانبياء ، ونكون بالتالي قد برهنا بشكل عملي على أن دعوة الانبياء وحدها ينبغيأن يعتصم بها المسلم قال تعالى: « لا إكراه في الـدين قد تبـين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »•

سنجعل كلامنا فيما بقي من هذا الباب في فصلين :

الفصل الأول في إثبات أن كل طرح يقابل دعوة الانبياء يتصف بأنه « زخـرف القول غروراً » مـن خـلال اثبات ذلك في أهـم تيارات العصر •

الفصل الثاني : في الكلام عن القلوب التي عندها استعداد لقبول طروح أعداء الانبياء •

★ ★ ★

الفصل الأول

سنركز في هذا الفصل على الصفتين المشتركين اللتين تنطبقان على كل طرح يطرحه خصوم الانبياء ليقابلوا دعوة الله ورسالاته . هاتان الصفتان هما : زخرف القول والغرور ، فكل طرح يقابل دعوة الانبياء طرح فيه زخرف ولكنه في الوقت نفسه إذا عمقت النظر فيه فإنك تجده غروراً خالصاً فصاحبه مغرور ولكن بلا شيء ، مغرور بكلام منمق ليس فيه محتوى مقبول عقلا أو علماً بل ليس فيه إلا الفساد في الارض. وانظر حال هؤلاء السكارى بعبارات التقدمية والعلمانية واليسارية وغيرها ثم ابحث عن مضمون هذه الأمور بل اطلب من كل أصحابها تحديداً عملياً لها فإنك لا تجد شيئاً .

« زخرف القول غروراً » صفتان تنطبقان على كل طرح لأعداء الانبياء غير مقيدين إياه بزمان أو مكان . ومن الابتداء نقول : لا يدخل في ذلك ما كان من طرح يوافق جزءاً من دعوة الانبياء فذلك شيء يسلك من قوة البقاء ومن نفع الاحياء ما يجعله ذا وضع خاص إلا أننا نحب أن نسجل كذلك أن هذا النوع الذي يوافق جزءاً من دعوة الانبياء عندما يجتث ويفصل عن بقية دعوة الانبياء يبقى نفعه موجوداً ولكنه محصور ويصبح أداة إضلال عن دعوة الانبياء العامة لأنه قد يشعر الناس نوعاً من الاستغناء عن دعوة الانبياء مثال ذلك : توسيع دائرة

الشورى في أمة من الأمم ، هذا التوسيع جزء من دعوة الانبياء ويعطي مردوداً حسناً في كل أمة سلكت طريقه ومن ثم هذا النفع فيه والحسن فيه والمردود الحسن له قد يُشعر الناظر السطحي بالاستغناء عن هداية الله ورسله بسببه •

إن كل دعوة تعارض دعوة الانبياء بردها أو ينقضها أو برفضها عندما تحقق في مجموع أقوالها تجدها تتصف بهاتين الصفتين الرئيستين الزخرفة والغرور ، فهي تنميق من القول لا طائل تحته وإن كل دعوة تقطع الطريق على دعوة الانبياء تبنيها لبعض مضمونات دعوة الانبياء ورفضها للبعض الآخر أو بخلط الحق والباطل لا تخرج كذلك عن هاتين الصفتين ، ومن ثم فإن الله عز وجل كما نهى عن معارضة الحق فقد نهى كذلك أن يخلط الحق بالباطل « ولاتقولوا على الله إلا الحق..» « ولا تلبسوا الحق بالباطل » وإن كل دعوة غير دعوة الانبياء توقع الحياة البشرية في دوائر الغلط والخطأ مهما لبس هذا الغلط أو أُلبس كل أنواع الزينة وغطي بكل أنواع الزخرف ولكنه يبقى أبداً غروراً لا طائل تحته ولا حق فيه •

إن كل دعوة غير دعوة الانبياء ليست إلا من قبيل القول المزخرف الذي يتمخض عن غرور ويوحي بالغرور ويربي على الغرور والذي حصيلته غرور ، وسنذكر ثلاث فقرات كل فقرة حول طرحٍ من الطروح المعاصرة التي تقف في الصف المقابل لدعوة الأنبياء لنرى كيف تجتمع فيها صفتا الزخرفة والغرور وقد نوّعنا الأمثلة ليتضح كيف أن كل ما يقابل دعوة الانبياء يشترك في هاتين الصفتين واخترنا أضخم التيارات المعاصرة في الفلسفة والاقتصاد لنبرهن على اشتراكها في صفتي الزخرفة والغرور :

التيار القومي الجاهلي ، والتيار الماركسي ، والتيار الفلسفي الوجودي •

ولنبدأ بالطرح القومي الجاهلي :

أ ــ الفقرة الأولى في الطرح القومي الجاهلي : والطرح القومي الذي نخصه بالذكر هنا هو الطرح الذي يريد أن يعارض دعوة الانبياء أو أن يكون بديلا عنها والذي ينبثق عنه نظام يقلص دعوة الانبياء أو يلغيها والذي تقوم تربيته عـلى ذلك ومن ثم قيدناه بكلمة الجاهلي لنخرج به نوعاً من الطرح آخر هو الطرح القومي الواقعي الذي يعني أن في هذا العالم شعباً عربياً وآخر كورياً وآخر انكليزياً وهكـذا... ولنشرع في المقصود :

في الاصل كلمة القومية ترجع الى كلمـة قوم أضيف إليها ياء النسبة ، وهـذه الإضافة إما للتعريف وإما للمـذهبية ، فإن كانت للتعريف فهي تفيد أن صاحبها يحمل فكرة معينة وإن كانت للمذهبية فهي تفيد أن صاحبها يؤمن بفكرة معينة وسواء أفادت النسبة الحمل أو الإيمان فالحصيلة أن صاحبها يؤمن بشيء اسمه القوم ويحمل هذا الشيء ، فماذا تعني قضية الإيمان بقوم ؟ إن مجمل ما يمكن أن تعنيه هو أن لكل قوم خصائص ولقومه خصائص معينة هذا أوسع ما تعنيه هذه الكلمة ولكن عندما تُلْبَسُ هذه الكلمة أثواباً من مثل أن القومية مشكلة إنسانية أو أن القومية هي نقطة البداية في التقدم الحضاري أو أن الإيمان بالقومية هو نقطة البداية لارتقاء الأمم فعندئذ تكون المسألة في إطارها الخاطىء ، إن أي دراسة تحليلية لمثل هذا الكلام يريك الزخرفة الكاذبة لهذه الكلمة وعندما تفتش في ثنايا هذا الكلام تجده لا شيء فهو غرور ورم متضخم لا شحم فيه إذ أن أي قوم في العالم يستشعرون بشكل بديهي أن لهم خصائص يعتزون بها ومع ذلك تجد لكل قـوم مشكلاتهم وتجد عند قومٍ تقدماً وعند قوم تخلفاً ، ونكرر القول : إن ردنا ونقدنا ينصبان على من يريد أن يجعل القومية

بديـــلاً أو نقيضاً لدعوة الأنبياء وهـــداهم أما من سوى هؤلاء ممن يعطون القومية حجمها من حيث إن العالم مؤلف من أقوام ولكل قوم لغة وخصائص فهؤلاء لا نقاش معهم في ذلك لأن ذلك من البديهيات •

إن الانتساب لقوم شيء بدهـــي ، إن تعريف الانســـان بنفسه أنه من قوم شيء بـــدهي كانتساب الانسان الى أبيه وأسرته وكاسم الانسان للانسان ، هذا شيء لا غبار عليه ولكن الشيء الذي عليه غبار هو أن تسأل إنساناً ما جنسك فيقول عربي وتسأله ما عقيدتك فيقول : عربي • إن هذا يشبه تماماً أن تسأل إنساناً ما اسمك فيقول خالد وتسأله ما عقيدتك فيقول خالد إن انساناً يجيب هذا الجواب لا تعتبر جوابه متماسكاً • إن الجواب الصحيح عن عقيدة العربي أن يقول العربي : إنه مسلم أو مسيحي أو يهودي ، أما أن تعتبر القومية نسباً ومضموناً فذلك شيء غير حقيقي وغير واقعي وغير صحيح بدليل أنه ما من انسان ولا قوم يعني مجرد انتسابهم الى أمة معرفة بمضمون عقائدهم وتصوراتهم وتشريعاتهم ، فما من أمة أو قوم على وجه الارض إلا ولهم عقيـــدة لا صلة لها بانتسابهـــم القومي فالفرنسيون كاثوليك والانكليز بروتستانت والروس شيوعيون (أو نصـــارى أرثوذكس) والصينيون شيوعيون (أو كونفوشيوسيون) والأفارقة منهم المسلم والنصراني والوثنـــي •••• الخ ، وإن شـــذّ عن هـــذا شعب دولة إسرائيل فما ذلك إلا لأن الانتساب الوحيد المعترف به عند اليهود إنما هو الانتساب الى الدين مع ما يحويه هذا النسب من انتماء عرقي الى أعراق وقوميات شتى ••• وعلى أساس هذا النسب الديني البحت قامت دولة اسرائيل لتجمع تحت لوائها يهود اليمن مع يهود الخزر ويهود أوربا الغربية (بما فيها من قوميات متباينة ويهود العالم العربي وغيرهم•• وبذلك اتتفت النسبة القومية العرقية الأصلية (بني اسرائيل أو العبرانيين) وأصل محلها الانتماء الديني البحت وهذا وحده اليوم

في العالم ظاهرة مفردة متميزة يجب أخذها بالنظر والتفكر . إذن فان إعطاء القومية كانتساب عرقي مضموناً عقيدياً هو أمر مغاير لمنطق الاشياء الذي ساد الانسانية في كل عصورها وما يزال كذلك .. وهو إلباس ُ لها ثوباً من الغرور وزخرفاً لا طائل تحته ولا غناء فيه ..

ولذلك فإننا نلاحظ أن كل الدعوات القومية التي نبتت على أرضنا والتي حاولت في الابتداء أن تجعل القومية عقيدة استقرت في النهاية على إعطاء القومية مضموناً آخر ، وإذا نحن نجد دعوة قومية تتبنى الفكر الماركسي وأخرى غير ذلك ، وكل هذا أو ذاك لتعوض عن الفراغ فإذا تأملت الأمر بعمقٍ تجد أن هذا الشيء الذي استقطب أعداداً هائلة من الناس وتحمسوا له حماسة الوثنيين في رقصاتهم الوثنية ليس إلا كلاماً مزخرفاً لا طائل تحته ولا مضمون فيه . كلاماً هو في ذاته غرور ويولد غروراً .

إلا أن الزخرفة والغرور يظهران في هذا الموضوع بشكل أوضح إذا تأملنا حجتهم في رفع شعار القومية هي أن رفع شعار الاسلام يفرّق لأنه تبقى طائفة على الارض لا يشملها هذا الشعار ومن ثم فمنطق الوحدة الوطنية يقتضي رفع شعار مشترك يضم الجميع ومن ثم نرفع شعار القومية العربية ونقول :

إن رفع شعار القومية كبديل عن الاسلام يعني إيجاد تناقض بين العربي المسلم وإسلامه ، ومن ثم فالدعوة القومية تمزق المجتمع بدلا من أن تزيد لحمته فالنصراني العربي مازادته الدعوة القومية عروبة لأنه في الاصل عربي والمسلم الحق يرفض التخلي عن إسلامه ويرفض البديل عنه ويرفض إهماله ومن ثم يبدأ صراع عنيف وحاد في المجتمع العربي العريق في إسلامه بين أكثر من اتجاه وينشأ صراع يومي لاينتهي بين اتجاهات جادة ، بينما لم يحدث خلال التاريخ الطويل أي صراع

بين المسلم والمسيحي على الارض الاسلامية لأن الاسلام يعطي المسيحي حريته ويضمن له العـدل ويعطيه من الحقوق ما لم تحلم به أي فئة لا تؤمن بفكرة النظام الحاكم في العالم .

وهكذا نجد أن الدعوة القومية دعوة مزخرفة على جسد ميت وهي غرور من المواقف والانتفاشات لا تساوي شيئاً ومن ثم نجدها لم تحقق للمجتمع العربي إلا الآلام والهزائم والخزي والتمزق والظلم للجميع ، ومع أنهـا كـذلك فإن أي دراسة لأقوال أصحابها تجدها لا تخرج عن كونهـا (زخرف القول غروراً) فلو حاولت تتبـع كل ما كتب دعاة القوميةالعربية حول هذا الشعار لوجدتأنه كلام عامٌ مبهم سائب ضبابي لا معالم واضحة لما يجب أن ينبثق عن هذا الشعار من مفاهيم وعقائد وأخلاق ونظم يجب أن تحكم المجتمع (القومي) .

إن القومية العربية بكل ما كتب عنهـا لم تقدم للمجتـمع العربي عقيدة واضحة تحدد العلاقة بين الله والانسان وبين الانسان والكون فلا هي قالت صراحة إنها تؤمن بالله وبالتالي بأية شريعة من شرائع الله تؤمن أبالاسلام أم بالنصرانية أم باليهودية على مافي الأخريين من ضلال وتحريف هائل ، ولا هي قالت إنها ترفض وجود الله وترفض بالتالي شرائعه ولا هي أتت بدين أو معتقد جديد .

كذلك تراها لم تأت بأي نظام اجتماعي معين محدد المعالم واضح القسمات فلا هي قالت إنها تريد أن تبني مجتمعاً عربياً قومياً موحداً له معالم كذا وكذا في السياسة والاقتصاد والتشريع و .... الى آخر هذه المعالم التي بها تتحدد سمات النظام السياسي والاجتماعي لكل شعب أو دولة .. ولا هي أتت بنظام واضح متميز خاص بها يحـدد العلاقات الدولية .

إن كل ما فعلته القومية العربية هو أنها تعامت عن كل ذلك ، وتركت الأمور سائبة في كل ما يخص الاديان مع إصرار مخيف على محاربة الاسلام وملاحقة العاملين في سبيله . وكذلك تبنت في الآونة الأخيرة نظاماً مستورداً غريباً هو الاشتراكية الملفقة بعد أن تبنت قبل مرحلة الاشتراكية النظام الليبرالي الحر السائد في أكثر دول أوربا الغربية وفي الولايات المتحدة . وكذلك تراها كل يوم تستورد قانوناً من هنا ونصاً من هناك ونظاماً من هنالك من أجل تغطية جوانب الحياة في الدولة هذه أو تلك مع مراعاة كاذبة ظاهرية لمشاعر الاكثرية المسلمة في أقطارها ، وإصرار خفي خبيث على مسخ واستئصال كل ما له صلة حقيقية ومصيرية بدين هذه الأمة وأصالتها فكانت النتيجة أن وضعت القومية العربية نفسها عالة وعبئاً على كل نظم وأديان العالم . وكان أن أفرزت هذه السياسة مجتمعات ممسوخة مشوهة مفككة الأوصال مقطعة الجذور بماضيها وتراثها ، جاهزة لكل غزو دخيل في الفكر والخلق وأنماط السلوك وطرائق العيش . وبذلك وضعت هذه الأمة في حال الجاهزية التامة لتقبل كل مؤامرة أو غزوٍ خارجي . وقامت مع ذلك بتغطية ذلك كله بزخرف وبهرج من القول تجده لأول وهلة معسولاً خداعاً ثم تحس به سماً قاتلا يمزق أوصال الامة وهي تحس مع ذلك بالغرور والبطر وتظن نفسها في كل مرة قادرة على الوقوف على أقدامها لا تلبث أن تتداعى أمام أية ضربة شديدة خبيثة توجه اليها في هذه النقطة أو تلك من نقاط ضعفها ذلك كله لأنها أي القومية العربية أرادت أو أريد لها أن تكون بدلا من شريعة الله ودعوة الانبياء عليهم السلام : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » وما يقال عن القومية العربية الجاهلية يقال عن غيرها من الطروح القومية الجاهلية على أرضنا الاسلامية أو على كل أرض في هذا العالم حتى إنك لتستطيع القول

بأن كل الحروب الكبرى في التاريخ وكثيراً من صور ظلم الشعوب للشعوب له صلة بالفكر القومي الجاهلي الذي لا يخرج عن كونه زخرفاً من القول ولا يخرج عن كونه غروراً إذْ في إطاره الأسري أو القبلي أو فيما هو أوسع من ذلك . إنه ما أكثر ما صادف الانسان في مرحلة ما إنساناً يقول بكل غرور : أنا قوميّ وماذا يعني ذلك ؟ هل يعني هذا أنك تؤمن بانتسابك لقومك ؟ ومن يشك بذلك ؟ وما معنى ذلك ؟ معناه كذا وكذا ، قل فهل تجد في بناء يقوم على مثل هذا إلا أنه بناء يقوم على الكذب والغرور والكلمة المزخرفة التي لا مضمون فيها .

ولنكتف بهذا القدر من الكلام حول قضية الطرح القومي الجاهلي لا لأننا أشبعنا الكلام فيه بل لأن أصحابه بعد أن خدعوا الناس فيه زماناً أحسوا أنه وحده لا يكفي فأعطوه مضموناً وما زالوا يتنقلون بهذا المضمون من طور الى طور حتى وصل أولهم أو آخرهم الى تبني الفكر الماركسي والذين لم يتبنوه بشكل كامل أصبحوا يتعاملون معه بشكل منافق .

فلتكن الفقرة الثانية في الطرح الماركسي لنرى زخرفته وغروره وكذبه ، وقبل أن ننتقل الى الفقرة الثانية نحب أن نسجل مجموعة ملاحظات حول قضية القوميات لنقل الطريق على أي مستغل في هذا الشأن :

١ ــ نحن حملة دعوة الانبياء ندعو الى انسانية واحدة تحكمها كلمة الله المتمثلة بهذا القرآن ونعتقد أن السنة النبوية هي الشارحة لهذا القرآن .

٢ ــ نعرف أن الانسانية الواحدة مؤلفة من شعوب شتى وأن ذلك لا يعني أن الجنس ميزة على جنس إلا بقدر ما يحقق جنس ما كلمة الله أو يكون مرشحاً أكثر من غيره لفهمها أو لتمثلها. وهذا وحده

يجعل للعرب وضعاً أدبياً ممتازاً بين الشعوب ما داموا كذلك فإذا فرطوا في كلمة الله فهماً والتزاماً وتمثلاً أصبح غيرهم أجدر منهم بهذا المركز الممتاز قال تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » على أن هذا المركز الممتاز مركز أدبي ليس إلا • وإلا فإن حرية الترشيح والانتخاب ستعطى لكل مسلم •

٣ ــ ليس هناك مانع من حيث المبدأ أن تقوم ولايات إسلامية على أساس مذهبي أو لساني أو على أساس جغرافي ضمن دولة الولايات الاسلامية الواحدة •

٤ ــ ليس في دولة الولايات الاسلامية المتحدة ميزة لشعب على شعب وسيكون لكل ولاية إسلامية قانونها الخاص بها في إطار القانون العام والدستور العام للدولة الاسلامية الواحدة •

٥ ــ وعلى الطريق للدولة الاسلامية الواحدة سنعمل من أجل أن تقوم دولة اسلامية في كل قطر ، وحيثما كانت دولة الاسلام في أكثر من قطر فسيربط بين هذه الاقطار أربطة ما لصالح الوحدة الاسلامية •

٦ ــ نحن نحلم بوجود الدولة الاسلامية النواة التي تتحمل عبء حمل راية الاسلام وتتمنى أن يكون العالم العربي أو بعض أقطاره هو هذه الدولة النواة •

٧ ــ في كل قطر من الاقطار ستحكم علاقات المسلمين مع غيرهم مواثيق عمل لا يمكن أن يغدر فيها المسلمون بل يمكن أن يتساهلوا لصالح الآخرين •

ولعل القارىء يدرك من مجموعة هذه النقاط أننا لسنا ضد دولة عربية واحدة مضمونها الاسلام بل نتمناها ونحلم بها ولكن على أساس

الاسلام الذي هو وحده الذي يمكن أن يجمع العرب على شيء ، ومن حلم بأن يجمعهم على غير ذلك فإنما يحلم بالأوهام • وهذا هو الواقع وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : « ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » أو كما قال عليه السلام •

ولننتقل الى الفقرة التالية :

ب ــ الفقرة الثانية : في الطرح الماركسي : إن الماركسية تدعي دعاوى كلها كاذب وزائف ومن ثم فإنها تكاد تكون أوضح نموذج على اجتماع صفتي الزخرفة في القول والغرور في الدعوات التي تتناقض ودعوة الانبياء •

إن الماركسية تدعي أنها هي وحدها التي تعرف القانون الكوني والحياتي وأنها وحدها تملك إعطاء العالم التطبيق المنسجم مع القوانين الحياتية وأنها وحدها التي تملك تسيير الحياة البشرية على أساس علمي، وهي تنظر الى كل ما خالفها على أنه باطل وسنرى بالدليل والبرهان على أن ذلك كله كذب وان هذا الكــذب كله مصوغ بقالب مزخرف من القول ليس إلا وأنه كله غرور لا يعبر عن حق أو صدق •

وقبل أن نبدأ عرض النظرية الماركسية ومناقشتها وإثبات كذبها وزخرفتها وغرورها نحب أن نذكر مجموعة ملاحظات تقطع الطريق على أسلوب الشيوعيين في الاتهام فعندهم من لم يكن عميلا لموسكو فإنه عميل لأمريكا ، وعندهم أن الهجوم ضد الشيوعية يعني دفاعاً عن الرأسمالية والاستعمار الغربي ، أما أن يفهموا أنه في هذا العالم يوجد ناس شرفاء أمناء يعملون لتغيير نظام العالم على أساس هدي الانبياء فهذا ما لا تستطيع عقولهم العمي أن تراه وهذا يدعونا الى أن نسجل هذه الملاحظات :

١ ــ نحن لا نؤمن إلا بهدي الانبياء ، ونعتقد أن هدي الانبياء طريق مستقيم قد تتقاطع معه طرق أخرى في نقطة ما سواء كانت هذه الطرق طرقاً دينيــة أم فلسفية أم سياسية أم اقتصادية ولكن وإن تم هذا اللقاء أو هذا التقاطع في نقطة ما فإن نقطة الانطلاق مختلفة، ومحلّ هذه النقطة في مجموع هدي الانبياء يختلف عن محل هذه النقطة في ضلال غيرهم •

٢ ــ ومع أننا لا نلتقي مع أحد في هذا العالم إلا على كلمة سواء هي العبودية لله على مقتضى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فاننا في داخل أقطارنا يمكن أن تضمنا مع غــير المسلمين مواثيق سياسية نلتزمها اذا عقدناها لهم • أما في تعاملنا مــع الحكومات غير الاسلامية في هذا العالم فإن القاعدة التي يمكن أن ننطلق منها هي التعامل عــلى أساس مصالح بمصالح وعلى مبدأ المعاملة بالمثل ولا نستثني مع هذا الاساس ولا من هذا المبدأ دولة من الدول الشرقية أو الغربية • وهذا لا ينفي أن تكون لنا مخططاتنا العالمية الخاصة بنا كما لا ينفي التعامل الأمريكي الروسي أن يكون لكل من الدولتين مخططاتها الخاصة بها وأجهزتها العاملة لمصلحتها حتى على أرض الأخرى •

٣ ــ أما بالنسبة للنظام الرأسمالي فانه لا يخرج عن كونه كالنظام الشيوعي بالنسبة لنا يمكن أن يتقاطع في نقطة ما مع هدي الانبياء ولكنه تقاطع ليس إلا • فمثلا نلتقي مع الشيوعية في نقطة حرب الربا كما نلتقي مع الرأسمالية في أن أصل فكرة الملكية الخاصة محترمة • ولكن مثل هذا التقاطع في بعض النقاط لا يعني التطابق ولا يعني أن نقاط الانطلاق ولا النهايات ولا ما بين ذلك واحدة فشتان بين طريق مستقيم وطرق منحرفة •

٤ ــ لم نشأ أن نضرب مثالا على الزخرفة والغرور في الفكر الرأسمالي كفكر معادٍ لهدي الانبياء ، لأننا نعتبر حدة المعركة اليوم على أرضنا بين الفكر الماركسي والدعوة الاسلامية ، على أن يوماً ما قد مرّ كانت حدة الصراع بين الفكر الرأسمالي والدعوة الاسلامية ، وإذن فلا يخرج الفكر الرأسمالي عن كونه متصفاً بكل صفة يتصف بها الفكر المعادي لهدي الانبياء من كذب وزخرف في القول وغرور ويكفي أن ندرك ذلك في الفكر الرأسمالي من خلال رؤية ما في النظام الرأسمالي من عيوب تظهر بسيطرة رأس المال على الاخلاق والقيم والمجتمعات وإعطاء رأس المال حرية العمل بلا حدود واعتماد هذا الفكر مبدأً لحرية الانسان المطلقة فيما يضر وينفع وكثرة ما تولد عن هذا الفكر من مآسٍ للأفراد والشعوب وما ترتب عليه من حروب وغير ذلك من معانٍ ، ثم انظر كيف يتحدث هؤلاء عن أنفسهم بأنهم العالم الحر وأنهم حماة الديموقراطية والحرية في العالم وأنهم المسؤولون عن حقوق الانسان وهم هم الذين يخططون لاجتثاث هدي الانبياء في كل مكان وهم هم الذين وراء زج أبناء الحركة الاسلامية في السجون بلا ذنب اقترفوه إلا أنهم يدعون الى (لا إله إلا الله) • فهم في الحقيقة والحركة الشيوعية على حد سواء في ملاحقة كلمة الايمان ولكن لكل طريقه • فالملايين المخنوقة من المسلمين في الاتحاد السوفياتي أو في الصين الشيوعية يقابلها عشرات الآلاف المسحوقة في السجون في كل مرحلة من المراحل بتخطيط أو بضرب مباشر إما من يدٍ فرنسية أو بريطانية أو أمريكية أو هولاندية أو اسبانية وهذه صفحات التاريخ الجليّ والخفي تذكر ذلك ليبقى محفوظاً فلا ينسى ولو من باب التأكيد على الفارق بين هدي الانبياء وسياسة أتباعهم وبين طريقة أعداء الانبياء وسياسة أتباعهم •

« ملكنـا فكان العـــدل منا سجيه

فلمـا ملكتم سـال بالـدم أبطح »

« ولا عجب هـــذا التفاوت بيننـا

فكـل إناء بالـــذي فيـه ينضح »

ومن هذه الملاحظات فلنبدأ مناقشة جزء من النظرية الماركسية :

ولنبدأها من خلال بعض عبارات كتاب من آخر كتبها المؤلفة قبل كتابة هذه الرسالة حتى يكون النقاش مع أحدث عرفٍ لها من قبل أصحابهـا •

الكتاب الذي بين أيدينا كتاب وصل الينا من الماركسيين الموجودين في السجن الذي نحن فيه وهو كتاب صادر عن دار التقدم بموسكو كما هو مذكور على صفحة الغلاف وعنوانه « الناس والعلم والمجتمع » وفي الصفحة الثانية من الغلاف يقول الكتاب : « يعرض في هذا الكتاب المذهب الفلسفي عن العالم ومعرفته والمجتمع وقوانين تطوره •••• ويبحث المسائـل الاساسية الملحـة للنظرية والممارسة الماركسيتين ـ اللينينيتين لبناء الاشتراكية والشيوعية » • وقد أعد الكتاب فريق من المؤلفين الروس ذُكرت أسماؤهم •

والفصل الاول من الكتاب عنوانه : «الفلسفة الماركسية اللينينية» وهـذا الفصل هو الاساس في كـل شيء بالنسبة للنظرية الشيوعية والتطبيق الشيوعي ومن ثم فان تأملات في هذا الفصل تغنينا عن كل شيء بعد ذلك •لأن كل دعوى حول التقدم والتنظيم وغير ذلك عند الشيوعيين يقابلها ما يكافؤها أو يزيد عليها عند الرأسماليين •

فلنبدأ عرض بعض ملاحظاتنا على بعض عبارات هذا الفصل :

إن كل الفلسفة الماركسية تستند الى فكرتين أساسيتين : المادية / والجدلية .

فالمادية تعني عندهم أنه لا موجود إلا هذه المادة المُحسة . والجدلية تعني أنه دائماً يوجد في المادة الشيء ونقيضه، هاتان الفكرتان هما أصل النظرية الماركسية كلها ، وكل شيء بعد ذلك إنما هو تطبيق أو تفريع أو عرض لتطبيق أو تفريع لها في القضيتين ، فليس هناك من موجود إلا المادة المحسة والمادة المحسة تخضع لقانون الجدل ، والحياة البشرية حياة مادية وتخضع لقانون النقيض وانطلاقاً من هذا كله تتفرع قوانين الصراع الاجتماعي والمادي ، وانطلاقاً من هذا كله فلا إله أصلاً والأديان إنما هي انبثاق مفاهيم اجتماعية متخلفة لانها أثر عن مرحلة تاريخية متخلفة . وكل شيء قبل ماركس ولينيين لم يكن يساوي شيئاً وماركس وأنجلز ولينين هم أعظم المظاهر البشرية على الاطلاق وهكذا الى غير ذلك من دعاوى وأقوال كلها كذب وزخرف من القول وغرور كما سنرى .

دعنا نناقش أصل النظرية وهو المادية :

إنهم يعتبرون أن المادة أزلية قديمة يقول الكتاب ص ١٤ : « وهذا يعني أن المادة وجدت منذ الأزل وستبقى الى الابد » أو أنه لا يوجد شيء إلا هذه المادة المدركة بالحواس يقول الكتاب في الصفحة نفسها : « عرّف لينين المادة بأنها الحقيقة الموضوعية الموجودة بصورة مستقلة عن الوعي والمعطاة للانسان في حواسه» وحتى لاينتقد لينين على حكمته في حصر الوجود المادي بالادراك الحسي لأن هناك أشياء لا يدركها الحس يكمل الكتاب الموضوع فيقول :

طبيعي أنه لا يمكن مشاهدة أو لمس كل شيء : فالموجة اللاسلكية لا تُمس باليد والتذبذب ما فوق الصوتي لا تلتقطه الاذن والحقل المغناطيسي لا تكتشفه أعضاء الحواس ، ولكن كل هذا يمكن اكتشافه بواسطة الاجهزة ، وتدل على وجوده المعطيات العلمية • إن المادة مهما اتخذت من شكل عجيب سحري لابد أن تظهر أخيراً عن طريق الحواس» وبسرعة نسألكم أنتم لا تثبتون شيئاً إلا اذا أدركته الحواس أو أدركته الاجهزة وهذا يقتضي أنكم تنكرون من حيث المبدأ كل شيء قبل أن تدركه الحواس أو يوجده الجهاز وهذا يقتضي على مقتضى اتجاهكم أن كل شيء غير مُحس قبل وجود الاجهزة الكاشفة له أنه كان غير موجود حتى لو أثبته الاستقراء العقلي أو الاستنتاج العقلي • فإثبات شيء اسمه جاذبية على رأيكم لم يكن صحيحاً وهذا يفسر لنا ما سنراه فيما بعد من زجكم في السجون لكل من كان يتبنى نظريات آنشتاين التي أوصل اليها الاستنتاج العقلي والتي أثبت بعد ذلك الجهاز نفسه صحتها • إن فكركم يا هؤلاء متخلف عن قضية العقل ولنعد الى الموضوع .

ثم هم يصفون المادة التي لا يثبتون غيرها والتي لا يثبتونها أصلاً إلا اذا أحسوا بها يصفونها بأنها لا تنفك عن الحركة أو أن الحركة لا تنفك عنها : يقول الكتاب في صفحة (١٧) :

« إن واقع عمومية الحركة نفسه يحمل على التفكير بأن المادة والحركة متصلتان اتصالا وثيقاً ولا تنفصلان وبالفعل فان العلم المعاصر برهن بما لا يقبل الدحض أن المادة موجودة في الحركة فقط ، ولو حدث المستحيل فجأة وتوقفت كل حركة لوقت ما ، لكان هذا يعادل الزوال التام للعالم وللواقع الموضوعي والمادة »ويقول الكتاب في الصفحة نفسها : « وأياً أخذنا من الاشياء والظواهر المادية نخلص الى الاستنتاج

القاطع وهو أنه لا وجود إلا في الحركة • إن الحركة المفهومة تتغير عموماً كعملية تجدد أبديـة هي صفة لازمة وأساسية للمادة وشكل (أسلوب) عام لوجودها » •

وأقول : تالله تالله لو كان لهم عقول يعقلون بها أو فكر يفكرون به ما جمعوا بين القول بقدم المادة وملازمة الحركة لأن الجمع بين ذلك مستحيل عقلا لكل من له أدنى عقل يفكر فيه :

إن المسألة بمنتهى البساطة ، فالحركة تعني بداية زمانية ومكانية • فالارتباط بين المادة والحركة لا بـد أنه يعني في النهاية ابتداء المادة نفسها ، وليست الحركة وحدها اذا ربطت بالمادة فإنها تدل على ابتداء المادة نفسها بل إن ارتباط المادة بالتغير وعدم انفكاكها عن هذا التغير • وكل تغير من التغيرات له بدايته الزمانية إن هذا وحده يدلنا على أن للمادة بدايتها الزمانية وهذا يعني استحالة قدمها •

إن المادة كلها مؤلفة من ذرات فلو أننا افترضنا أن الكون كله ذرة واحدة وافترضنا أن هـذه الـذرة لا تنفك عنها الحركة فماذا يعني ذلك :

دعنا نتصور أن مظهر الحركة في الذرة هي حركة الالكترون وهي حركة دائرية تقريباً إنك لا تستطيع أن تثبت الحركة الدائرية وتلازمها مع وجود الذرة نفسه وإلا فسد تلقائياً الى أن الذرة نفسها لها بداية ، إنك تستطيع بشكل ما أن تسجل عدد الدورات للألكترون في الذرة خلال ثانية ولكن من المتعذر أن تحصي عدد هذه الدورات • ولكن العقل والملاحظة تثبتان أن هذه الدورات لا تخرج عن كونها في النهاية ذات عدد زوجي أو فردي ، انظر الى عقرب الساعة وهو يدور إن الذرة تشبه ذلك ، إنك لا تستطيع الا أن تتصور هذا العقرب بدأ دورته من لحظة زمانية وأن مجموع دوراته محـدودة وإذن فوجود الساعة له

بداية زمانية وقل مثل ذلك في الذرة عندما نربطها بمبدأ الحركة ، لا بد أن يكون لها نقطة بداية ما دامت لا تنفصل عن الحركة .

إن أبسط أهل الارض عقلاً يستطيع أن يدرك أنه اذا اتصل شيء بشيء اتصالا لا انفكاك له وكان الشيء الثاني له بداية ونهاية فان الاول لا بد أن يكون له بداية ونهاية ، إن أبسط أهل الأرض عقلا يدرك أن الحركة لا بد لها من نقطة بداية في الزمان والمكان فاذا كانت المادة لا تنفك عن الحركة فهذا يقضي أن تكون المادة لها نقطة بداية في الزمان ... إن هذا يكاد يكون من بديهيات العقل . ولكن الماركسية تريد من خلال إغراقنا بتفصيلات من الأمور البديهية أن تجعلنا نترك بديهية من بديهيات العقل من خلال عملية خداعية للعقول كما يفعل الذين يشتغلون بخداع البصر .

إن قانون السببية وهو أحد قوانين العقل يوصلنا الى الله وإن قانون الغائية وهو أحد قوانين العقل يوصلنا الى الله ، وإن كل مافي هذا الكون يوصلنا الى الله . وكل دراسة للكون توصلنا الى أن المادة مخلوقة وأنها ليست أزلية . والماركسيون يريدون أن يعطلوا قوانين العقل كلها وأن يلغوا قوانين المادة نفسها في دلالتها على خالقها ليثبتوا للمادة الصماء البكماء العمياء كل ما لله من صفات القدم والبقاء والعلم والارادة والقدرة واللاتناهي .

إن الشيوعية عملية فرار من المعقول الى المحسوس فهي أكثر نظريات العالم الفلسفية انحداراً إنها العقلية الطفولية التي لا تعرف إلا في الحدود التي تشاهدها بحواسها وهي على ركاكتها في هذا الباب تريد أن تقنعنا أنها وحدها التي عرفت كل شيء وأحاطت بكل شيء وعللت كل شيء تعليله الصحيح ، إنه يكفيك أن تدرك تفاهتها وكذبها أنها لا تؤمن إلا بالمحسوس الذي تكشفه الحواس وبعد التطوير قالت

بما يكشفه الجهاز معيناً الحواس • واذن فعلى مقتضى النظرية الشيوعية، لو كان إنسان يعيش قبل ألف سنة وتحدث عن قضايا عقلية علمية من باب الاستنتاج العقلي أو الاستقراء المنطقي ولم يوجد جهاز يكشف ولا حواس تحس لاعتبر ذلك جهلا ، ثم اذا جاء الجهاز فأثبته يصبح المعدوم موجوداً • فالحاسة والجهاز هما اللذان يقرران الوجود والعدم فبالله عليك أيها القارىء هل ترى ههنا عقول رجال أو عقول أطفال ؟

لقد أثبت إينشتاين أن جسماً ما قوة جذبه تزيد على قوة جاذبية أرضنا بكذا مرة لا يمكن أن يرى ، هذا ما زيادته في معنى الوجود • وكل المشتغلين بالعلوم يعرفون أن غير المرئيات في هذا الكون كثيرة وأن أذن الانسان لا تسمع إلا ضمن ذبذبات معينة فاذا خرجت الذبذبات عن عرض المجال السمعي زيادة أو نقصاناً فان أذن الانسان لا تسمع ، على مقتضى تعريف لينين للمادة فاذن كل هذه الأشياء التي لا تدركها الحواس ليست موجودة وبعد التطوير لتعريف لينين ، فكل مالا يكشفه الجهاز يبقى غير موجود • محمد فهمي الحمدان

الموجودات التي يوصلنا اليها العقل والموجودات التي أخبرنا عنها الأنبياء الصادقون والموجودات التي نشعر بها ولا يستطيع جهاز أن يسجلها ولا تدركها الحواس ، العواطف والأفكار والروح والنفس، أم أن الروح عندهم غير موجودة ؟ وبمَ نعلل قضية الرؤى والتنويم المغناطيسي وظاهرة التلباثي وظاهرة الطرح الروحي ؟•

إن هناك شيئاً يغيب عن العقل الشيوعي وهو أن أجهزة ما ولكنها معطلة عندهم تماماً هي التي تنكشف بها بعض الأشياء •

إن هناك جهازاً اسمه القلب ، ولا نقصد به القلب الحسيّ الأحمر، نقصد قلباً في نفس المكان له عين وأذن وله خواص حساسة جداً • هذا النوع من القلوب هو الذي يلتقط ويسجل ويدرك أموراً أخرى هذا

الجهاز يعرفه أتباع الأنبياء جيداً لأنهم يحسونه ويحسون به ، هذا الجهاز المعطل عند أعداء الأنبياء جيمعاً هو السر في أن أتباع الأنبياء آمنوا وهؤلاء لا يؤمنون إن العلة في القلوب والعقول .

إننا لا نريد ههنا أن نتوسع كثيراً ففي كتابنا (الله جل جلاله) وفي كتابنا (الرسول) صلى الله عليه وسلم ذكرنا من دقائق الإثبات مالا يبقى معه لمستريب ريبة . وفي كتابنا (التفسير) ذكرنا من الحجج على أن هذا القرآن كتاب الله مالا يبقى معه لمنصف إلا الإيمان ولكنا هنا نريد فقط أن نرى كيف أن الزخرفة في القول والغرور قاسم مشترك موجود بين كل دعوة تعادي دعوة الأنبياء ، وان هذه الزخرفة وهذا الغرور إنما هما غطاء للكذب ليس إلا . ولعل فيما ذكرناه ما يصلح دليلا على ذلك بالنسبة للنظرية الشيوعية . ولنمش خطوة أخرى .

إن الجزء الثاني من النظرية الماركسية هو الجدل ولذا تسمى الماركسية بالجدلية المادية ، وبعضهم يبسط هذا الجانب بأن يقول إن الشيء يحوي في طياته نقيضه القابل للتوسع حتى يزول الشيء ليعمل محله نقيضه ، وفكرة الشيء ونقيضه والشيء وضده فكرة موجودة يلحظها كل انسان حتى قال القائل قديماً :

لكل شيء آفــة من ضده حتى الحديد سطا عليه المبرد

إن الفكرة بحد ذاتها فكرة مُدركة مُحسة ، فأنّ تأتي الشيوعية وتقيم عليها ما تقيم من تبجحات ودعاوى وتعتبر نفسها باكتشافها لهذه النقطة قفزت بالعقل البشري من طور الى طور .

إن ذلك كله يدلك على الزخرفة في القــول والغرور الكامــل في الادعاء مبنيين على لا شيء يستحق مثل هذا الضجيج والطنين والرنين .

فاذا ما نظرت بعد ذلك الى ما يبنونه على فكرة النقيض تجد الكذب مجسداً ، فهم يقولون بأن المادة وجدت أزلا وأن المادة يتحكم بها قانون النقيض فهي في انطفاء واشتعال وتركيب وفساد وانتقال من تشكيل الى تشكيل يقول الكتاب الدي نقلنا عنه :

« وتدل المعطيات العلمية على أنه حتى الأجرام السماوية الموجودة منذ المليارات ومئات المليارات من السنين لها بداية ونهاية وأنها تنشأ وتهلك ولكن المادة بجملتها أزلية أبدية » .

ونقول أعطونا دليلا واحداً على ما تقولون من أن هذا الكون البديع النظام والترتيب قد جدد نفسه الى مالا يتناهى من المرات بحيث إنه نشأ وهلك ثم هلك ونشأ مع هذا فالمادة أزلية أبدية ، ما هو الهلاك ثم كيف تتم النشأة بعد الهلاك دعونا نتصور أن الهلاك هو أن تنعدم التناظرات في هذا الكون حتى يصبح في درجة الصفر المطلق . أعطونا تعليلا علمياً كيف عادت الحرارة مرة ثانية الى الظهور ومن المعروف أن القانون الثاني من قوانين الحرارة يقول باستحالة ذلك فبالله عليكم أيها الناس ماذا تسمون هذا الكلام الذي يريدون أن يبنوا عليه الثورة العالمية والتغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي في هذا العالم ؟.

كل مرة المادة تهلك ثم تنشأ ، من قال ذلكوما دليله ؟ وكيف يتمذلك أعطونا تعليلا واحداً ودليلاً واحداً ! إن الدليل العلمي والعقلي ضدكم فالكون منذ نشأته في توسع ، وسيأتي يوم يخرب فيه نظام هذا الكون هكذا أخبرنا الانبياء . وهذا شيء يقبله العقل ولا ينقضه العلم ولكن كلامكم لا يدل عليه عقل ولا علم .

مثل هذه السخافات التي يسمونها كذباً علماً يتحدثون عنها بمثل هذه اللغة ، يقول الكتاب المذكور : « إن الديالكتيك إذ يدرس الصلة العامة وتطور العالم يبرزكطريقة علمية للمعرفة... ولما كان الديالكتيك

يلزمنا بالنظر الى العالم في ترابطه وتطوره فانه يساعد على دراسة الواقع دراسة أعمق ... إن الديالكتيك يحذر من تحجّر الفكر يحذر من الجمود العقائدي ، إنه يعلمنا ألا نقف عاجزين عن التناقضات .... ومما يزيد من ضرورة امتلاك الطريقة الديالكتيكية الخلاقة في التفكير» هذا كله في الصفحة (٣٠) من الكتاب . لاحظ الزخرفة من القول والغرور حول قضية تبنى عليها أكاذيب وتسمى الاكاذيب علماً .

إذا استوعبت ما مر وأدركت سخافته وضحالته عرفت ماهية الفكر الشيوعي كله لأن ما قلناه هو الاساس الذي يبنى عليه كل شيء بل كل شيء إنما هو تفريع له ، فبناء على المادية يقوم الفهم المادي للتاريخ ، وبناء على الديالكتيك يقوم الصراع بين الطبقات ، وانبثاقاً من المادة توجد الأفكار ، وبناء على الديالكتيك يقوم الصراع بين الافكار ويخلطون في ذلك بين ما يحكم العقل ببداهته وبين ما يحكم العقل ببداهة بطلانه ليروجوا للثاني من خلال الاول . ويختلقون معارك وهمية مع جهات خاطئة ليثبتوا من خلال خطأ هؤلاء أنهم هم على حق ، والمسألة ليست كذلك ، ان هناك حقاً وحيداً هو هدي الانبياء ، ههنا محل الصراع والنقاش وههنا لب المعركة وإن باطلهم ليذوب أمام هذا الحق .

إنه من خلال استغلال رأس المال ومن خلال استغلال اضطرار الانسان ومن خلال إثارة الشفقة على العامل ومن خلال تأجيج روح الحقد يقولون للعامل نحن منقذوك ولكن هم أنفسهم كذلك يأكلون إنتاج العامل والفلاح من خلال الطبقة الجديدة طبقة الحزب الحاكم وجواسيسه وإداريه وهم كذلك يسلبون العامل حرية قول الحق وحرية الحركة الحرة حتى في العمل الذي يرتاح إليه العامل وهم هم في أبشع نظام عرفه العالم لا يملك معه الانسان حتى أن يفكر للوصول الى الحق .

إن إنقاذ الانسان كل الانسان إنما يكون بهدي الانبياء الذي هو الحق الخالص والعدل الخالص حيث لا يستغل اضطرار الانسان وحيث لا يستغل رأس المال لإنسان وحيث لا يضيع انسان وحيث يمكن أن يسعد الانسان في كل طور وفي أي زمان وفي أي مكان وعلى أي مستوى .

والنقاش معهم طويل وفي كتاب « حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون » وفي كتابنا « فلسفتنا » ما يمكن القارىء العادي لإدراك جوانب الخطأ العلمي والعقلي في الفكر الماركسي ، فهناك مناقشة شاملة ونحن هنا لم نرد هذه المناقشة الشاملة فهذه تحتاج الى آلاف الصفحات وانما نريد التدليل فقط على أن كل طرحٍ يطرحه أعداء الأنبياء يشترك مع غيره في كونه كذباً مصاغاً بزخرف من القول ومغطى بالغرور .

وهذه ملاحظات سريعة تؤكد هذا المعنى :

١ً ـ إن الماركسية تطرح شعار « من لا يعمل لا يأكل » وبناء عليه تبشر بعالم لا حكومة فيه . إن الدولة تعني وجود من لا يعمل عملاً منتجاً . وتحلم بعالم يقدم فيه كل من الناس طاقتهم ليأخذ حاجته هكذا بدون دولة ولا حكومة تتولى ذلك وحتى بدون من يربي عليه لأننا لا ندري هل تعتبر التربية عملا يستحق صاحبه شيئاً .

إنه من خلال هذه النقاط التي تعتبر جزءاً من الاشتراكية العلمية يريد الشيوعيون أن يقنعوا العالم بأنهم العلميون الوحيدون في هذا العالم ، وانظروا وضعهم الحالي ، وكيف أن نظامهم من أكثر نظم العالم مركزية حتى في تصدير الافكار وكيف أن سلطان الدولة عندهم يزداد تدعيماً وكيف أن الرشا عندهم لا ضابط لها ، وكيف أن الحزب يقوم بدور مصاص دماء الطبقة العاملة ومستغلها ، هذا كله موجود ومع

هذا نجـد اللغة التي يتحدثون فيهـا عن أنفسهم لغة المحرر للطبقة العاملة في العالم وهم الذين يتعاملون مع العمال في بلادهم كما يتعامل ربُّ القطيع مع قطيعه •

إنهم يحلمون بمجتمع الانبياء من خلال تربية الشياطين هيهات هيهات إنك لا تجني من الشوك العنب ، لقد استطاعت التربية النبوية المحمدية أن توجد المجتمع الذي يبذل فيه كل إنسان بمحض اختياره كل ما عنده ، ويأخذ باختياره بعض ما يلزمه كما ورد في الحديث : « إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزوة أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم » متفق عليه •

ولكنها تربية الانبياء ، وهم يؤكدون على المادة والمادية ومن خلال نظرية فضل القيمة التي يحاولون أن يقنعوا العامل من خلالها أنه مستغل وأن عليه أن يحطم نظام العالم كله من أجل القروش التي يأخذها منه صاحب رأس المال ، ونحن ضد استغلال رأس المال ومع الأجر العادل للعامل • ولكن نقول إنهم هم الذين يربون على مثل هذا يريدون من الانسان المادي أن يصل الى أن يبذل طاقته باختياره ثم يأخذ بحسب حاجتـه باختياره ، ومتى ذلك ؟! حيث يتحرر الانسان من أخـلاق البورجوازية ؟ نقول لهم : بجانب الكرملين الآن مخازن كثيرة خاصة بأعضاء الحزب الكيان يأخذون منهـا كل ما يشاؤون مما لا يستطيع غيرهم أن يصل اليه فلماذا تخصون أنفسكم بما يخص به البورجوازي نفسه ؟ أليس هذا دليلا على أنكم كذابون وأن كذبكم مستور بزخرف القول والغرور •

وبمناسبة الكلام عن فضل القيمة التي تعتبر ذروة الفكر الماركسي وأعظم اختراعات ماركس الفكرية والتي تعني أن العامل يعمل عنـد

صاحب العمل بما قيمته عشر ليرات ويعطيه رب العمل ثمانياً سارقاً ليرتين من كل عامل وتتراكم السرقات.. ثم....ثم... ياعمال العالم..

لا يجوز لأحد أن يمتلك وسائل الانتاج بناء على ذلك ويجب أن تلغى الدولة في النهاية بسبب يتفرع عن ذلك .. وو .... ! الى مالا نهاية من الكلام بناء على ذلك .

من الذي يجد قيمة العمل ؟ وما هو التحديد العادل لهذه القيمة ؟ وكيف نقدر قيمة الجهد الفكري ؟ وكيف نجمع بين عدم جواز تملك وسائل الانتاج وإلغاء فكرة الدولة ؟ وفي حال إلغاء فكرة الدولة كيف يتم تأمين الخدمات العالمية وما يلزم لذلك من مصانع ضخمة وأدوات نقل عملاقة ؟ أي عامل في هذا العالم يصدق أن مثل هذا الكلام الذي يقولونه علم خالص كما يزعمون أم أنه الزخرف والغرور والكذب الخالص . بعد ذلك إن الشيوعية الآن هي السلاح الأمضى بيد روسيا لاستعباد الشعوب وتفريغها من قيمها الأصيلة . ويكفي من خلال رؤية وضع المسلمين في تركستان ورؤية ما حدث في تشيكوسلوفاكيا أن ندرك أن روسيا التي كانت أضعف حلقات الاستعمار أصبحت بسبب الشيوعية أقوى حلقات الاستعمار ، بل إن الشيوعية هي التبرير الأخبث للخيانة العظمى في كل مكان فالشيوعي في كل قطر جاسوس وعميل ولكن بوقاحة وجرأة وجهرية .

إني لأسخر في نفسي وأنا أقرأ عن فضل القيمة في الفكر الشيوعي، وكيف لا أسخر وأنا أجد العامل الشيوعي في ألمانيا الديموقراطية وهو الذي لا يسلب أحد منه فضل القيمة لا ينال إلا أقل من الكلب الذي يعيش في ألمانيا الغربية حيث يأكل أصحاب رؤوس الاموال فضل قيمة عمل العامل ، هذا ونحن نعتبر النظام الرأسمالي نظاماً جائراً ظالماً .

كما أسخر في نفسي وأنا أسمع التعليلات التي تعلل فيها بعض الأمور .

إن الشيوعيين بدل أن يعترفوا أن نظامهم يعادي فطرة الانسان وطبيعة التركيب العام للنفس البشرية يبقون مصرين على السير في الطريق الخاطىء مع الادعاء والغرور إذ يأخذون كل الألقاب في العالم ليفرغوها على أنفسهم بعد أن يأخذوا امتدادها عملياً .

ولكن وبلا شك فإن الذي يعطي لكلامهم قوته مفاسد الرأسماليين، وإن الاسلام هو الحل الامثل والاكمل والاعدل وإنه الأمل المستقبل ، الاسلام كما هو في نصوصه وكما تريده الحركة الاسلامية المعاصرة ، ولنعد الى تسجيل بعض الملاحظات على الماركسية والماركسيين .

٢ ـ إن الماركسية تدعي العلمية وهي التي حاربت نظرية إينيشتاين العلمية التي قام الدليل العلمي على ثبوتها جميعاً ما عدا واحدة وهي التي تتحدث عن ثبات حجم الكون فيما وقفت الماركسية رافضة في دولتها الرسمية .

الاتحاد السوفيتي حتى نهاية الاربعينات تقريباً يجهل الفكر الانشتايني ، بل كان يضطهد القائلين به وذلك لأن نظريات اينشتاين العلمية تنقض الديالكتيك الذي هو الشيء الأساسي في التفكير الماركسي ، فليست الماركسية علمية بل إنها تناقض العلم وتضطهده وتتعامل معه بلغة محاكم تفتيش جديدة .

إن الماركسية تتناقض مع نفسها فبينما تعتبر الديالكتيك هو الأساس في عالم المادة وعالم الحياة وأن كل شيء يحتوي على بذور نقيضة وأن هذه البذور تنمو لحساب النقيض فيتغلب ثم يكون هذا النقيض حاوياً لبذور نقيض آخر وهكذا أزلاً وأبداً في المادة والحياة ،

وإذا الماركسية نفسها تبشر بعالم تسود فيه الشيوعية وتستقر وتستمر وينتهي التناقض وتصوغ ذلك كله بلغة جزم مليئة بالغرور وبحرف مزخرف لا يلبس أي مضمون صحيح كما سنرى بعد قليل .

٣ً ـ إن الماركسية تدعي أنها من خلال ملكها للقانون تستطيع وحدها أن تعطي الجواب الصحيح على صور المستقبل وهو منطق عجيب غريب تكذّب الماركسية فيه يوميات الحياة الماركسية فماركس يتنبأ بقيام الثورة الشيوعية في المجتمعات الصناعية أولا كبريطانيا وألمانيا ، وإذا الثورة الشيوعية تقوم في الدولة الزراعية أولاً وهي روسيا ثم الصين ، والماركسيون يتنبأون بزوال التناقض في المصالح بين طبقة البروليتاريا ، وإذا المصالح توجد عوازل بين دولتي البروليتاريا الرئيستين في العالم : الصين الشعبية والاتحاد السوفييتي أكثر مما بين كل من هاتين الدولتين وأمريكا نفسها ، وقد سحقت جيوش الاتحاد السوفييتي آلاف العمال في المجر الذين لم يستشعروا لحظة واحدة أن الاتحاد السوفيتي يعاملهم بمنطق انسانية واحدة .

٤ً ـ ولعل أبرز ما يريك الزخرفة والغرور في المنطق الماركسي تبشير ماركس بشيوعية عالمية تمحي فيها سلطة الدولة ، فالماركسية تدعي أنه بعد أن تنتصر ثورة البروليتاريا ويتعايش الناس بالاخلاق البروليتارية الخالصة ، تزول جميع رواسب الاخلاق البرجوازية عندئذ لا تبقى حاجة للدولة لأن كل إنسان يعمل بقدر طاقته ويأخذ بحسب حاجته دون أي تدخل من جانب أي سلطة ، أي أن الفلاح يزرع ويقطف ويأتي بمنتوجه الى السوق فيأخذ من الآخرين ما يحتاجه ، ويأخذ منه الآخرون ما يحتاجون منه بلا زيادة ولا نقصان من دون قانون ولا دولة فهل يقبل أي مجنون في العالم أن يتصور إمكان ذلك ، يكفي للرد على هذا المنطق أن تجد أنه بعد تجربة ستين عاماً في النظام

الشيوعي أنك تجد سلطان الدولة يتكرس ، وتجد أن دولة الاتحاد السوفييتي تنتقل من اشتراكية أشدّ الى اشتراكية أخف بدلا من أن تنتقل من اشتراكية الى شيوعية ، ويكفي أن ترى احتياج الصين الشعبية كل عدة سنوات الى ثورة ثقافية تجدد حيوية الاشتراكية ، ومع هـذا تقوم بعد موت شوإنلاي بوقت ليس ببعيد مظاهرات في بكين نفسها لصالح اشتراكية أخف أو لصالح الاعتدال ، إن نظرة واحدة على هذا الجزء من النظرية الماركسية تريك غرور أصحابها وتبجحهم وعرضهم المزخرف الزائف إذ يعرضون مثل هذا القول ويريدون أن يقنعوا العالم أنهم بمثل هذا القول يمثلون وحدهم التقدمية في العالم بل يعتبرون أنفسهم أنهم وحدهم حداة التقدم البشري .

إلا أنه زخرف القول والغرور .

٥ً ـ ومن أبرز ماتظهر فيه الزخرفة والغرور في النظرية الماركسية أنها تدعي أنها تفجر طاقات المجتمع جميعاً ، مع أنها في الواقع أكثر النظريات قتلاً للطاقات ، إذ أنها تصرف طاقات كثيرة لتأمين المراقبة والمراقبة على المراقبة وللإدارة وإدارة الإدارة والمحاسبة وتأمين المحاسبة وبسبب الروتين الحكومي المعقد الذي تحتاجه أدنى الامور ، كما أن قسماً كبيراً من الطاقات يذهب هدراً بسبب انعدام الدوافع الفردية ، ومن ثم تجد روسيا التي كانت تصدر القمح للغرب في زمن القياصرة تعيش الآن على عوائد الغرب في أمر القمح ، وبدلاً من أن يكون ذلك علامة خطأ عـلى أصل النظرية فالماركسيون بمنتهى الغرور يتشدقون ويزخرفون نظرياتهم وهي على التحقيق سراب خادع .

٦ً ـ ومن أبرز ما يبرر فيه الزخرفـة والغرور ادعاؤها نصرة الطبقات الدنيا من العمال والفلاحين مع أنها أوجدت نظاماً لم يعرف تاريـخ العالم له مثيلا في اضطهـاد الطبقات الدنيا إذ انتقلت السلطة

بواسطتها من الاقطاعي الصغير والـدولة الى الدولة وحدها ، فكان للفلاح والعامل في الماضي نوع حماية وحرية ، وإذا هو يصبح في ظل الماركسية بلا حماية ولا حرية والويل لمن يتنفس أو يشكو • ولم تكن ملايين الضحايا في عهد ستالين إلا من طبقات العمال والفلاحين • وأي مقارنة بين وضع عامل وفلاح في بلد كالسويد وبين وضع عامل وفلاح في الاتحاد السوفياتي تريك الفارق الكبير بين عبودية الثاني الكاملة وحرية ورفاه وكرامة الأول ، مع ذلك يأبى الماركسيون إلا أن يلبسوا فظرتهم ثوباً مزخرفاً ويأبون أن يتكلموا إلا بلغة الغرور ، وتلك سمة كل دعوة تعارض دعوة الانبياء وإن أي استعراض لمجموعة التعابير الماركسية تريك هذا بوضوح من مثل : الصراع الطبقي ووحدة الطبقة العاملة وديكتاتورية البروليتاريا ، والسلام العالمي والثورة العالمية والتقدمية وحتميةانتصار الثورة وأمثال هذه الألفاظ المزخرفة المشحونة بالغرور والتي هي في حقيقتها هراء وخواء ، كل ذلك أمثلة بارزة على أن كل دعوة ــ ومنها الدعوة الماركسية ــ تعارض دعوة الانبياء لا تملك إلا زخرفاً من القول وغروراً وأن دعوة الانبياء وحدها هي التي تملك النافع من القول والمفيد من الحكم والحقيقة المشرقة الناصعة المتواضعة •

ج ــ الفقرة الثالثة : الطرح الفلسفي الوجودي : ولننتقل الى طرحٍ معاصر آخر يعارض دعوة الانبياء ويحاول أن يكون بديلا عنها لنرى الزخرفة الباطلة فيه والغرور متجسدين في هذا الطرح الفلسفي الوجودي :

لم تزل البشرية في كل أحقابها تعتبر اتباع الأهواء مطلقاً مذمة وذلك منطق العقل والعلم فمن لا يعرف أنه لو أعطي كل إنسان هواه لخرب العالم واستحالت الحياة جحيماً ، فكل انسان يرغب أن يكون

زعيماً ، وكل انسان يرغب بكل جمال وكل انسان يرغب بكل مالٍ ، ولو أن كل حسود حقق حسده وكل حقود حقق ما يرغب فيه حقده فكيف يكون العالم وقد قال الله عز وجل : « ولو اتبع الحق أهواءهم **لفسدت السماوات والارض** » **ومن ثم جاءت دعوة الأنبياء عليهم السلام** لضبط الأهواء بميزان صحيح وتوجيهها وجهة صحيحة : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » وكل ذلك مفهوم لكنه معقول المعنى غير أن الهوى غلاّب والنفس ترغب في التبرير ، وكان لأهل كل هوى في كل عصر فلسفتهم ولكل فلسفة زخرفتها وقمة هذه الزخرفة وقمة هذا الغرور لفلسفة إطلاق الاهواء من أعنتها وإعطائها مداها الفلسفة الوجودية المعاصرة هي التي زخرفت للانسان اتباع الهوى ونفخت في هذا الاتباع روح الغرور واذا بالانسان المتأثر بهذه الفلسفة تبهره الزخرفة وينفخه الغرور وينطلق أداة تدمير ومتاهة ضياع ومن ثم انبثقت عن هذه الفلسفة موجات من تيارات شتى تحار كيف تعبر عن أهوائها بملايين من صور الشذوذ غير المعقول في الملبس والمسكن والمشى والمبيت والجنس والطعام والشراب ، فأصبح الانتساب للحيوان مفخرة وتقليد الحيوان أساساً للتصرف . وتقلصت الفوارق بين الانسانية والحيوانية وأصبح النقص كمالاً والكمال نقصاً وبشر بذلك كله مئات من الكتاب بآلافٍ من الكتب لا تجد أبلغ من وصفها في قوله تعالى : « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » زخرف من القول يؤدي الى باطل منتفش تلك حصيلة ذلك كله .

من هذه الأمثلة التي ذكرناها تدرك التضليل الذي تقع به الاجيال إذ تنحرف عن دعوة الانبياء التي هي وحدها التي تملك النافع من القول والمفيد من الحكم والحق الخالص الذي لا يخالطه باطل .

★ ★ ★

الفصل الثاني

ومن إعادة النظر في الآيتين اللتين صدرنا بهما البحث نجد أن السبب الرئيسي للاستجابة الى وحي شياطين الإنس والجن هو عدم الإيمان بالآخرة قال تعالى : « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون » فما من إصغاء الأعداء الله وما من رضى بطروحهم إلا بسبب انعدام الإيمان بالآخرة أو ضعفه ومن ثم فعلى الدعاة الى الله التركيز الكامل على قضية الإيمان باليوم الآخر ولا يتم ذلك على تمامه وكماله إلا بتعلق القلب بالقرآن الكريم لأن الله عز وجل وصف كتابه بقوله : وإنه لعلم للساعة » فقد أعاد بعض المفسرين الضمير على القرآن ، فالقرآن علم للساعة وما يكون بعدها فبقدر ما يتلو المسلم كتاب الله حق تلاوته وبقدر ما تزول الحجب عن قلبه تنجلي مرآة قلبه وتنطبع بها قضايا اليوم الآخر ، ولعلنا بهذا المعنى الذي ذكرناه تعرفنا على نقطة ضعف رئيسية من نقاط الضعف عند المسلمين ولا شك أن فيما مضى من هذه الرسالة رأينا كثيراً من نقاط الضعف عندهم ومع ذلك فإن الفصل القادم سنخصصه للكلام عن نقاط ضعف أخرى فان تشخيص المرض جزء من العلاج ، وقد تراكمت الامراض على هذه الأمة حتى وصلت الى ما وصلت اليه يقول عليه السلام : « الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً عضوضاً » ويقول

عليه السلام : « تنقض عـرا الاسلام عروة عروة فأولها نقضاً الحكم وآخرهـا الصلاة » وقـد كادت الصلاة نفسها في عصرنا تنقض ومن ثم فنحن نرث تراكم أمراض القرون ومهمتنا أن نبذل جهداً لإحياء هذا الدين وتجديده وشفاء أهله الذين هم نحن مما هم فيه والأمر صعب ولكن الطريق الطويل يبدأ بخطوة واحدة .

وقبل أن نختم هذا البحث نريد أن ننبه على قضية أخرنا الكلام عنها ليكون آخر ما يراه القارىء في هذا الباب وهي :

أن نظاماً يلتقي فيه تعمير الارض مـع رفاه الانسان يمكن أن يوجد بمعزل عن دعوة الانبياء ، وإن نظاماً يعطي للانسان أكبر قدر من اللذة على هذه الارض يمكن أن يكون بمعزل عن دعوة الانبياء ، وإن نظاماً يمكن أن يحقق للبشرية شهواتها يمكن أن يكون بمعزل عن دعوة الانبياء ، وإن نظاماً يمكن أن يحقق لأمة أو لشخص أمجاداً وشهرة يمكن أن يكون بمعزل عن دعوة الانبياء ، وإن قدراً ما من الحرية والعـدل الاجتماعي والسلام وغـير ذلك من معانٍ محبوبة **للانسان يمكن أن يتحقق بمعزل عن دعوة الانبياء** ، ولكن هذا كله بدون دعوة الانبياء يحوي في طياته القلق والحيرة والدمار والخراب على المدى البعيد ، وهذا كله يعرُض الانسان لعقوبات الله عز وجل في الدنيا وعقوباته في الآخرة ، قال تعالى :

« ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

ولذلك نقول : « إن أعداء الانبياء لا يسيرون بأنفسهم وبغيرهم إلا الى الشقاء في الدنيا والآخرة ولكنهم يجهلون .

أما دعوة الانبيـــاء فإنها تصل بالانسان الى الطيبات في الـــدنيا وكرامة الله في الآخرة فينال الانسان تطلعاته العليا كلها دون خوف من مغبة سابقة أو لاحقة إلا خوف الله وحده .

« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

* * *

الباب الثالث

الصراع أبدي ولكن أمة الله مرضية

الصراع أبدي ولكن أمة الله مريضة

ذكرنا أن دعوة الانبياء وحدها هي التي تعطي الجواب الصحيح والحق على كل سؤال ، وما عدا هذه الدعوة إما أن تجيب جواباً قاصراً أو باطلاً واذا أجابت فانها لا تجيب إلا عن بعض جوانب الحياة البشرية ولا نعني بالجواب هنا الجواب عما يخضع للتجربة البشرية فهذا نوع من الاجوبة يتوصل اليه الانسان بمجرد التحليل والتأمل والمشاهدة ، وإنما نقصد الجواب على ما تحتاجه النفس البشرية من أنواع الهداية ومن أنواع الاخلاق وما تحتاجه الحياة البشرية من موازين ومعايير وأحكام تقيدها وتربطها وتطلقها في الإطار الصحيح ، قال تعالى متحدثاً عن كتابه الذي هو المجلي لدعوات الانبياء جميعاً وهو المصدر الوحيد للتلقي في دعوة الله ودعوة الانبياء إذ هو الناسخ لكل ما سواه قال تعالى واصفاً كتابه : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » وقد يستغرب الجاهل كيف يكون القرآن تبياناً لكل شيء مع أن آياته محدودة ، والجواب أن هذه الآيات المحدودة فيها معانٍ لا تتناهى ، فمن خلال الآية ومحلها في السياق ومن خلال السورة ومحلها في السياق القرآني العام تتولد معانٍ تسع الحياة كلها وقد أبرزنا هذا مرات في كتابنا « الأساس في التفسير » ومع كون المعاني القرآنية لا تتناهى فإن القرآن قد أحال على السنة . والكتاب والسنة أحالا على الإجماع وعلى القياس ومن ثم فما لا يعرف حكمه في الكتاب يعرف بالسنة ومالا يعرف بالسنة

يعرف بالإجماع ومالا يعرف بذلك يعرف بالقياس ومالا يعرف بهذا كله فإن هناك روح الشريعة وقواعدها العامة التي دلت على المصالح المرسلة والتي اعتمدت العرف العام الصالح وهكذا تتولد ملايين الاحكام المنبثقة عن الاصلين الثابتين وعلى ضوئهما وهما الكتاب والسنة ومن خلال هذا الذي ذكرناه تدرك حقيقة ثابتة هذه الحقيقة الثابتة أن المسلم لا يرضى أن تسير الحياة البشرية إلا منطلقة من الأصلين الكبيرين الكتاب والسنة ومادامت هذه الحياة منطلقة من الكتاب والسنة وعلى ضوئهما وبقيودهما فلا حرج أن يكون اختلاف لأن الاختلاف في هذه الحالة هو أثر من المرونة في شريعة الله لتسع هذه الشريعة الزمان والمكان • كما تدرك الحقيقة المقابلة أن المسلم موقفه من كل دعوة أخرى الرفض المتأمل ، الرفض لأنها لم تنبثق عن هدي الله والتأمل خشية أن يكون فيها جانب إيجابي تحدثت فيه دعوة الله عز وجل وشريعته وغفل عنه أهل الاسلام أو بعضهم لسبب من الاسباب•

★ ★ ★

هذه الدعوة دعوة الانبياء يثير أعداء الله عز وجل عليها غبار الشبهات ويحاولون أن يصرفوا الناس عنها بالمجابهة أحياناً وبخداع الشعارات أحياناً أخرى ، والمجابهة ضخمة جداً وغبار الشبهات كثير وكثيف ، وخداع الشعارات رهيب ، والحركة الاسلامية تقاتل وتصارع على جبهات شتى في كل جانب من هذه الجوانب ، والأمر كبير ويزيد الامر شدة نقاط الضعف الكثيرة عند المسلمين ولعل هذه الرسالة تساعد أو تدفع أو تشفي أو تبصّر •

ولنتحدث باختصار عن مجموع ما يقف أمام دعوة الانبياء عليهم السلام •

أ ــ المجابهــة : هناك تواطؤ عالمي رهيب ضد انتصار الاسلام السياسي الذي هو المقدمة الطبيعية للنمو الطبيعي للقوة الاسلامية العالمية ، هــذا التواطؤ أسبابه كثــيرة ذكرنا بعضها في مقدمة كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقاً » والثمرة المرة لهذا التواطؤ هو قطع الطريق بكل الوسائل على الحركة الاسلامية أن تحقق أي انتصار إما بإجهاض الانتصارات الاسلامية أو بالتآمر ضد الحركة الاسلامية ، ولعل في هذه الأمثلة نماذج متعددة على أنواع من هذه المجابهة .

١ ــ إفريقيا من بين القارات كلها تمتلك حيوية جديدة فتية ، وفي قلب افريقيا تقوم دولة ضخمة هي نيجيريا التي يبلغ عدد المسلمين فيها حوالي أربعين مليوناً ، وكان عــلى رأس هذه الدولة شخصيتان إسلاميتان عاملتان هما أحمدو بللو وأبو بكر تفاوة ، وبدأ الاسلام في عهدهما ينمو وينتشر وكان واضحــاً أن نيجيريا دولة الستين مليوناً ستصبح كلها إسلامية وستكون مرتكزاً عظيماً للاسلام في قلب إفريقيا، فكان أن قام الانقــلاب الاول الــذي قتل فيه الرجلان رحمهما الله وغذيت حركة انفصالية ثم كان ما كان وكل ذلك ليحال بين نيجيريا وأدائها لدورها الاسلامي .

٢ ــ كان من أكبر كوارث العصر كارثة تمزق وحدة باكستان الشرقية والغربية فهــو تمزق أضعف ولو لمرحلة الاسلام في كل من الجزأين المنفصلين ، ولا شك أن هذا التمزيق كان وراءه قوى خفية ومخططات عالمية كلها تستهدف الاسلام أولاً وتكيد له ، ونتيجة لذلك وجدت على الخارطة دولة « بنغلادش الشعبية » وفجأة نسمع بانقلاب يقتل به مجيب الرحمن الذي كان رأس عملية الانفصال ثم يعلن في اليوم الاول عن تغيــير اسم الجمهورية الجديــدة لتكون جمهورية « بنغالة دش الاسلامية » ثم في اليوم الثاني أو الثالث يعلن عن العودة

الى الاسم القديم ، فلماذا أعلن ابتداء عن تغيير الاسم وسحب الاعلان بعد ذلك ، هل الاعلان كان لكسب تأييد الشعب البنغالي مؤقتاً أو أن ضغوطاً عالمية حدثت لتغيير الاسم المخيف ؟ وأياً كان الأمر فان ما حدث يريك رغبة حادة عند أطراف كثيرة بأن يحال دون انتصار حتى اسم الاسلام سياسياً .

٣ ـ من المروّج له عالمياً أن تعطى الحرية لكل ذي دين في حمل دينه ، ومن الملاحظ أنه في أوربا الغربية كلها تقريباً توجد أحزاب سياسية تحمل اسم المسيحية وقسم كبير منها حكم ولا يزال يحكم ففي ألمانيا الحزب الديموقراطي المسيحي وفي إيطاليا كذلك والديغولية التي حكمت فرنسا ولا تزال تحكمها ، النفس المسيحي واضح فيها وكل ذلك يدل على أن الحرية الدينية لا ينفي وجودها أن يصل الى الحكم حزب يحمل اسم دين معين ، بدليل أن وصول أي حزب من هذه الاحزاب لا يعني اضطهاداً دينياً ، والاسلام هو أول من فرض فكرة عدم الإكراه على الدين ومع ذلك أمن المصادفة أنه لا يسمح الآن في أي مكان في العالم الاسلامي أن يقوم حزب سياسي باسم إسلامي أليس ذلك مظهراً من مظاهر التآمر العجيب غير المعلن عنه ضد الاسلام .

من هذه النماذج تدرك أن هناك مجابهة لهذا الاسلام تأخذ أشكالا شتى هي في طبيعتها عالمية ولكنها تنفذ في كل قطر تقريباً بأسلوب . والاضطهاد العام أو الفردي يكاد يكون جزءاً مشتركاً في هذا الاسلوب وإثارة غبار الشبهات واستعمال سلاح خداع الشعارات هما الجزءان الآخران المشتركان .

ب ـ إثارةغبار الشبهات : من الاسلحةالرئيسة التي تستعمل ضد الاسلام إثارة الشبهات حوله فالاسلام عندهم لا يصلح للتطبيق في هذا

الزمن بدليل إباحته للرق وبدليل وجود نظام مثل نظام الجزية فيه ، والاسلام يشكل عامل تفرقة بين أبناء الشعب الواحد إذ توجد أقليات غير مسلمة في الاقطار الاسلامية ، والاسلام يحول دون التقدم الحضاري ، والاسلام ليس فيه خطوط واضحة المعالم للتطبيق المعاصر، والاسلام غير متفق على فهمه بين المسلمين ، والمسلمون مختلفون قديماً وحديثاً وتبنينا الاسلام ينقل كل الخلافات القديمة الى مجتمعنا وهذا جانب من الاسلام فيه مغمز وهذا جانب فيه مغمز آخر وآخرون يقولون إن الأديان كلها باطلة ، وآخرون يقولون إن الاسلام من المثالية بحيث يصطدم مع الواقعية ، هذا وأمثاله كثير مما يثار من غبار الشبهات حول التطبيق الاسلامي وكل هذا وأمثاله لا يساوي في منطق العقل والعلم والواقع شيئاً ولكنه مع ذلك يقال ويُروج له ويؤكد ويتبنى كل جزء منه مؤسسات وأحزاب ورجالات كل ذلك ليحال بين دعوة الانبياء وتنسم الانسانية لعبيرها الجميل ثم يأتي بعد ذلك دور خداع الشعارات .

جـ ـ خداع الشعارات : بحكم أن الاسلام فيه إجابة على كل سؤال فما من قضية إلا وله فيها كلام ومن جملة ذلك قضايا الحرية والعدالة والمساواة والانسانية الواحدة والإخاء العام ، وغير ذلك من الأمور ، ولكن هذه الأمور في المفهوم الاسلامي ذات مضمونات محددة غير سائبة ولا مائعة إلا أن هذه المعاني وغيرها استغلها أعداء الاسلام قديماً وحديثاً ، إذ أخذوا بعض المعاني ذات الاصول الاسلامية المحددة المعنى وطرحوها معطين إياها مضمونات تبتعد عن الاسلام شيئاً فشيئاً ناقلين بوساطة ذلك المسلم من بعد عن الاسلام الى ما هو أبعد وهم في ابتداء الأمر لا يعطون هذه المضمونات إلا ما هو سائغ إسلامياً ثم بقدر استسلام الضحية لهم يحرفونه . وهكذا يوجد في المجتمع الاسلامي تكتلات منفصلة عن جسم الأمة الاسلامية بقياداتها وأهدافها الحقيقية

تجتذب وراءها جماهير واسعة غافلة مخدوعة ، نجـد ذلك ابتداء في طروح عبد الله بن سبأ إذ استغل روح الورع الجاهل ليثير النقمة على عثمان رضي الله عنه ثم ليجر المسلمين بعد ذلك الى الفتنة الكبرى التي تستمر آثارها الى هذا اليوم ، ونجد ذلك في كثير من الحركات الباطنية التي رفعت لواء محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستجر كثيراً من المسلمين الى اعتقادات تقطـع الصلة قطعـاً نهائياً بالاسلام ونصوصه ولا تظهر قضية خداع الشعارات كما تظهر في عصرنا ابتداء بالطروح الماسونية وانتهـاء بالطروح الحزبية السياسية ، فقـد طرح الماسون شعار الحرية والإخاء والمساواة وهو شعار للاسلام حكمـه المحدد فيه ومضموناته الخاصة فيه ، ولكن الماسون طرحوه ابتداء على انه لا يتنافى مع الاسلام ثم أخذوا يعطونه المضمونات التي يريدونها والتي تختلف من إنسان لانسان بحيث استطاعوا من خلال خـداع الشعارات هذا أن يوجدوا تياراً لا إسلامياً قوياً استطاعوا من خلاله أن يقوضوا الدولة العثمانية وأن يضعفوا الاسلام إضعافاً كبـيراً ، والشيء نفسه حدث إذ استغلت أطراف متعددة قضية حب الوطن وحب القوم وحب الوحدة وحب التسامـح ليطرحوا شعارات من خلالهـا ينقلون المسلم من طورٍ الى طور ليوجدوا في النهاية تيارات تحارب الاسلام أو تقطـع الطريق على انتصاره السياسي أو تفقـده التكامل الواقعي والتطبيقي ولو أن المسلمين عقلوا نقطة واحدة في الاسلام وهي عدم إعطاء الثقة والطاعة لغير المسلم لما استجروا لما استجروا اليه ، ولو أن المسلمين عقلوا ما أدبهم به الله عز وجل بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » لو أنهم عقلوا هذا لعرفوا أنه لايصلح لهم أن ينساقوا وراء أي طرح يطرحه غير مسلم ملتزم بالاسلام وهذا يجرنا الى الكلام عن النقطة الرابعة الخطيرة المعاصرة في موضوع المد الاسلامي وهي نقاط الضعف عند المسلمين .

حـ ــ نقاط الضعف عند المسلمين : إنه لولا نقاط الضعف عند المسلمين لما كان لمجابهة الاسلام كبير قيمة ولا لغبار الشبهات ولا لخداع الشعارات ولكن نقاط الضعف عند المسلمين هي التي أعطت هـذه الاشياء مداها الذي أراده لها أصحابها •

من هذه النقاط جهل كثير من المسلمين بالاسلام وهي أهم قضية على الإطلاق ومنها ضعف الوعي عند الكثير من المسلمين ومنها قصور النظر ومنها الرغبة في الدنيا والزهد في الآخرة ومنها ضعف السلوك الاسلامي والإغراق بالشهوات ومنها التخلف المدني عند المسلمين وغير ذلك كثير ، كل ذلك أعطى أعـداء الاسلام فرصة كبـيرة للنجاح ، نجاحهـم في التضليل ونجاحهـم في محاولاتهم أن يجهضوا الحركـة الاسلامية ، ونجاحهم في تفتيت المجتمعات الاسلامية ونجاحهم في حرف المسلم عن حقيقة الصراع الحق الخالد الى أنواع من الصراع لا تتفق مع مهمة المسلم في هذا الوجود •

وإذا كان هذا كله مرتبطاً مع مرض الأمة الاسلامية بسبب ، واذا كان هذا مكمن الداء الاول وهو مرض الامة الاسلامية فـلا بد من حديث طويل عنه •

★ ★ ★

إن أمـة الانبياء مريضة ومن ثـم فدعوة الانبياء في خطـر أي الانسانية كلها بكل قيمها الخالدة في خطر • إن أمة الاسلام مريضة في الوقت الذي يتجمع فيه بيد أعداء الانبياء من وسائل العمل والقوة ومن وسائل التضليل ما لم يوجد في زمن مضى ، وكل وسائل القوة والتضليل تستعمل ضد بعضها بعضاً ولكنها كلها متجهة الينا ، وبدلاً من أن نكون غازين أصبحنا مغزوين ، وبدلاً من أن يقف المسلم في الصف المقابل لأعداء الانبياء إذا هو في الصف مع أعداء الانبياء إما

لانه ارتد وإما لأنه قد خدع عن موقعه الرئيسي وبدلاً من أن يقول المسلم كما قال ابراهيم إذ حضه الله على ذلك : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معـه إذ قالوا لقومهم إنا بـرآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » إن المسلم بدلاً من أن يكون هـذا موقعه أصبح في موقع الكافرين أنفسهم . وإن المسلم بدلاً من أن يعي حقيقة معركة الكفر معه وبدلاً من أن يعي أن الكفر لا يمكن أن يتركه أبداً كما قال تعالى : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » إن المسلم بدلا من يعي هذه المعاني أصبح لايدع وسيلة إلا سلكها ليتقرب الى الكفر وكتله وحكوماته وهي التي تفعل به ما تفعل وهي التي تخطط له ما تخطط وهي التي تكيد له ما تكيد وهي التي كتبت في تاريخ إذلال هذه الأمة من الصفحات السود خلال مرحلة الاستعمار وما بعدها مالا يصح أن يغيب عن عقل مسلم ولا عن قلبه ، إن مرض الامة الاسلامية هو علة هذا الكون وهو سبب فساد هذا العالم أو سبب استفحال هذا الفساد قال تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » . ههنا مكمن الداء فإذا لم ترفع أمة الانبياء لواء الانبياء وتجابه أعداء الانبياء فمن يرفع اللواء ؟!. وإذا كان هذا هو لب القضية فيمكن الحديث مطولا عن أمراض هذه الأمة .

إن ما عليه وضع الامة الاسلامية بشعوبها كلها هو وضع مرض شامل يبلغ أعماق النفوس ، هذا الوضع المرضي لم تصل اليه الأمـة الاسلامية دفعة واحدة بل جاء على مدى طويل والعوامل المؤثرة فيه لم تكن عوامل واحدة بل هي عوامل كثيرة منها الداخلي ومنها الخارجي

وعلى كلٍّ فالأمراض كثيرة وموجودة وتحتاج الى علاج بصرف النظر عن أسبابها .

ولنبـدأ استعراض بعض الامراض مـع ملاحظة أننا في كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقاً » قد تحدثنا في القسمين الاول والثاني منه ما يمس هذا الجانب مما يقتضيه موضوع الكتاب ذاك وههنا سنبرز أمراضاً يقتضيها سياق الكتاب هنا فلنبدأ :

١ ـ الألفة الغافلة : من طبيعة الانسان أن يفقد الشعور بالروعة والجلال والإبداع كلما زادت الفته للأشياء ، فبينما تبهره أشياء صغيرة لأنه يراها لاول مرة يفقد انبهاره بأكبر الاشياء لانه اعتاد أن يراها ، فتراه مثلاً يستشعر الروعة لخفة يد ساحر أو يستشعر الروعة أمام رؤية جمال جديد بينما لا يستشعر روعة ما ألف رؤيته ، ومن ثم تجد الانسان لا يستشعر روعة السموات والأرض ولا تجده يستشعر روعة أجزاء هذا الكون من شمس وقمر وسماء وأرض لكونه ألف رؤية هذه الاشياء ، إن الالفة الغافلة تفقد صاحبها الشعور بالروعة والعظمة **والإبداع ، ومن ثم يفقد الانسان كذلك ملكة البناء الفكري الحق على** هذا فبينما يضحك الانسان كثيراً إذا قلت له : إن ساعة يد قد وجدت مصادفة بلا مصنع ولا آلة ولا إنسان ولا مواد أولية تجده يقبل أو يقرر أن يكون هذا الكون كله بمجراته وشموسه وأرضه وأقماره وأحيائه قد وجد مصادفة ، وبينما تجده يفكر في أن يكافيء على أقل إحسان يقدمه اليه الآخرون تجده لا يفكر إطلاقاً في مقابلة النعم الكثـيرة الظاهرة والباطنة التي ألف التمتع بها بحكم مركزه كإنسان في هذا الكون وبينما يخشى من عقوبة الدولة إذا تصرف تصرفاً ما يخرق به قانوناً تجده لا يأبه للتصرفات التي يخرق بها أوامر الله عز وجل إن الالفة الغافلة للكون وما فيه أفقدت الانسان الغافل الشعور بالروعة وأفقدته البناء الصحيح على ما يقتضيه القانون العقلي البديهي .

وما يقال في شأن الكون يقال في شأن الاسلام ، فالمعاني الاسلامية على روعتها التي تدهش العقل إن في جمالها أو تناسقها أو وحدتها وعدم تناقضها أو ارتباط مقدماتها بنتائجها أو بالثمار الحلوة التي تترتب عليها إن الاسلام مع هذا كله قد أصبح مألوفاً ونتيجة لذلك فإن الألفة الغافلة قد أفقدت أبناء المسلمين الكثير من الشعور بروعته ولكون الانسان بطبيعته يحب التجديد وينبهر بالجديد ويحب أن يظهر بمظهر المتميز فانك تجد أن اجتماع الألفة الغافلة مع هذه الطبائع البشرية جعل الكثير من المسلمين يتخلى عن الاسلام ويتبنى الافكار التي هي وليدة المجتمع الكافر أو الفكر الكافر ونحترس هنا فنقول: إن الاحكام التجريبية التي يتوصل اليها الانسان بمجرد التجربة والاحكام التي هي من باب معرفة قوانين الكون هذه قضايا اسلامية سواء عثر عليها كافر أو مسلم لأن الاسلام فتح بابها أو أمر بفتح أبوابها ومغاليقها ، وما كان من باب الاداريات التي تخدم مصلحة الانسان الحقيقية فهذه ليست حكراً على مجتمع ، وانما كلامنا وملاحظاتنا على التبني للفكر الكافر أو المنبثق عن المجتمع الكافر . إن أبناء المسلمين أعمتهم الالفة الغافلة وبهرتهم الزخارف المبهرجة الكاذبة وتوجهت أبصارهم الى التبني للفكر الغريب أو الهجين وإن كان غلطاً .

★ ★ ★

ومن المفروض والبديهي أن يعالج مرض الألفة الغافلة إن في شأن الكون أو الاسلام بما يزيله من تذكير أو مقارنة أو بيان المثالب أو التبصير بالآثار الخطيرة التي تترتب على مثل هذا التبني .

ومن المفروض والبديهي أن يقابل هذا الوافد الغريب أو الهجين بما يكافئه فكراً نثراً أو شعراً وتنظيماً وتكتيكاً واستراتيجية وأن يقابل العمل الجماعي بمثله وأنضج منه ، والعمل التعليمي بمثله وأرقى منه .

غير أن هذا كله لم يكن وإن كان فلم يكن على ما ينبغي ، وإن وجد بعضه على ما ينبغي قطع عليه الطريق بأساليب متعددة ونحن هنا في معرض الإجمال ولسنا في معرض تفصيل ومن ثم فلا نتوسع ولنستمر في عرض بعض الامراض .

٢ ـ الفرار من العمل السياسي : يغلب على المتدينين المسلمين معنى الفرار من العمل السياسي وكأن السياسة رجس يجب الفرار منه ، وهذا شيء في غاية الغرابة إذ يعني هـذا المعنى أن المسلمين يسلمون للكافرين والمنافقين أن تكون لهم القيادة السياسية وهذا وحده نوع ضلال إذ كيف تكون كلمة الله هي العليا إذا لم يكن للمسلمين القيادة بالاسلام ، والملاحظ أن هؤلاء المتدينين يفرون من العمل السياسي ومن السياسة ثم يرضى الكثير منهم أن يكون أداة تنفيذ للقيادات السياسية الكافرة والمنافقة يقول ما أمروه به ولو كان به خراب الاسلام وتكفير المسلمين والحقيقة أن بعد المسلمين عن العمل السياسي سيؤدي بشكل حتمي الى أن يكونوا أداة تنفيذ بيد السلطة الكافرة وقد تزج بهم السلطة الكافرة ليقتلوا أنفسهم أو يقتلوا إخوانهم المسلمين وتفرض عليهم مع ذلك أن يسبحوا بحمدها . إن مجرد التأمل لهذه المعاني كافٍ لتبيان الخطل الكبير الذي يقع به المسلمون عندما يفرون من العمل السياسي والسياسة .

ولكن الأمر أوسع من ذلك :

فالعمل السياسي في عصرنا لم يعد عملا سهـلا بل هو من أشق الأمور وأكثرها احتياجاً للعلم والوعي والقدرة على التحليل والتخطيط واتخاذ المواقف السريعة السليمة وهذا لا يتأتى بدون ممارسة ومتابعة ، فالبعد عن العمـل السياسي يعني بقـاء المسلمين في حالة عجز وعقم سياسيين وبالتالي يكونون محلا لتنفيذ ما يراد بهم من الشر دون أن

تكون لهم القدرة حتى على معرفة ما يراد بهم وأين هذا الوضع والحال من قوله تعالى : « وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » إن هذه الآية تدل على أن أولي الأمر من المسلمين يملكون القدرة على التحليل والتعليل لكل ما يجري من أمر سلم أو حرب وهذا يعني أن المجتمع الاسلامي يجب أن توجد في قمته طبقة هي في غاية النضج السياسي فما ندري من أين يأخذ هؤلاء المتدينون مفاهيمهم ؟.

إن هناك رغبة عاتية في العالم لجعل المسلم يتخلى عن السياسة لغيره وإن هؤلاء المتدينين يعطون للكفر ما يريد اختياراً وطوعاً .

إن الدولة المعاصرة تعتبر أن من حقها أن تتدخل في الصغيرة والكبيرة من شؤون الحياة فعندما تكون الدولة للكافرين والمنافقين فإن هذا يعني أن يسير هؤلاء بالناس الى كل أودية جهنم فيقضون على عقائدنا وعباداتنا ومناهج حياتنا وشرفنا وعرضنا فليتق الله هؤلاء الذين يدعون المسلمين الى التخلي عن العمل السياسي والسياسة .

إن الاسلام يطلب من المسلم أن يعمل لإقامة دولة الاسلام العالمية: « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . فهل هذا ممكن التحقيق دون قدرات على العمل السياسي والفهم السياسي والتحليل السياسي واتخاذ القرار السياسي على كل مستوى من المستويات وبالشكل المكافىء لمنطق العصر ؟ ألا إنه مرض من أمراضنا وعلينا أن نتجاوزه .

٣ً ـ آمال كبيرة وأعمال غير مكافئة وتقدير خاطىء :

قد لا نجد أمة من الأمم كأمتنا في عظيم آمالها وضخامة رغباتها في تطلعاتها كأمة أو في تطلعات أفرادها وذلك أثر من آثار الثقة المطلقة التي ربى عليها الاسلام أبناءه وقد ضعف الاسلام في قلوب شعوب

الامة الاسلامية ، ولكن الآمال الكبيرة والتطلعات الضخمة ما زالت في الأنفس قائمة ، ومن ثم فإن مجموع شعوبنا ومنها الشعب العربي تلمس عنده هذه الظاهرة سعة الآمال وضخامة الرغبات تحس ذلك بوضوح عند كل فرد على حدة فهو يحلم بقضايا نفسه وبقضايا أمته بكل ما هو جليل وعظيم وكبير ، وهذا كله لا اعتراض عليه فإن ضخامة الآمال تعبر عن عظمة في الانفس ولكن الشيء العجيب الغريب أن نجد الآمال هذه لا يرافقها تقدير صحيح لاحتياجات تحقيقها ولا يرافقها عمل مكافىء ومن ثم تبقى كأحلام الاطفال ، إن بناء بيت دي خصائص معينة يحتاج الى حسابات والى تقديرات والى معرفة الامكانيات ثم الى العمل المتواصل المكافىء لحجم البناء في الزمن المراد تحقيقه ولكنا شعب كل منا يريد أن يكون رئيساً دون أن يعرف مقومات ذلك وأن يبذل جهداً مكافئاً لما يريد وكل منا يريد أن يحقق النظام السياسي النموذجي والمريح لقطره ولكن دون أن يعرف طريق ذلك وأن يبذل جهداً مكافئاً له ، وهكذا نجد تطلعات عظيمة وآمالا كبيرة ورغبات ضخمة ولا نجد ما يقابلها إلا عدماً أو أعمالا صغيرة غير مكافئة وأحياناً ينقلب الامر عكسياً فيكون الانتقال من مرض الى مرض وذلك عندما يدرك بعض الناس حقائق الاحتياجات الكثيرة لتحقيق الآمال فيرون ضخامتها فتبهرهم ومن ثم ييأسون وييأسون وأحياناً يظهر المرض بشكل آخر .

شعور بالآمال العراض ورغبة في الأعمال المكافئة وعجز عن هذه الاعمال الكبيرة المكافئة ومن ثم عزوف حتى عما يمكن فعله من أعمال صغيرة جزئية توصل الى الهدف شيئاً فشيئاً ومن ثم فلا وصول لا على المدى القريب ولا على المدى البعيد .

وكان المفروض أن يقابل هذا من القيادات السياسية والتربوية للأمة بما يزيله من خلال التوعية والتبصير والتكليف المنتج البناء .

الجماعية وعلى الكون جزء من جماعة أو أمة هي نوع من النمو في ولكن هـذه القيادات إما أنهـا مصابة بالمرض نفسه أو هي راغبة في التضليل لتصل الى مركز الزعامة أو لتحافظ عليـه من خـلال دغدغة مشاعر وآمال الشعوب مع معرفتهـا بصعوبة التحقيق وعـدم تسيير الشعوب بالطريق الصحيح أو غير ذلك من الأسباب وهكذا تبقى الآمال في محلها والامور في محلها والشعوب في محلها أو تتراجع •

٤ً ـ العقلية الفردية والنفسية الفردية : إن القدرة على الحياة الذات والعقل لأن الحياة الجماعية لا يمكن وجودها واستمرارها إلا بنوع من النضج خاص وإلا بقيود وضوابط صالحـة ، بينما العقلية الفردية والنفسية الفردية تعبران عن ضمور في الذات وتربيتها وقصور في العقل والعلم ومن ثم عدم التلاؤم مع الضوابط والقيود الصالحة •

إن الطفل في مرحلة ابتدائية جداً غير قادر على اللعب المشترك مع الاطفال الآخرين فإذا نما قليلا نمت معه القدرة على اللعب الجماعي ، فالقدرة على اللعب الجماعي نوع من النضج والنمو في العقل والذات والنفس ولكن كثيرين يكبرون وهم في الحياة الاجتماعية أطفال صغار ومن ثم فهم يفقدون ملكة الحياة الجماعية والتلاؤم معهـا ويجهلون احتياجات ذلك • إن الاسلام ربى المسلم على الحياة الجماعية ووضع له كل الضوابط والقيود لتبقى الحيـاة الاجتماعية نظيفة والحيـاة الجماعية ممكنة ومنضبطة قال عليه السلام : « يد الله على الجماعة ومن شذّ شذّ في النار » • « أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » ولكن كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجماعة بين حالات استحالة الحياة الجماعية : « إذا رأيت شحاً مطاعـاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك » وعندما ندرس الحديث الأخير نجد أن تعذر الحياة الجماعية إنما يكون عند نمو العقلية الفردية

والنفسية الفردية ومظاهر ذلك البخل واتباع الاهواء وإيثار المصالح والإعجاب بالرأي وهذه الاشياء الاربعة تنبثق عنها كل جوانب الخلل في الحياة الاجتماعية والحياة الجماعية . فالإعجاب بالرأي تنبثق عنه النزعات الدكتاتورية اذا وجدت لها متنفساً ووجد أصحابها القوة التي تنفذ ما يريدون وعند ذلك تكون الكوارث لا نهاية لها والاخطاء لا حدود لها والإعجاب بالرأي يستحيل مع الشورى إذ الشورى تعني الخضوع للرأي الأمثل ولو على حساب الرأي الشخصي .

وإيثار المصالح الفردية ينبثق عنه كل ما يهدم الحياة الاجتماعية والحياة الجماعية من خيانة وغدر ونكث للعهود وتخلٍّ عن المبادىء وتضحية بالأمة والجماعة والوطن وتخل عن الواجبات ، وكيف تبقى حياة جماعية أو توجد مع وجود مثل هذا .

واتباع الأهواء ينبثق عنه فقدان الضوابط والقيود ومتى فقدت الضوابط والحدود لم يبق قرار على شيء ولا استقرار على شيء وما عاد أحد يضبط أحداً أو يستطيع الوصول معه الى قرار سليم .

وطاعة الانسان شح نفسه يفقد الحياة الاجتماعية التعاطف والرحمة وعواطف الأخوة العليا ويضعف وشائج الصلات الاجتماعية وبوجود ذلك تصبح الحياة الاجتماعية متعذرة .

وإذا تأملت واقع الحياة تجد من حولك وحتى الذين عندهم نوع من التطبيق الاسلامي وبقية من الايمان بالاسلام نامية عندهم أمثال هذه المعاني التي تعني بشكل واضح أن العقلية الفردية والنفسية الفردية ناميتان نمواً مريضاً على حساب الحياة الجماعية.ومن ثم لا تجد في هذه الأمة الآن عملا جماعياً قابلا للنمو والاستمرار إلا قليلا ، فالانقسامات في الحركات السياسية لا تنتهي وحتى في الجناح الواحد لا تجد إلا ديكتاتورية وعبودية ، والانقسامات في أي وضع جماعي لاتتناهى

نتيجة للخلل في التربية الجماعية ، ونتيجة لذلك كله تجد طاقات الأمة مبعثرة بل متصادمة مع بعضها والسلبية عند الاكثر هي الاساس وكيف تتطور أمة نحو الاحسن وهذا وضعها والحل الوحيد لهـذا كله هو تعميق معنى الشورى الاسلامية الى أقصى الحدود وإعطاء الطاعة لأهلها ممن قدمتهـم الشورى • وبدون شورى وطاعـة ضمن ضوابطهما الاسلامية وأخلاقهما التي تحيط بهما فلا عـلاج كاملاً أصلا للعقلية الفردية والنفسية الفردية • صحيح ان أمماً في هذا العالم يقوم فيها عمل جماعي ولكنه إما مفروض بالقوة وإما في جانب على حساب جانب وإما أنه عمـل جماعي محدود ببواعث الهوى والشهـوة وذلك شيء لا يعتبر نموذجاً لما نريده للحياة الجماعية •

إن الشورى الاسلامية خلق يقوم بين مجموعة أخلاق هي خصائص الجماعةالمسلمة فلا بد من استكمالها كلها وإعطائها مع الشورى أمداءها ، وقد مرت معنا أثناء الكلام عن البديهيات •

وكل نبي بعث بالتقوى والطاعة « فاتقوا الله وأطيعون » ولكنها الطاعة للقيادة الراشدة « ولا تطيعوا أمر المسرفين » والقيادة الراشدة إما قيادة رسولية نبوية أعطيت حق الطاعة من الله عز وجل وإما قيادة راشدة منبثقة عن شورى المسلمين الحقيقيين ومتوافرة فيها خصائص القيادة • « فبما رحمـة من الله لنت لهم ولو كنت فظـاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » •

٥ً ـ الاستجابة للهجوم والخوف منه : إن الأمة الناضجة هي التي تتخذ قرارها المناسب دون خوف أو وجل والامة الناضجة هي الامة التي لا تسير إلا ضمن قناعاتها المطلقة والصحيحة والفرد السليم في أمة هو الذي يعرف القرار المناسب ويتبناه ولا يلتفت بعد ذلك الى

شيء ، وقد ربى الله عز وجل المسلمين على ذلك فقال : « يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » والعجيب فيما نحن فيه أنك تجد الاسلام محل هجوم والمسلمين محل هجوم أيضاً داخلياً وخارجياً وليس هذا بمستغرب بل هي طبيعة العصر ، وإنما المستغرب أن تجد جرأة كل عدو لله أن يهاجم الاسلام والمسلمين وأن تجد الاستجابة لهذا الهجوم والفرار من كل موقع يحتله هؤلاء المهاجمون ومن نماذج ذلك :

١ ــ الهجوم على الاسلام على أنه غير تقدمي وأن المسلمين غير تقدميين مالم ينخرطوا في الاتجاهات الخاطئة الكافرة وتجد الاستجابة لهذا الهجوم إذ تجد كثيرين من المسلمين حتى المصلين يفرون من هذه التهمة فراراً عجيباً ومن ثم يحاولون أن يبرهنوا على أنهم تقدميون بالانسلاخ من جلودهم ومثل هذه الاستجابة لا نهاية لها إذ كل موقع ينقل الى موقع أقل حتى لا يبقى إسلام ولا أخلاق ولا مروءة .

٢ ــ الهجوم على العمل السياسي الاسلامي واتهام أصحابه ليفر المسلم من كل عمل سياسي وهذا يعني تلقائياً أن يعطى غير المسلمين الحقيقيين حق الحكم كما رأينا من قبل ، وهذا يعني تلقائياً تغيب الاسلام نهائياً عن الحياة وأحياناً تأخذ القضية طابعاً مضحكاً إذ تجد أن تحركاً سياسياً ما إذا فعله المسلمون يسمى خيانة ورجعية وإذا فعله الآخرون يسمى وطنية وتقدمية والمساكين المسلمون كثيراً ما تسري عليهم الخدعة .

٣ ــ الهجوم على استعمال القوة عند المسلمين واتهامهم بآلاف التهم في الوقت الذي يستعمل العالم كله السلاح ضدهم وفي الوقت الذي تقوم كل التكلات السياسة على أرضهم على أساس مسلح ، والمسلمون وحدهم هم المستهدفون والمضطهدون وهم المتهمون بأنهم ارهابيون ، وتبقى الخطوط المتوازية نامية المسلمون إرهابيون

والمسلمون مستذلون ، والمسلمون حتى لا يقال عنهم إرهابيون يبقون بمعزل عن أي قوة ومن ثم فهم يتعرضون للفناء أو لفناء الاسلام فإما أن يقاتلوا تحت رايات أخرى أو يذبحوا • ولو أنهم قاتلوا تحت رايات أخرى كجزء من تخطيط عام لكان الامر يحتاج الى بحث ولكنهم يتركون إسلامهم لرايات أخرى استجابة للهجوم ومن ثم تجد نقطة الضعف هذه عند المسلمين تؤدي بهم الى كوارث وتراجعات لا نهاية لها إلا اذا حزم المسلمون أمرهم وعرفوا كيف يتصرفون •

٦ً ـ مطالبة بالحقوق ونسيان للواجبات : إننا نعاني ضياعاً رهيباً في الشعور بالمسؤولية سواء كانت مسؤوليتنا تجاه ربنا عز وجل أو مسؤوليتنا تجاه خلقه وفي الوقت نفسه تجد مطالبة حادة بالحقوق التي هي حقوق بالفعل أو هي حقوق متوهمة ، وهو مرض استشرى في جانبين وعندما يستشري هذان المرضان فالصلة بين الأمة وبين كل كمال تكاد تنعدم ومن مظاهر هذين المرضين :

أنك تجد الجهد العملي للموظف يكاد يكون معدوماً بل تجده يحاول أن يضيع أكبر قدر ممكن من وقت العمل بما ليس من جنس العمل وأنك تجد الكلمة غير المسؤولة هي الغالبة على كل موظف دون تفكير بما يترتب عليها من آلام للآخرين فقد نجد إنساناً يأتي من مسافة طويلة ليتابع قضية والقضية عند موظف يستغرق تسييرها بضع دقائق ومع ذلك لا يكلف نفسه أي جهد ويماطل صاحب القضية بقضيته الى آماد خسارتها في الوقت والمال كبيرة دون أي إحساس بآلام الآخرين •

وإنك تجد الإهمال في كل شيء مهما ترتب على ذلك من آلام للآخرين • إهمال المريض وهو يتألم ، وإهمال المرض وهو يستشري وإهمال قضايا الأمة حتى تستفحل • ونتيجة لهذا كله تجد استشراء الرشوة وما يترتب على ذلك من آثار من سآمة الأمين وازدياد الخيانة •

ومن مظاهر المرض أن أخطر القضايا لا يتكلف لها أحد ما تقتضيه من بحث وأخطر المواضع لا يتصدى لها أحد حق التصدي ، ومع هذا كله تجد الثناء الرخيص والرغبة فيه وقد بيع الضمير والوجدان على أشده وتجد استعداد الانسان لأن يبيع قناعاته كلها في مقابل متاع قليل على أخسه وأدناه .

وكما أن هذا يكون على مستويات محلية فإنه يجري على مستويات عالمية وفي مقابل هذا كله تجد صراخ الجميع محلياً وعالمياً في المطالبة بالحقوق العقلية أو المتوهمة وانفعالاً في المطالبة بها ولا شك أن أمة ما لا تموت مادامت تطالب بحقوقها ولكن عندما يصبح ما هو حق مطالباً به ولا يبذل أي ثمن للوصول اليه ولا يؤدي الواجب الذي تقتضيه عملية الوصول الى الحق فإن الحق يستحيل الوصول اليه وأمة مع هذا كله يصعب أن تحترم .

٧ً ـ فقدان روح المتابعة والدأب : في كل شيء تجد خطوة الى الأمام ثم سكوناً أو مراوحة أو خطوة الى الامام بعدها خطوة أو خطوتان الى الوراء ، وكثيراً ما يحدث نتيجة لذلك أن تحقق نصراً صغيراً يتلوه خذلان كبير ، فقد تجدنا عملنا لنربح كلمة نسجلها في قرارات مؤتمر وذلك طيب ولكن هذا النجاح يثير أعداءنا فيعملون ليلاً نهاراً لإنهاء هذا الفوز ويعملون لنخسر شيئاً كبيراً ونحن في الغالب نبقى ساكنين فرحين بعد تسجيل النجاح فلا نتابع ولا نخطط لتفويت كيد العدو ولا لضرب مخططاته .

وتجدنا سجلنا فوزاً سياسياً في قضية ما ثم نقف ونسكن ويأتي غيرنا ليربح هذا الفوز ويدعيه ويبني عليه ويجعله علينا بدلاً من أن يكون لنا .

وتجدنا نربح انساناً لقضيتنا وبدلا من أن نفجر طاقاته في هـذا السبيل نهمله ليأتي غيرنا فيفجر طاقاته في طريق خاطىء ، وهذه نماذج على هذا المرض وما يمكن أن يقال فيه كثـير وهو مرض عام أصيبت به الأمة سواء في ذلك مسلمها أو مرتدها ، والامة إذا مرضت لا يسلم من مرضها إلا القليل • والاسباب الحقيقية لهذا المرض هي :

١ ــ فقدان روح المتابعة •

٢ ــ الخلل في الرؤية البعيدة التي على ضوئها يكون السير المنتظم •

٣ ــ وذلك كله مرجعه الى ضعف القيادات وعدم جدارتها •

٨ً ــ الغوغائية في القرار السياسي : في عالم السياسة كما في عالم الحرب للمناورة دور كبير في ربح جولة ما • ولئن كان هذا في عصر مضى شيئاً ضرورياً فإنـه في عصرنا أشد ضرورة ، ولا يستطيع أحد أن يناور سياسياً إلا إذا كان يملك الثقة المطلقة من أمته وشعبه ، ولما كانت الأنظمة في المنطقة غـير منبثقة انبثاقاً صحيحاً عن شعوبها ولا أفرادها محل ثقة من أمتهم فانهم لا يستطيعون المناورة على العدو بل قدرتهم كلها منصبة على المناورة على شعوبهم ومن ثم فإنك تجـد سلسلة من الاغلاط كلها قاتل وكلها مميت ، فالقدرة على المناورة على العدو معدومة والعدو دائماً يملك مجالات واسعة في المناورة والعمل وهذا كله على مستوى عام قائم وهو عند الاسلاميين في داخل أقطارهم مع غيرهم قائم ، فالثقـة دائماً أضعف من القـدرة على حرية المناورة لضعف التربية وانعدام النظام الذي تنبثق عنه القيادات التي هي محل الثقة وحيثما انعدمت الثقة انعدمت حريـة المناورة السياسية وحيثما انعدمت حرية المناورة السياسية وجدت الغوغائية في القرار السياسي ، ومتى وجدت الغوغائية في القـرار السياسي فالانتكاسات السياسية

والعسكريــة والاجتماعية والاقتصادية تتلاحق تلاحقــاً كبيراً ومن ثم فالحركات والحكومات لا تسير إلا في طريق الانتكاسات المتلاحقة .

٩ ــ تخريب اللاحق عمل السابق : عندما يكون العالم يبدأ عند الانسان من « الأنا » وعندما تكون بداية التاريخ هي الأنا الجماعي أو الأنا الفردي تكون المسألة في غاية الحماقة هذه الحماقة الكبرى تجدها تتكرر كل مرة على أرضنا وفي شعوبنا فكل نظام يأتي يعتبر نفسه بداية تاريــخ هذه الأمة وكل حاكم يحكــم يعتبر نفسه محور الوجود وقطب دائرة الاحداث وبخط قلم يلغي كل شيء وبكلام ضالع في الأنانية المفرطة يسفه الماضي كله ويقلل من قيمة أمجاده ثم ينتهي هذا النظام ليبدأ الدور من جديد وتتكرر الحماقة ، وهكذا لا تجد بناء يتم ولا دولة تقام فالتخريب لكل ما سبق سمة تتكرر عند وجود كل نظام جديد ، يظهر هذا في بعض الاقطار بشكل أبرز وأقوى حتى إنك لتجد بعض الانظمة تنفق الملايين لإنشاء ملاكات جيش قوي ثم تجد هذه الملاكات تسرّح جيلاً بعد جيل كلما وجد نظام جديد . ومرجع ذلك كله الى مجموعة من الامراض العقيمة المستشرية :

أ ــ البحث عن الجديد وازدراء القديم : فقد تعاونت مجموعة من الأمور التي خطط لها بدقة وإحكام أو التي هي من عدوى العصر لتوجد أجيالاً في الامة الاسلامية لا تعرف شيئاً عن تراثها وتشعر بعقدة النقص منــه ومن ثم فهي تبقى دائماً متطلعــة الى شيء تعتبره مفقوداً ويستغل كل طامح وكل طامع وكل مغامر هذه الروح والحصيلة هي التخريب الذي يعقبه اليأس .

ب ــ المزايدات في السلب والايجاب في الظاهر والباطن وهي قضية مبكية مضحكة في آن واحد ومن ثم فلنسجلها بشيء من الإيضاح .

أصبح معروفاً لدى كل الذين يعملون في الحقل السياسي أن أنظمة العالم الثالث تُصنع غالباً في الخارج تصنعها الدول الكبرى وأصبح الطامعون والطامحون يعرفون أن مفتاح الوصول الى الحكم هو العمالة أو التفاهم مع جهة خارجية وبالتالي فإن الذين يرغبون أن يسقطوا نظاماً من الانظمة داخل أقطارهم ، عليهم إذا أرادوا أن يتفاهموا مع دولة خارجية على هذا الإسقاط أن يقدموا تنازلات لهذه الدولة من داخل أقطارهم في مقابل مساعدتهم وهكذا يأتي كل نظام أسوأ من الذي قبله وأقوى ضلوعاً في العمالة والخيانة . وبالاتفاق مع هذه الدولة فإن كل نظام جديد يأتي ويطرح شعارات غاية في المزايدات والعنجهيات للتصدير المحلي وللضحك على الشعوب . والآثار التخريبية لهذا كله شيء رهيب في حياة الأمة ، ولا يعني هذا أنه لا توجد استثناءات من هذه القاعدة ولكنها استثناءات لا ينبغي أن تتفاءل كثيراً عن حجمها ، وبمناسبة الكلام عن المزايدات في السلب والإيجاب نستطرد فنذكر أن الصناعات الكثيرة بين الأنظمة في الدول العربية والاسلامية تجعل هذه الانظمة مضطرة لتقديم أكبر التنازلات الخفية في الخارج والتظاهر بأكثر صور العنجهية في الداخل ، وآثار ذلك في التخريب لا تخفى .

جـ ـ والسبب الرئيسي في الحقيقة لهذا كله هو الضياع عن النظام المناسب فالنظام المناسب لكل قطر إسلامي يكاد يكون مفقوداً وهذا يجعل كل إنسان تقريباً يستشعر الضياع الكبير بهذا الضياع يبقى القاعدة الكبرى للبحث عن شيء يدعي كل طامح أنه وحده الذي يملك تقديمه ، ولكن قليلا ما يقدم أحد شيئاً لأن مقدار المعارف التي يحتاجها الذي يستطيع أن يقدم النظام المناسب لكل قطر كبير وأكثر هؤلاء لا يملكون من ذلك إلا القليل ومن ثم فإن المستشارين الخونة أو المستشارين الاجانب الأخبث هم الذين سيقدمون وما سيقدمونه

هو الشيء غير المناسب لهذه الامـة ، بل الشيء الذي لا يخـدم إلا أعداءها على المدى القريب أو البعيـد ومن ثم لا يكون دور النظـام الجديد إلا تخريباً ولا يستثنى من ذلك إلا القليل القليل وللأسف فإن هذا القليل القادر على العطاء الصحيح وإيجاد النظام شبه المناسب في الغالب ما يقطع الطريق عليه أو يضغط عليه حتى ينحرف أو أنه عاجز عن التحقيق الكامـل للمراد أو أن الامر ملتبس عليـه فيخلط الغلط بالصحيح .

د ـ وهكذا نجد أنفسنا دائماً محكومين من قبل تصورات خاطئة أو قاصرة وهـذه لا يترتب عليها إلا التخريب وكلما أوغلنا في هـذا النوع من السير زاد التخريب كثرة وزاد الحمل ثقلاً وما أشدّ بلاهة الذين يفرون من الحقيقة وما أعجز القادرين على أن يقطعوا الطريق عـلى هـذا التخريب ثم لا يفعلون مهما كلفهـم الثمن ومهما كـان الحمل ثقيلاً .

١٠ ـ الضعف في أدب الحياة والتعامل : بقدر ما تتواضع أمة ما على أدب موحد مريح فتعرفه وتنفذه يكون ألم الفرد في المجتمع أقل وتصرفاته منضبطة ومريحة له ولغـيره ، وكثير من الشعوب الكافرة اصطلحت عـلى آداب وتواضعت عليهـا فأراحت نفسها في كثـير من الجوانب .

وفي الاسلام سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض علينا القرآن من الآداب مالا يوازيه بها غيره في بابها من الكمالات واعتمد العرف الصالح بما يستمر به الأدب المريح الذي تعتمده الشعوب مفتوحاً ولكن وبعد مقدمات كثيرة نجد هذه الأمة أو الكثير منها وكأنها أجهل في باب الآداب من الآخرين . فلا الاخلاق الاسلامية تحسها ولا باب

المروءات تجده مفتوحاً ولا العرف الصحيح تجده موجوداً ومن ثم يكثر الألم حيث يوجد تعامل بين الناس ومن أتيحت له فرصة تأمل النماذج المختلفة في هذه الامة عن قرب يجد عجباً في الضياع عن أدب الحياة وأي تسجيل لنماذج مما يراه الانسان يبقى قاصراً عن الإحاطة لأن النفس البشرية عندما تكون غير مهذبة ولا منضبطة تعبر عن نفسها بما لايتناهى من الطرق الخاطئة والاندفاعات المضطربة ومن ثم فسنكتفي هنا بتسجيل نماذج تتبين من خلالها ضياع أدب الحياة فعلا حتى إنك كثيراً مالا تجد الشيء في محله سواء كان حكمة أو تصرفاً وهو يبين التفريط الكبير الذي يقع فيه الكثير من الذين يملكون أزمة التوجيه أو الذين يستطيعون التربية والوصول الى الناس ثم لا يفعلون ولنبدأ بذكر بعض الامثلة :

١ ــ من المعلوم أن الانسان الذي يتكلم بغير علم وبجهل إنسان خاطىء كثيراً لأنه يدلك على أبشع صور الجهل ، الجهل المركب فهو جاهل ولا يدري أنه جاهل ويريد أن يجعل الجهل علماً وأن يقدمه للناس على أنه كذلك . وللأسف فانك نادراً ما تجد إنساناً إلا وهو يستطيع أن يتكلم في كل الامور وأن يدلي بدلوه في كل شيء ويريد من خلال ذلك أن يثبت أنه العليم بكل شيء ومع أنه يتكلم بغير علم فهو كثيراً ما يتكلم بحدة ويناقش بقضية وكأنه مظلوم وكأنه مضطهد وكأن الآخرين لا يسمعون ولا يعقلون وهذا مرض شائع : التعالم والجدال لإثبات الذات والذي يرافقه عادة المرض الثاني وهو الجدال الحاد فمن المعلوم أنه بقدر تمكن الانسان من نفسه ومن علمه ومن إحاطته في القضية التي يعرضها يكون بعيداً عن الانفعال إلا إذا وقف الآخرون موقفاً ظالماً منه ، وللأسف فانك لا تجد إنساناً ــ إلا قليلا ــ يقدر على أن يتجنب الحدة في نقاشه مما يدلل على أن البديهيات الأولى في أدب الكلام مفقودة في مجتمعنا ، ويبلغ الامر ذروة الحماقة عندما

يكون هذا النمط من النقاش في قضايا الأمة أو في شأن اتخاذ قرار عام إذ أن مثل هذه الامور تحتاج الى نقاش هادىء للوصول الى القرار السليم فإذا نوقشت هذه الامور بحدة كان القرار معدوماً أو خاطئاً أو خطيراً .

٢ ــ ومن الضياع عن الادب احتقار النظام والفرار من الانضباط وذلك شيء عجيب فالحياة البشرية هي أرقى أنواع الحياة في عالم الأحياء المحسوسة. وفي عالم الاحياء الحيوانية تجد نوعاً من النظام وانضباطاً عجيباً به ، والانسان الذي هو أقوى المخلوقات تعقيداً ينبغي أن يكون أدّق الاحياء نظاماً وأشدهم انضباطاً لأنه إذا لم يكن كذلك فإن مقدار التعارض والتصادم يكون أكثر بكثير منه في أي وضع آخر . ومن المؤسف أنك تجد احترام النظام والرغبة في الانضباط يكادان يكونان في دوائر معدومة وحتى الذين تجدهم ينضبطون في وضع يهربون من الانضباط في وضع آخر ولا شك أننا أمة تملك أدق الموازين وأكثر الأنظمة واقعية ومثالية بحكم أننا مسلمون إلا أن فقدان العلم وفقدان التربية والتوجيه يجعلان الامور تسير في طريق آخر .

٣ ــ من الضياع عن الادب مانسميه بالتطاول على الكبار واحتقار الصغار وذلك باب واسع من الخلل لأن العلة متداخلة فالكبير نسبياً أو قدراً يعتبر أن من واجب الصغير التسليم لرأيه فقط ، ومتى بدأ الصغير ينظر الى تصرفات الكبار يبدأ التطاول عليهم من أجل إثبات الذات . والتربية المثالية التي تجعل الكبير يستشير الصغير ويسمع لرأيه ويعطيه حقه ويتعامل معه بعطف ورحمة والتي تجعل الصغير يعرف للكبير حقه وسبقه وقدمه وتجربته لا تمنعه أن يقول له أخطأت مع كامل الادب . إن فقدان هذه التربية المثالية عامل يجعل هذا الضياع مستمراً ولا شك أن روح التمرد العالمية المنبثقة من تذمر شباب العالم عامل آخر من عوامل استمرار هذا الضياع وهذا موضوع فروعه كثيرة

كبيرة ، في الدولة حكومتها ومعارضتها وفي الحزب السياسي والأسرة والجيش وتكفي الإشارة اليه وتكفي هذه النماذج الثلاثة للاشارة الى أصل هذا النوع من الامراض ، ونحب أن نختم الكلام عن هذه الفقرة بالاشارة الى أن ذكرنا لهذه الامراض لا يعني أنها موجودة عند الناس جميعاً وإذا وجدت فلا يعني أنها موجودة كلها عند إنسان بعينه أو على حدتها عند شعوبنا كلها في وقت واحد .

١١ً ــ أمراض منصوص عليها بخصوصها : ونحب أن نختم هذا البحث بالاشارة الى أمراض نبه القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم عليها بأعيانها وأنها ستقع فيها هذه الأمة ونذكر في هذه الفقرة أبرزها التي تنطبق انطباقاً تاماً على عصرنا .

١ ــ حب الدنيا وكراهية الموت : في الحديث الذي رواه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ فقال : بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

٢ ــ ترك الصلاة واتباع الشهوات : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً . جنات عدنٍ التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً » .

٣ ــ «قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » في هذا النص إشارة الى روح التقليد الغريب الذي يسود الناس في مرحلة ما، حتى إنهم ليقلدون ولا يعرفون حكمة الفعل الذي يفعلونه وأهدافه فيه

كذلك إشارة الى حب كل ما هو غريب وحب الظهور بأن هذا الغريب مفهوم لدينا تماماً • ومن العجب أن هذا المرض يظهر أكثر فأكثر عند من يزعمون أنهم يريدون إحياء أمجاد شعوبهم أي أصحاب الدعوات القومية بشكل عام وأصحاب الدعوة الى القومية العربية خاصة •

هذه من أهم الامراض نقتصر على ذكرها هنا لأنه مهما استقصينا في ذكر الامور فلا يغني ذلك عن دراسة مستفيضة للكتاب والسنة • وبمناسبة الاشارة الى هذه الامراض المنصوص عليها لا بد من الاشارة الى أن المربي الاسلامي الحقيقي في عصرنا هو الذي يستطيع أن يوجد الانسان المتحرر من الامراض المتراكمة لهذه الأمة ولكن الغريب العجيب أنك تجد كثيرين من المتصدرين لتربية هذه الأمة كأنهم عمي عن رؤية هذه الامراض إلا من وفقه الله وقليل ما هم وسر ذلك أن معالجة هذه الامراض كلها لا تتم إلا بفهم شامل للاسلام وتربية شاملة عليه وذلك لا يكون إلا في جو الجماعة التي تجمع المسلمين كلهم في إطار واحد لأن بعض هذه الامراض سببها القصور في الروح الجماعية وذلك لا يعالج إلا في جو التربية على الاخلاق الجماعية الصحيحة وذلك لا يتم إلا في جو جماعة ، وأكثر المرضى يفرون من الصحة والكثير من هذه الأمة يريدون أن يتحرروا من قيود الجماعة والعمل الجماعي وتبعات الجماعة ، صحيح أن هناك اعتراضات على قصور جماعات قائمة ولكن ذلك لا يكون بانهاء فكرة الجماعة التي هي فريضة إسلامية ولكن يكون بالفهم الصحيح والتربية الصحيحة اللذين تنبثق عنهما جماعة صحيحة مستقيمة تستقيم بها الأمور فتختفي الجماعات المريضة أو تستقيم على منهاج الحق •

وقبل أن ننهي هذا البحث فلنتحدث عن أمراض الانسان بشكل عام فأمتنا مريضة ولكن مرضها هو جزء من أمراض الانسان والمسلم

مهما مرض فإن مرضه يبقى أقل من مرض غير المسلم مهما ظهر غير المسلم بصورة صحية كاذبة وبإجمال نقول :

إن تعـــدد الآلهـــة بالنسبة للانسان تمزيق لوحـــدته الشعورية واتجاهات روحـــه قال تعالى : « ضرب الله مثلاً رجـــلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلماً لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » وإن انبتات النفس البشرية عن الصلة بالله تكريس لمشاعر الكبرياء والعجب والعنجهية والتمـــرد واللامسؤولية التي تنبـــع منها مجموعات من السلوك والافكار كلها خاطىء ومريض • وإن فرار الانسان عن شريعة الله الحق خروج عن المسار الصحيح للحياة البشرية، فإذا كان هذا الفرار على مستوى السلطة والشعب كان المسار الى الدمار السريع العاجل أو البطيء الأجل وكثيرون من الناس يستطيعون تصور ما نقول ولكن ليتذكر هؤلاء الحرب العالمية الاولى والثانية وليتذكروا ما حولنا ليروا قوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكـــم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويـــذيق بعضكم بأس بعض » •

وأخيراً نقول : إن الامراض الكبرى للانسان لا يمكن أن يشفى منها الانسان إلا بقبوله دين اللـــه الحق الذي هو الاسلام الخالص وتفصيل ذلك ليس محله في هذه الرسالة فإذا اتضح هذا أدركنا خطورة القضية التي نبحثها وأدركنا كيف أن شفاء المسلم من أمراضه هو بداية الطريق لشفاء الانسان عامة أو ضبط لتصرفات البشر على مسار عادل على الأقل •

الآن وقد استعرضنا بعض مظاهر المرض في الأمة الاسلامية حاملة لواء الانبياء فلنتذكر ما بدأنا به الكلام أول هذا الكتاب من أن أعداء الانبياء من خلال المجابهة ومن خلال إثارة غبار الشبهات ومن خلال

خداع الشعارات وبسبب من نقاط الضعف عند المسلمين فإن دعوة الانبياء يحال بينهـا وبين الوصول والانتصار ويحـال بينهـا وبين الانسان أصلا .

ولكن هل يقف الامر عند هذا الحد ؟ . إن الامر أخطر وأصعب ، إذ أن سيطرة أعداء الانبياء على العالم ورصدهم للصغيرة والكبيرة من أمره وتخطيطهم للصغيرة والكبيرة في هذا العالم من وجهة نظرهم ، وشعور أعداء الانبياء بخطورة دعوة الانبياء على مواقعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعقـد الكفر في قلوبهم أولاً وأخيراً مما يجعلهم جميعاً لا يطيقون أن يسمعوا اسم الله بل يجعلهم صفاً واحداً رغم ما بينهم من عداء ضد أتبـاع الانبياء وهذا كله يجعل للمرحلة الحاضرة التي تمر بالمسلمين خصائص لا بد أن ننتبه اليها فلنر بعض خصائص هذه المرحلة :

١ً ـ أول خصائص هذه المرحلة أنها مرحلة جراح حتمية وعلى المسلمين نتيجة لذلك أن ينتبهوا جيداً وهم يتحركون لتكون الجراح أخف ما تكون ولنتحدث باختصار عن هذه الحقيقة :

لم يمر عـلى الأمـة الاسلامية وضع أصعب من الوضع الحالي المعاصر ، صحيح أنه مرت فترات صعبة كمرحلة الردة بعد وفاة رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ومرحـلة الغزو الصليبي ثم مرحلة الغزو التتاري والمغولي كل ذلك كان وضعاً صعباً ولكن الوضع الذي أعقب سقوط الخلافة العثمانية وما سبقه أو لحقه من غزو أوربي استعماري كان أقسى من أي وضع سابق مر على الأمة الاسلامية فالردة الاولى قامت ووجد في مقابلها صف للمسلمين واحـد وعلى رأسـه أمير واحد ويجمع الجميع فهم واحـد ووعي واحد وتربية واحـدة . وفي زمن

الحروب الصليبية استطاع الصليبيون أن يحتلوا جزءاً من الارض ولكن الأمة الواحدة ثم الخلافة الواحدة والجهاد الواحد المخلص استطاعوا أن ينهوا هذا الوضع ولم تكن الحرب الصليبية لتأخذ إلا جزءاً ، وجاء الغزو التتاري والمغولي ولكنه صُدَّ أخيراً وصهرته الامة الاسلامية حتى أصبح التتار والمغول أنفسهم مسلمين ولكن الوضع الجديد وضع تخلخل فيه كل شيء وتحطم الكيان السياسي للمسلمين فلم يعد لهم رأس في العالم كما أنهم في أقطارهم قد سلبوا كل مظهر من مظاهر علوّ كلمة الاسلام بل أصبحت كلمة الاسلام ذليلة في كل مكان والمسلمون مستذلين ومستهدفين والعالم كله بما يملك من طاقات كبيرة يحاول أن يقطع الطريق على أي مظهر من مظاهر انتصار الاسلام السياسي ومن ثم فإن العالم لا يهتز له ضمير بل ينسى كل ما اصطلح عليه من مفاهيم ومُثُل إذا كانت هذه المفاهيم والمثل ترفع ضيماً عن مسلم وهو موضوع عالجناه من قبل ومن ثم فلا نحتاج الى العودة اليه .

★ ★ ★

في هذه المرحلة الصعبة يجب أن نعرف واقعنا ونضع الخطوط العامة التي ينبغي أن تكون راسخة في أذهاننا نحن المسلمين ونحن نتحرك في عالم كله غدر ومكر وقسوة ونفاق :

١ ــ إن الملاحظة الكبيرة التي نحب أن نسجلها لهذه المرحلة هي أنها مرحلة الجراح الحتمية ومن ثم فينبغي أن يكون حذرنا منصباً على ألا تكون قاتلة فالمسلمون اليوم إن تحركوا الى الخلف أصابتهم الحراب وإذا تحركوا الى الامام أصابتهم الحراب وإذا تحركوا حركة جانبية نحو اليمين أو الشمال أصابتهم الحراب وإذا راوحوا في مكانهم أصابتهم الحراب من كل جانب . وأمام هذا الوضع فلا بد أن يكون

واضحاً كيف ينبغي أن تتحرك حركة تتجه دائماً نحو الأمام متجنبين المقاتل فلنضرب أمثلة توضح المقام والمراد :

أ ــ لقد كانت المآخذ من وجهة النظر الاسلامية الخالصة كثيرة على نظام أيوب خان وعلى شخصه ومع ذلك فأيوب خان استطاع أن يحتفظ بوحدة باكستان كما استطاع أن يهزم الهند سنة (١٩٦٦) ، وهي الراغبة في إنهاء باكستان يومها وإذلالها ، ثم تحرك المسلمون ضد أيوب كما تحرك غيرهم ومجموع الدوافع التي حركتهم ضده كانت كثيرة فأسقطوا نظام أيوب وجاء يحيى خان وكانت النتيجة انقسام باكستان وانتصار الهند في المعركة العسكرية ولسنا بسبيل تحليل الأمور والاسباب والنتائج وإنما نحن في سبيل توضيح أن المسلمين لم يكونوا يستطيعون ألا يتحركوا لأن بقاءهم بدون حركة قاتل ، ثم تحركوا وكانت حركتهم هذه الجراح العميقة في قلب الامة الاسلامية وذلك نموذج من نماذج الوضع المعاصر الصعب للمسلمين إذ ترافق حركتهم أو وقوفهم الجراح .

ب ــ نحن الآن نعيش أحداث لبنان ولنر الوضع على حقيقته : لقد كانت غالبية نصارى لبنان تعد العدة لإنهاء المقاومة الفلسطينية ، وإنهاء المقاومة الفلسطينية يعني انتهاء دور المسلمين في لبنان لأن غيرهم وقتذاك سيكون المالك للسلاح والمال وهم سيكونون إما عبيداً أو قتلى ومن ثم فلم يكن أمام المسلمين خيار ألا يتلاحموا مع المقاومة الفلسطينية مع ملاحظة أن أكثرية الفلسطينيين مسلمون فكان أن قاتل المسلمون اللبنانيون والمسلمون الفلسطينيون وغيرهم جنباً الى جنب وبدأت المآسي ثم سارت الامور بأن أخذت المسألة طابع يمين ويسار وقفز الى سدة الزعامة للمسلمين غير المسلمين وأخذ هذا الصف يطالب بمعان جزء منها من الناحية العملية إنهاء السلطان السياسي في النهاية

للمسلمين ، وعندما تتأمل المسألة ابتـداء وانتهاء تجد أن ما حـدث وما يمكن أن يحدث كله فيه الجـراح ولو أن المسلمين لم يتحركوا لكانت الجراح أعمق وأشد • وهذا نموذج آخر على هذه المرحلة التي نحن فيها •

حـ ــ إن كل دارس وباحث يعرف أن المقاومة الكاملة الحقيقية للسيطرة اليهودية على فلسطين إنما هي عند المسلمين وفي الاسلام بدليل أن النصارى الغربيين على اختلاف مذاهبهم ثبتوا قيام دولة إسرائيل مما يشير الى أنه يمكن أن يقبـل النصراني من حيث المبدأ في هـذه المنطقة قبول قيام دولة اسرائيل ولكن الشيء الذي لا يمكن أن يقبله المسلم الحقيقي إطلاقاً هو التسليم بهذا المعنى ، والأمر ما تجد المنطقة العربية عامة لا يسمح فيها أن تقوم تكتلات سياسية إسلامية بل أكثر من ذلك نجد كل أنظمة الحكم العربية تطارد كل نفس سياسي إسلامي وتحاول أن تسحقه ومن العجيب الغريب أن ذلك كله يتم بحجة القضية الفلسطينية ومن العجيب الغريب أن الفلسطينيين قبل غيرهم هم أكثر ما يصفقون لأمثال هؤلاء الحاكمين والمسلم الحقيقي إن تكلم جُرح وإن سكت جُرح ، وهكذا تجد طبيعة هذه المرحلة واضحة كما هي واضحة في غيرها •

ولا يعني أن هـذا سيستمر ولا يعني أنه لا حـلّ بل نريد أن نعرف طبيعة المرحلة التي نحن فيها لنتحمل لأواءها ونحسن الخروج منها وتكون حركاتنا على ضوء هذه المعرفة ومكافئة لهذه المرحلة •

٢ ــ وثاني خصائص هـذه المرحلة أن معركة الاسلام داخـل أقطاره ذات بعدين ، بعد محليّ وبعد عالمي وأنه لاانفصال بين المعركتين وأن كل تحرك مهما كان شأنه لا بد أن يلحظ الاطار المحلي والإطار العالمي ، هـذه مصر تتحرك حركة حقيقيـة لصالح الاسلام فيتحرك

نصاراها حركة معاكسة ، ثم يتحرك امتداد هؤلاء النصارى في أمريكا ليطالبوا رئيسها بالتدخل في هذا الشأن ، والصراع داخل لبنان يضرب في أعماق أحشاء هذا العالم وهكذا قل في أي نوع من أنواع الصراع.

٣ ــ وثالث خصائص هذه المرحلة أنها مرحلة الضغوط على حركة المسلمين هذا الضغط الذي يجعلهم دائماً أمام خيار الحركة أو السكون. وإذا اختاروا الحركة جعلهم أمام خيارين الذبح أو الانحراف وما يجري الآن ونحن نكتب هذه الرسالة أكبر دليل على ذلك عندما يضع العالم الحكومات المجاورة لدولة اليهود بين هذين الخيارين : الذبح أو الصلح ومن قبل والأمر ما يزال فيه رمق جعلوا السلطان عبد الحميد وهو من هو دهاء وحنكة بين خيار الانحراف، بالاعتراف بوطن قومي لليهود أو السقوط فاختار السقوط .

★ ★ ★

ومع هذا كله فالله عز وجل وعدنا النصر وحذرنا أن نظن أن الذين كفروا معجزون في الأرض أو أن يظن الكافرون أنهم سبقوا : « لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض » « ولا تحسبنّ الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون » ولكن جرت سنة الله أن يمتحن عباده بعضهم ببعض قال تعالى : « ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » وقال تعالى : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونبلو أخباركم » ووعدنا أن تكون العاقبة لنا قال تعالى : « والعاقبة للمتقين » وقال : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» وقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

كله » ونحن مبشرون من رسولنا عليه السلام بأن دولة إسلامية عالمية ستقوم وإن كل ما يجري في هذا العالم ليدل على ذلك والذين يحسبون أن ما يجري حولنا نهائي مخطؤون وتفصيل ذلك في غير هذا المكان وعلينا أن نبدأ السير في الطريق ملاحظين وضع أمة الانبياء وعلى ضوء ذلك يجب أن نخطو خطواتنا الأولى والثانية والثالثة .

ولا شك أن خطواتنا هذه يجب أن تكون على الطريق الى الصحة ثم على الطريق الى النصر لتحقيق دعوة الانبياء لصالح هذه البشرية التائهة والمنحرفة .

وليكن الكلام في الباب القادم عن الطريق الى الصحة والنصر .

★ ★ ★

الباب الرابع

الطريق إلى الصحة والنصر بإذن الله

« الطريق الى الصحة والنصر بإذن الله »

عندما يصادف الناس أوضاع صعبة قاسية فإن مواقفهم تختلف فنجد بعضهم ييأس ويستسلم ونجد بعضهم يتصرف بردّ فعل عفوي فقد يكسر الطوق وقد يفشل ونجد بعضهم يفكر ويتأمل وعلى ضوء الفكر والتأمل يتخذ قراره • وعندما تصادف الناس أوضاع معقدة تحتاج الى حلول فإن كثيرين من الناس يمتلكون إمكانية السير في الحلول البسيطة ولكنهم لا يستطيعون أن يستوعبوا الحلول المعقدة فضلاً عن أن يسيروا فيها • وعندما يكون هدف ضروري التحقيق نجد الناس أقساماً فمنهم من يتكل على غيره ومنهم من يعتبر نفسه هو المسؤول عن ذلك ولو فرط الناس جميعاً في قضية الهدف وهكذا شأن الناس في كل العصور وهذا شأن المسلمين حتى في شأن دعوة الانبياء مع أن المفروض أن تكون معالجة هذا الموضوع مختلفة عن أي موضوع آخر فههنا واجبات ربانية نحن مكلفون بها والمسلم في هذه الحالة له موقف واحد وهو العمل والتدبير من أجل تحقيق الهدف ولكن الواقع أن الامر لم يكن كذلك وذلك لأن شأن الناس في كل الأمور كذلك والمسلمون من هذا الناس ، وقد يكون هذا الشيء من مظاهر حكمة الله بأن جعل من سنته أن يبعث لهذه الامة على رأس كل قرنٍ من يجدد لها أمر دينها إذ ليس كل الناس يتصرفون التصرف اللازم وليس كل الناس يستوعبون ما يلزم •

دعونا الآن تتصور ما هو الموقف السليم من هذا الموضوع الذي نحن فيه موقفنا كمسلمين ملتزمين بالاسلام يأخـذون أنفسهم بحكم الله فكيف نفكر في هذا الشأن ؟

لا شك أن الواحـد منا مكلف تكليفاً شرعياً بأن يتخلص مـن أمراضه وأن يؤدي حق الله عليه ، ولا شك أن جماعة المسلمين مكلفة بتجاوز أمراضها ومكلفة بتحقيق الاهداف التي فرضها الله عليها من إقامة حكم الله ومحاولة أن تكون كلمة الله هي العليا في العالمين ولاشك أن جماعة المسلمين ستفكر في كل ما يلزم لمجموع هذه العمليات من البداية من نقطة تكوين الشخصية الاسلامية حتى إقامة دولة الاسلام العالمية ثم يبدأ السير لذلك ، ولا شك أن العملية ليست سهلة والإجابة على كل الأسئلة اللازمة لذلك لا يستطيعها كل إنسان كما أن البدء الصحيح الموصل لذلك لا يستطيعه كل إنسان لأن هذه القضية تحتاج الى شروط كثيرة وآفاق عالمية ودأب طويل وصبر عظيم واستيعاب شامل ودقائق كثيرة إن في الفكر الذي يجمع المسلمين وإن في تربيتهم اللازمة والمكافئة ، وإن في النظرية التنظيمية وإن في الاستراتيجية العامة وإن في الخطة وإن فيما يلزم الحركة في كل قطر وإن فيما يلزم من خطط ، ولا شك أن نقطة البداية هي صناعة الرجال الذين يأخذون على عواتقهم السير في هذا الطريق .

ولو أنـك تأملت وفتشت وبحثت بإنصاف لمـا وجدت أحـداً وضع قدم المسلمين في الطريق اللازم لذلك كله غير حسن البنا رحمـه الله فكان بحقّ مجدد هذا العصر ــ والله أعلم ــ .

أما الناس كل الناس فإنهم أقسام فمنهـم من كان يائساً نتيجة لفهمه بعض النصوص خطأ ومنهـم من كان يائساً لأنه لا حيـلة له وبعضهم تخيل ولم يصل خياله الى حد التعبير عنه ، وبعضهم عبّر ولم

يعمل وبعضهم عمل ولم يعمل العمل اللازم والمكافىء ولم يكن عمله أصلاً جهاداً في سبيل الله ، وبعضهم جاهد ولكن بروح رد الفعل دون أن يعطي الإعداد لكل ما يلزم حقه والاستاذ البنا تجاوز هذا كله وهو القائل : « أيها الإخوان المسلمون : إن ميدان القول غير ميدان الخيال وميدان العمل غير ميدان القول وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطىء ، يسهل على كثير أن يتخيلوا ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالاً باللسان وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمل وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا ولكن قليلاً منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف وهؤلاء المجاهدون هم الصفوة القلائل من الانصار قد يخطؤون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله ، وفي قصة طالوت بيان لما أقول » .

ونحن لا نريد في هذه الرسالة أن نقول كل شيء بل نريدها أن تكون من أجل خطوة الى الأمام فقط ولذلك فإننا سنتكلم فيها ضمن هذه الحدود فما لم نقله هنا قلناه في بقية أجزاء هذه السلسلة « سلسلة في البناء » .

إن نقطة البداية في السير نحو الصحة ونحو تحقيق الاهداف أي نحو انتصار دعوة الانبياء محلياً وعالمياً هو نموذج الصحة الأول المتمثل بالمجدد ثم النماذج المتكررة عن شخصه والمتمثلة بالوراث الكاملين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمنطلقين على هدي صوت المجدد واجتهاداته المكافئة للعصر ثم قيام هؤلاء كلهم بنقل الأمة من حال الى حال والسير من خلال جماعة المسلمين من نصر الى نصر ومن موقع الى موقع وكل ذلك يحتاج الى زمن ويحتاج الى خطوة لاحقة بعد خطوة سابقة

على طريق واضح مستقيم وقد فعل الأستاذ البنا وإخوانه ذلك كله وأدرك أعداء الانبياء خطورة السير وعرف إخوان البنا أنه لا بد من تحمل جراح المرحلة فتحملوها ولا يزالون ، وهم على الطريق بفضل الله سائرون ، ولن تقف مسيرتهم حتى تقوم دولة الاسلام العالمية تحقيقاً لبشارات رسولهم الحبيب عليه الصلاة والسلام ودع المعوقين يعوقون ما شاء لهم التعويق فخطواتنا متلاحقة على الطريق بإذن الله وقعها إلى الله جل جلاله ، متحملين مرحلة الخوف كلها تلك التي تسبق مرحلة الاستخلاف عادة « ولنبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » ورؤوسنا يا رب فوق أكفنا .

★ ★ ★

قبل أن نتكلم كلمة تخدم الى حدٍّ ما موضوع عنوان هذا الباب نحب أن نصحح خطأ يقع فيه بعض العلماء في فهم بعض النصوص وقد ناقشنا بعض هذه المفاهيم الخاطئة في أواخر كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقاً » وهو أحد أجزاء هذه السلسلة وقد برهنا هناك على أن الأحاديث الصحيحة تبشر بدولة إسلامية عالمية يخضع لها العالم كله وأنه عليه السلام بشرنا بفتح روما وأن ذلك كله قادمٌ وآت بإذن الله .

وههنا نريد أن ننبه على خطأ سببه قيام دولة اليهود في فلسطين فبعض المسلمين يظن أن النصوص الواردة في شأن المسيح بن مريم وقتل المسلمين اليهود في فلسطين يومها ان بعضهم يفهم من هذه النصوص أن وجود اليهود الحالي سيستمر الى تلك الايام وهذا خطأ لأن اليهود والذين يقتلون يومذاك يكونون قادمين الى فلسطين مع المسيح الدجال أما فلسطين فإنها تكون بيد المسلمين بل تكون القدس عاصمة الخلافة الاسلامية والمسيح يدخل القدس وإمام المسلمين فيها وكل ذلك تشهد له النصوص الصحيحة ، فالنصوص إذن تفيد أن هذا

الكابوس العارض على فلسطين سينتهي ولا شك أن هذا أحد الاهداف الكبرى والعظمى التي على الحركة الاسلامية أن تحققها على صعوبة ما تحتاجه وعلى كثرة ما يلزم لذلك •

فإذا اتضح هذا كله فقد آن لنا أن نقول كلمة تخـدم موضوع هذه الرسالة وتناسب عنوان الباب وخاصة قضية الطريق الى الصحة لأن ذلك في الحقيقة هو طريق النصر الرباني : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » •

ما عليه وضع الأمة الاسلامية بشعوبها كلها هو وضع مرضي شامل يبلغ أعماق النفوس هذا الوضع المرضي لم تصل اليـه الامة الاسلامية دفعة واحدة بل جاء على مدى طويل والعوامل المؤثرة فيه لم تكن عوامل واحدة بل هي عوامل كثيرة منها الداخلي ومنها الخارجي وكما أن المرض يبدأ بأفراد ثم يتوسع فإن الشفاء كذلك يبدأ بأفراد ثم يتوسع • ومن ثم نقول إن نقطة البداية فيما نحن فيه هو وجود النموذج الصحي الذي تنتقل منه عوامل الصحة وتمتد منه الى غيره وبقدر ما تتوسع دائرة الصحة تكون الامة في عملية انتقال صالح حتى يتماثل جزء منها الى الشفاء يكون هذا الجزء قادراً على تطبيب القسم الآخر عندئذ تبدأ الأمةالاسلامية مسيرتها السياسية المتوازية معرسالتها في أبواب العقائد والاخلاق والتشريع والسلوك وغير ذلك •

ولا شك أن البنا رحمه الله كان هذا النموذج وخطا في الطريق لإيجاد نماذج الصحة في هذه الأمة من خلال إيجاده طبقة النواب الذين هم وراث الانبياء ومن خلال طبقة النقباء الذين هم أركان الحركة في دعوته ومن خلال طبقة المجاهدين العاملين الذين هم صف الجماعة السليم ومن خلال القاعدة العريضة التي يستقطبها هؤلاء كعملية نقل لهذه الأمة والطاقة انطلقت من عقالها ولن يحول أحد ــ بإذن الله ــ

دون وصولها الى مستقرها وعلى إخوان البنا أن يفهموا تماماً ماذا تعني كلمة النائب أو النقيب أو المجاهد أو العامل أو ما دون ذلك في مصطلحات البنا وأن يعطوها مضمونها الصحيح كنقطة بداية صحيحة في العمل بدونها لا يكون شيء .

ولنعد من جديد الى عرض المسألة من بدايتها .

١ ـ مر معنا الحديث الشريف الذي يقول : « يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الأكلة الى قصعتها قالوا : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ... » .

لا شك أن هذا الحديث ينطبق على عصرنا انطباقاً تاماً بل ينطبق على أوضاعنا منذ أطلقت أوربا على الدولة العثمانية اسم الرجل المريض وبدأت تتدارس أمر توزيع تركة الرجل المريض والعلة كما وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم أننا غثاء كغثاء السيل أي لا ثقل ولا وزن ولا ثبات لنا بل فقاعات هواء لا تلبث أن توجد حتى تنتهي يصنعها التيار وهو ينهيها ويجرفها حيث يشاء .

ولعل أصدق وصف للمسلم في هذه الحالة أنه إمَّعة وهي حالة نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن أساءوا ظلمنا . ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » أو كما قال عليه السلام . إن المسلم عندما يكون إمعة يكون كغثاء السيل لا وزن له ولا قيمة ويجرفه التيار حيث شاء .

وإذن فنقطة البداية في الطريق الى الصحة هي أن يعود للمسلم وزنه وثقله وتفكيره المستقل ومحاكمته لكل ما أمامه والمشاركة المتعقلة في الحس ، النابعة عن المحاكمة الاسلامية الصرف ، والرفض المطلق

للسير مع التيار الخاطيء الظالم المسيء وإن كان العالم كله ذلك التيار : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » إن نقطة البداية في الطريق الى الصحة هي أن يستشعر المسلم مكانه ومكانته وأن يعرف نفسه وقيمته ومحله بالنسبة للعالم وأن يعرف قيمة ما خصه الله عز وجل به وقيمة ما عليه غيره على حقيقتها ثم أن يأخذ حظه على حسب استعداده من هذا الاسلام وأن يأخذ مكانه في الصف الاسلامي على حسب كفاءته وخصائصه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » فبالإيمان تكون الرفعة وبالعلم بعد الإيمان يكون الارتقاء .

٢ً ــ وقد مر معنا من قبل أن التصنيف داخل المجتمع الاسلامي إنما يكون بحسب الخصائص ، والقيادة تنبثق بعد توفر الخصائص من الشورى فهناك الوارث الكامل وهناك النقيب وهناك المجاهد وهناك النصير وهناك العامة بعد ذلك وفوق ذلك كله أمير المسلمين وإمامهم ، والجماعة تضم هؤلاء جميعاً وإنما نكون غثاء عندما نكون جميعاً عامة ورعاعاً ودهماء ولا تتحقق فيما فوق ذلك من خصائص النصير أو المجاهد أو النقيب أو الوارث الكامل أو ما فوق ذلك من خلال العلم والإلتزام ومن خلال الخصائص والثقل في الاختصاص .

٣ً ــ وبقدر ما ينجح المسلمون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في العمل السياسي ، وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في العمل العسكري وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناسٍ منهم أصحاب ثقل في العمل التربوي والتعليمي وبقدر ما ينجحون في إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في الشؤون المالية والاقتصادية ، وبقدر ما ينجحون في

إيجاد ناس منهم أصحاب ثقل في كل اختصاص بقدر ما ينجحون بهذا كله يكون ثقلهم حقيقياً وبقدر ما يخفقون في هذا كله أو شيء منه فإن الغثائية فيهم ستستمر ، ونقطة البداية في هذا كله هو وجود النموذج الصحي الذي تحرر من أمراض الانسان ومن أمراض أمته وكان قادراً على نقل الصحة للآخرين • والأمراض قسمان : أمراض فردية وأمراض جماعية، والنموذج الصحي الذي نتحدث عنه هو القادر ــ بإذن الله ــ على شفاء الامراض الفردية والجماعية والامراض المتعلقة بالانسان كفرد والامراض المتعلقة بالانسان كجزء من جماعة هذا النموذج الصحي هو الذي نسميه الوارث الكامل وقد وعدت هذه الأمة على لسان رسولها عليه الصلاة والسلام أن يبعث لها على رأس كل قرن من يجدد لها أمر دينها وإننا لنرجو أن يكون حسن البنا رحمه الله مجدد هذا القرن •

٤ ــ إن الوارث الكامل تقع عليه مسؤولية نقل الأمة الى صحتها من خلال نقل كل انسان الى سقفه الأعلى والهدف الاعلى عنده أن يجعل الناس كلهم وراثاً كاملين مثله لأن الله عز وجل خاطب جميع المسلمين بقوله : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » ولكن من الناحية العملية لا يستطيع كل المسلمين أن يصلوا الى هذه القمة السامقة ومن ثم يصل بعضهم الى هذه الرتبة وآخرون الى رتبة النقباء وآخرون الى رتبة المجاهدين وآخرون الى رتبة الانصار وعلى هؤلاء جميعاً أن يستقطبوا عامة المسلمين وإنما يرتفع انسان ما الى رتبته من خلال الخصائص لا من خلال خلع الألقاب لأن المهم أن يكون الانسان عند الله كما سُمي ، لأن المسلم الحق لا يجوز أن يخطر بباله أصلاً طلب الجاه والعلو في الارض قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » • إن للمسلم أدبين : الادب الاول أن يجمع همته على أن يصل الى أعلى درجات

الكمال والادب الثاني ألا يطلب بذلك العلو في الارض لنفسه ومن ثم كانت القاعدة العامة في الاسلام أن طالب الولاية لا يولّى ، وإنما الذي يقدم للولاية شورى المسلمين فإذا ما قدمت الشورى إنساناً الى أمر فعليه أن يؤدي الواجب فيه على أرقى ما يكون الأداء ولا يستطيع ذلك إلا من خلال استكماله كمالاته قال يوسف عليه السلام : « اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم » . وقالت بنت شيخ مدين لأبيها عن موسى : « يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين » فالحفظ والعلم والقوة والامانة هي سمات للمسلم حيث كلف بأمر .

٥ً ـ مما مر ندرك أن الامة الاسلامية تبدأ صحتها عندما يبدأ وجود مسلمين تحققوا بصفات الانصار المجاهدين والنقباء والوراث وأن نقطة البداية في ذلك هي وجود الوراث الكاملين وأن أداة ذلك كله العلم ، فبدون علم لا يكون شيء أبداً والعلم وحده لا يكفي وإن كان لوجود الوراث الكاملين هذه الأهمية فلنبدأ الحديث باختصار عنهم :

★ ★ ★

لقد دعا ابراهيم عليه السلام لذريته من أبناء اسماعيل بقوله : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » . ولقد أمرنا الله عز وجل بالذكر والشكر في مقابل ما منه علينا برسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو تحقيق دعوة إبراهيم فقال : « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون » . لقد دعا الله عز وجل إبراهيم لهذه الأمة بما يصلحها ولقد استجاب الله عز وجل له فبعث لها رسولاً منها يصلحها ويصلح العالمين إذ جعله الله عز وجل

رسولا للعالمين ، وكما أن نقطة البداية كانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن نقطة البداية الحالية هي وجود الوارث الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أداء مهماته عليه الصلاة والسلام تلاوة آيات الله في الكون وفي التاريخ وتعليم الكتاب والسنة وتطهير النفس البشرية وتعليم الناس كل ما يلزمهم في أمور الحياة على منهج الله عز وجل •

إن نقطة البداية هي وجود هذا النوع من الرجال على حالة تسع هذه الامة ، فبقدر ما يوجد من هذا النوع عدد يسع هذه الامة ويقوم هذا النوع بمهمته كاملة شاملة على النحو الذي حددته دعوة الانبياء تكون الامة قد بدأت سيرها نحو الصحة ، فكما أن ما بنا كان نتيجة لتغير أنفسنا فإن ما بنا لا يتغير حتى تتغير أنفسنا : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وتغير الأنفس لا يتم إلا بسلوك طريق ذلك ووجود أدواته •

★ ★ ★

إن وجود الوراث الكاملين الذين يستطيعون أن يصلوا الى كل فرد في هذه الامة فيعلموه ويزكوه هو نقطةالبداية وهو إحدى الفرائض الكبيرة في هذا الدين « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » •

إن الوارث الكامل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو النموذج الصحي في الانسانية وهو النموذج الصحي في هذه الأمة وهو البداية الصحيحة لارتقاء هذه الامة وقديماً قال القائل : « لا يصلح آخر هذا الامر إلا بما صلح به أوله » • والوارث الكامل صفة يجب أن يتحقق

بها أعداد كثيرون من البشر حتى يؤتي وجودهم ثماره إذ مالم يصل تأثيرهم الى كل فرد في هذه الامة بحيث ينقله الى أعلى حالات الصحة فإن القضية لا تؤتي ثمارها وقديماً قالوا : « زهرة واحدة لا تشكل ربيعاً » • ونحب هنا أن نشير الى معنى مهم : إن الوراثة الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت في أفراد كثيرين قد تكون سبباً من أسباب تفرقة الأمة إذا لم يكن هؤلاء الوراث تجمعهم معرفة أن المسلمين جسدٌ واحد ويجب أن يكون لهم رأس واحد منبثق عن شوراهم • فهذا جزء من التراث النبوي وجزء من التوجيهات القرآنية فالوراثة الكاملة لكثيرين تقتضي من هؤلاء الكثيرين أن يجتمعوا على واحد منهم ذلك عمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته عليه السلام •

وإذا كان للوارث الكامل هذا الشأن في بعث الامة الاسلامية فلنتحدث باختصار عنه :

أ ــ الصفات الرئيسة للرسل عليهم الصلاة والسلام هي : الأمانة والصدق والفطانة والتبليغ والوراثة الكاملة للرسل عليهم السلام تعني الأخذ بحظ وافر من هذه الصفات : من الامانة فيكون مظهراً للتطبيق الكامل للشريعة ويكون صادقاً يثق بصدقه الجميع ويكون فطناً بحيث يستطيع إقامة الحجة على كل انسان بدعوة الله وأن يقوم بتبليغ دعوة الله عز وجل فيكون التبليغ همه الاول •

ب ــ الوارث الكامل يجب أن يقوم بالمهمات الرئيسة للرسول عليه السلام : ١ ــ تلاوة آيات الله في الكون والتاريخ • ٢ ــ تعليم الكتاب والسنة • ٣ ــ تطهير النفس البشرية من أمراضها • ٤ ــ تعليم الناس ما يزيل جهالاتهم في أي شأن من شؤون الحياة •

جـ ــ متى وجد الوارث والدعوة الى الله وُجد العداء قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن » • « وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون » •••

وهــذا يقتضي ملكات خاصة وقدرات خاصة وبصراً خاصاً في الصراع والعقلية والتطويق والإحاطة • من تأملنا للفقرات السابقة نعرف ضخامة ومعنى الوراثة الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وندرك بالتالي الاحتياجات الكبيرة للتحقق فمثلا : القيام بالتبليغ يقتضي حالاً معينة مع الله قال تعالى : « الــذين يبلغون رسالات اللــه ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله » فمتى كان في قلب إنسان خشية من غير اللــه فإنه لا يستطيع أن يقوم بواجب التبليــغ • والفطانة في عصرنا تقتضي إحاطة بثقافة العصر ليستطيع الانسان أن يقيم الحجة على أبناء العصر من خلال معارفهم والصراع مع الكفر والنفاق وأهلهما في هذا العصر يقتضي إدراكاً دقيقاً لأسلحة هؤلاء الخصوم وشبكات العمالة الداخلية والخارجية التي تربط بينهم وتأثير ذلك على طريقة الصراع ومجموع الاسلحة التي يمكن أن تستعمل ومعرفته بطريقة تفويت عمل هذه الاسلحة ، والعصر الذي نحن فيه يقتضي قدرة خاصة على رفع إمكانيات الامة وطاقاتها الى مستوى مدنية العصر ، هــذا كله بجانب القــدرة على التعليم والتربية الاسلاميتين مــع الوعي العام وحسن التصرف مع غير المسلمين فإذا أدركنا هذا عرفنا عبء الوصول الى أن يكون الانسان وارثاً نبوياً وعرفنا ثقل البدايات التي هي إيجاد طبقة كبيرة عريضة واسعة تغطي احتياجات الأمة للارتقاء •

ولا شك أن وجود هذا الوارث لا يتم الا ببذل جهد كبير من أناس أصحاب همة علية يرغبون في الوصول الى هذه المقامات ويؤدون

ثمن ذلك قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » وقال تعالى : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » • وقال تعالى : « وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » • وقال تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » • وقال تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » • فالصبر والذكر والقيام بأوامر الله تامة غير منقوصة والفقه في دين الله والتوفيق من الله ليكون الانسان حكيماً ، كل هذه المعاني شروط للوصول الى صفة الوارث الكامل وباختصار :

إن الطريق لوجود الوارث الكامل يبدأ بانبعاث همة إنسان فيترك كل شيء وراءه ويعطي الوصول الى هذه الرتبة لوازمها وتتهيأ له ظروف الوصول من أساتذة يربون ويعلمون ومن مطالعة شاملة ومن عمل صالح وذكر ومن دأب صبر يتحمل به لأواء الطريق فإذا وجد الوارث الكامل فإنه من بعض واجباته :

١ ــ توجيه الأمة في طريق يتعلم فيه كل إنسان فروضه العينية ويكون رجل قمة في اختصاص ما فالاسلام قد جعل العلوم قسمين، فرض عين وفرض كفاية • وكما أن الوارث مهمته أن يعلم الناس فروض العين فإن مهمته كذلك أن يدفع الناس في طريق فروض الكفاية وأن تكون لديه الفراسة الكاملة لتوجيه كل إنسان في الاختصاص الذي يناسبه بحيث تسع مجموع الاختصاصات مجموع ما يلزم للأمة وهذا موضوع واسع إذ فرض العين يختلف من انسان الى انسان وفرض الكفاية أوسع مدى من مجرد ما يراه النظر الباده ويدخل في فرض

العين التي عليه أن يعلمها الفهم الصحيح للإسلام ومعرفة العقائد والعبادات والاخلاق والآداب وكثير من أحكام الاسلام في المعاملات ، ويدخل في فروض العين معرفة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ومعرفة ترتيل القرآن ومعرفة شيء من السنة والسيرة وكثير من قضايا العصر وموقف الاسلام منها لتكون عنده مناعة عن الضلال ويدخل في فروض العين أدب الحياة والتعامل والوعي العام على قضايا الاسلام والمسلمين ومن ثم فالأمر أوسع مما يتصوره الكثير ، ومن ثم فتربية المسلم على فرض من فروض العين ودفعه ليكون رجل قمة في اختصاص ما عمل دقيق مهم •

٢ ــ الارتفاع بالمسلم الى سقفه الأعلى عقلا وقلباً وجسداً وروحاً وهذا لا يكون إلا إذا كان الوارث كاملا علماً وعملاً وحالا قد ورث عن الرسول صلى الله عليه وسلم علمه وعمله وحاله ضمن الحدود التي تمكن وراثتها وما أكثر العاجزين عن الارتقاء بالمسلم في هذا كله بل ما أكثر الذين يجعلون المسلم في متناقضات ما بين عقله وقلبه أو جسده وروحه •

٣ ــ الجمع بين التعليم والتربية والوعظ والدعوة ، فهو يدعو ويعظ ويعلم ويربي ودعوته ووعظه فيها الحكمة والبلاغة وتعليمه فيه معنى الشمول للكتاب والسنة والفقه وما يلزم من علوم لها صلة بهذه الأمور وتربية شاملة للنفس البشرية في الارتقاء بها من حال الى حال ومن خلق الى خلق •

٤ ــ تربية الشخصية القوية والمستقلة والقادرة على الحياة الجماعية الصحيحة ، والحياة الجماعية الصحيحة تقتضي تنظيماً وترتيباً فالله عز وجل ذكر الرسل عليهم السلام وذكر النقباء وذكر المجاهدين وذكر الأنصار ، والوارث جزء من مهمته أن يربي النصير والمجاهد

والنقيب وأن يدمج هؤلاء جميعاً في حياة مشتركة يفجر فيها طاقاتهم جميعاً نحو تحقيق الأهداف الاسلامية وهذا لا يتم إلا بتربية عالية على آداب التعامل الاسلامية وبتربية عالية للنفس البشرية ، ولا يتم إلا بتوفيق رباني واستعداد عالٍ ، ولا بد أن يكون ذلك كله ضمن نظرية واضحة في التربية والتعليم تسع طبقات الناس وتعطي كل إنسان حسب استعداده وتأخذ بيد كل انسان الى ما يستأهل أن يصل اليه .

وثم واجبات أخرى للوارث الكامل يعرفها مطالع هذه الرسالة ومطالع بقية سلسلتنا « في البناء » تعمدنا ألا نذكرها هنا لتبقى هذه الرسالة جزءاً من كل فإن الاوضاع العامة للمسلمين لا تسع أن يقال كل شيء ولاتسع أن يجمع ما يجب قوله في مكان واحد .

إن من أهم واجبات الوارث هو إيجاد مجموعة النقباء الذين يغطون جوانب العمل الاسلامي ، ويغطون العمل في كل طبقات الأمة من الصغار الى الكبار ومن النساء الى الرجال ومن العمال الى الموظفين ومن المدنيين الى العسكريين ومن العامة الى المثقفين والذين هم مع تخصص كل واحد منهم في العمل ضمن طبقة من الناس فإن كل واحد منهم متخصص في جانب من جوانب العمل الاسلامي بشكل أخص من الدعوة الى السياسة الى غير ذلك .

إلا أن طبقة النقباء لا تأتي إلا من خلال طبقة المجاهدين ، وطبقة المجاهدين لا تأتي إلا من خلال طبقة الانصار ، إن الاحتراق بخصائص المرحلة الدنيا هو الذي يفرز الى مرحلة أعلى وقديماً قالوا : من لم تكن له بداية محرقة فلن تكون له نهاية مشرقة . إن المسألة ما لم تكن كذلك فإن القمة قد يتسلقها الجامدون العاجزون عن أن يتحركوا أو يحركوا ، وإن المسألة ليست أن تسمي إنساناً نقيباً ولكن المسألة أن يوجد النقيب فعلاً ولا نقيب إذا لم يكن الانسان عند الله نقياً .

وأحب في هذا المقام أن أسجل كلمة لغرض في نفسي : إن كثيرين من إخواني يلومونني على كتاباتي بعضهم يلومني خوفاً علي وبعضهم يلومني لأنني أذكر مالا ينبغي ذكره لانه مما لا ينبغي أن يعرفه أحد وهذه الكتابات معرضة لأن تقع في أيدي الكثيرين وأقول : إنني رجل مريض إن لـم يمت قتلاً فسيموت مرضاً ونحن مسلمون نؤمن أن القتل في سبيل اللـه أكرم وأطيب ، ثم إنني لا أجـد طريقـاً أقول للمسلمين كل ما ينبغي إلا هذا الطريق وكوني قلته ونشرته لا يعني أنـه معمول به حتى يتحمل أحد مسؤوليته غيري لأنه لو كان موجوداً ما احتجت أن أكتب فيه وأما أن ما أكتبه قد يسبب ضرراً لأنه يجعل الآخرين يفتحون أعينهم على المسلمين فالجواب عليه : إن أي مسلم يستطيع أن يتبرأ مني متى رأى ضرورة ذلك وأنا أبيح له من نفسي ذلك وبهذه المناسبة أقول : إن أي عمل سياسي في العالم إذا لم يملك غطاء عالمياً يغطيه فإنه معرض للزوال ونحن المسلمين لا يجوز لنا إطلاقاً أن نفكر في غطاء عالمي ، إن الغطاء الرباني وحده هو غطاؤنا ومن ثم فعلينا أن نستبدل بالغطاء العالمي كل ما يحتاجه العمل من تمويه وطروح وأن يكون ذلك في الله ولله وهذا كله بدون توكل على الله لا يؤتي ثماره ولنعد الى سياق البحث .

٧ ـ قد يكون مناسباً أن أتحدث بعد الإجمال السابق عن شيء من عمل الدعاة الى الله عز وجل وما أذكره لا يخرج عن كونه مثالا يقاس عليه ولا يتجمد بسببه : افترض أنه وجد الداعية الى اللـه أي الوارث أي العالم العامل فماذا عليه أن يعمل ؟

لقد قال الله عز وجـل : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » فلنتأمل قوله تعالى :

« ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » لندرك أن تعليم الكتاب ودراسته ودراسة ما يلزم لفهمه هو الربانية ومن ثم فالعالم لا يستحق الربانية إذا لم يكن معلماً لكتاب الله عز وجل ، وقد جرت سنة التربية النبوية أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان قبل القرآن كما قال ابن عمر رضي الله عنه : لقد عشنا برهة وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ... » ومن ثم فالعالم الرباني إذ يربى على الإيمان قبل القرآن ومن خلال التربية على الإيمان والقرآن تظهر استعدادات الناس للارتقاء من طورٍ الى طور . ومن ثم فهذا سقفه أن يكون نصيراً وهذا سقفه أن يكون مجاهداً وهذا سقفه أن يكون نقيباً وهذا سقفه أن يكون وارثاً مرشداً وهذا استعداده أن يعمل في الحقل السياسي وهذا استعداده أن يعمل في الحقل التعليمي وهذا استعداده أن يعمل في حقل الدعوة المفتوحة الى الله عز وجل وهذا استعداده أن يعمل في باب الجهاد في سبيل الله وهذا استعداده أن يخدم في الإطار المالي لخدمة الاسلام والمسلمين وهذا استعداده أن يخدم في حقل التربية . والداعية يعلم ويربي ويفرز ويوجه ويرقي . ومن الظلم أن يعطل طاقة ومن الظلم أن يعطي لإنسان خلاف استعداده ومن الظلم ألا يوجه إنساناً لما يحسنه أو أن يوسد الى انسان مالا يحسنه وفي الحديث :

« وإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قيل وكيف تضييعها قال : إذا وُسِّد الامر الى غير أهله ... » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وهذا كله يمكن أن يتم من خلال الحلقات العامة والمغلقة ومن خلال التربية الفردية على طريقة الذكر والعلم قال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً ومتعلماً » وذلك كله ينبغي أن يتم ضمن منهاج معين محدود على ضوء موازين

دقيقة واضحة الاستمداد من الكتاب والسنة ومتى كان المنهاج معروفاً والموازين معلومة والهدف عند المربي واضحاً فلا يضر أن يبدأ المربي من حيث يمكن البدء ليصل الى ما ينبغي أن يصل اليه وقد جرت عادة الصوفية أن يبدؤوا بالذكر ، وجرت عادة العلماء أن يبدؤوا بالعلم • والبداية بالعلم والذكر هي الأجود والاكمل والاخصر طريقاً •

★ ★ ★

والابتداء بفرد أو مجموعة كل ذلك فيه خير ولكن التربية والدعوة من خلال حلقات العلم والذكر مع التربية الخاصة لكل فرد منتسب للحلقات هي الطريق الاجود مردوداً وإذا تعذر فكل طريق يحقق الهدف يكون طيباً • والابتداء في حلقة في مسجد طيب فإن لم يكن ففي بيت وإذا تعذر ذلك فكل طريق يحقق الهدف يكون طيباً • قد تستطيع أن تقدم الكثير ضمن حلقة ، ويبقى القليل طريقه التفهيم المباشر والكلمة التي لا بد منها إذا كان أداؤها بطريق يسبب ضرراً وأداؤها بطريق آخر لا يسبب ضرراً فالأحمق وحده هو الذي يختار الطريق الضار ، أما إذا كان هناك عمل لا بد منه ولا يصلح له إلا طريق محدد فعندئذ لا بد من سلوك هذا الطريق المحدد •

★ ★ ★

إن إبراز الإعجاز القرآني أو أنواع من الاعجاز القرآني قد يكون بداية صالحة ، فإذا سار الانسان في طريق إتقان تلاوة القرآن فان ذلك يكون أجود بداية على الاطلاق لأنه من خلال ذلك يصل الانسان الى كل شيء بحكم أن القرآن فيه بيان كل شيء ، فاذا رافق ذلك كله التركيز على سنن من الذكر كالاستغفار اليومي والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والإكثار معه من ذكر « لا إله إلا الله » وأمثال

ذلك مما وردت فيه أحاديث خاصة ثابتة تكون البداية أجود ما تكون وكل ذلك ينبغي أن يقدم من خلال النصوص ، فإذا رافق ذلك فقه الصلاة والإنفاق في سبيل الله مع فقه الإيمان وتحرر ولاء المسلم من كل ولاء للطاغوت ليصبح صافياً لله ورسوله والمؤمنين فإن نجاحاً ما قد تمّ لأن الله عز وجل وصف أنصار حزب الله بقوله : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » • إن هذه المرحلة هي عتبة السير وهي الاساس فيه وبقدر نضج المسلم في هذه المرحلة يكون استعداده للسير في مرحلة أخرى أجود ، إن المرحلة الاولى هي مرحلة التربية على الإيمان والصلاة والزكاة وتحرير الولاء لجماعة المسلمين ، وهذه قضايا تعتبر من أخطر القضايا الاسلامية والإنضاج فيها ليس سهلاً فقد يقتضي الإنضاج مجموعة من الظروف ومجموعة من الدراسات وكل ذلك ينبغي أن يؤمنه الداعية الى الله عز وجل وفي كثير من الأحيان قد يكون الإنضاج يحتاج الى دراسات عليا هي في الاصل من برنامج المجاهد أو برنامج النقيب أو من برنامج الوارث وكل ذلك ينبغي أن يعطى لأن أخذ هذه المعاني في الابتداء إن كان ضرورياً لإنضاج المرحلة الاولى فهو يسرع في الإنضاج في بقية المراحل • وعلى كل الاحوال يبقى ميزان هذه المرحلة هو تحرير الولاء وكمال الإيمان وأداء الصلاة والزكاة •

★ ★ ★

أما المرحلة الثانية فميزانها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » • وعلامة

النضج فيها التحقق بمحبة الله عز وجل بأن يسير الانسان في طريق ذلك ، والتحقق بالذلة على المؤمنين بأن يتخلق الانسان بمجموعة أخلاق المعاملة الاسلامية مع المسلمين والتحقق بالعزة على الكافرين شعوراً وسلوكاً بأن يطبق المسلم أحكام الاسلام مع أنواع الكافرين والتحقق بالجهاد كله بممارسته عملياً .

★ ★ ★

أما المرحلة الثالثة : فميزانها كون النقيب نائباً عن الوارث ومن ثم فينبغي أن يأخذ حظاً ما من كل جانب من جوانب الثقافة الاسلامية يحدد على ضوء الكتاب والسنة وقد رأينا جوانب هذه الثقافة في كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقاً » أيضاً .

★ ★ ★

أما المرحلة الرابعة : وهي مرحلة الوارث الكامل فميزانها ما رأيناه في فقرات هذا البحث ، وأن يأخذ الانسان حظاً عالياً من كل جوانب الثقافة الاسلامية وأن يتربى على أيدي وراث كاملين وأن يجيزوه في الدعوة والإرشاد والتعليم وما أندر الذين يستأهلون أن يجيزوا بجدارة .

★ ★ ★

ومن الخيانة أن يستأهل الانسان رتبة ولا يعطاها ومن الخيانة أن يعطى الانسان رتبة لا يستأهلها وفي الحديث : « من استعمل رجلاً على عصابة ومنهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين » ومن الخيانة أن يكون عند انسان استعداد لمقام ثم لا ننهض به الى هذا المقام .

★ ★ ★

ولا شك أن إدراكات الناس تتفاوت وثقافتهم تتفاوت ويبقى مع هذا الارتقاء بكل مسلم هو الاساس من خلال تعليمه وتربيته ولكنا

لا نحلم أن يستطيع كل مسلم أن يقرأ البرامج الضخمة التي كتبت كعلاج لأقصى الحالات ولإعطاء أبعد الكمالات في مرحلة ما ومن ثم فالعبرة للتحقيق بالمعاني وخاصة في المرحلتين: الاولى والثانية أما المرحلتان: الثالثة والرابعة فلا شك أن العلم والتوسع فيه شيء لابد منه •

وقد تجد انساناً تحقق في معانٍ مع قلة دراسة ، وقد تجد إنساناً لم يتحقق بمعانٍ على سعة دراسة والميزان دقيق ، ويبقى هضم برنامج المرحلة الدراسي مع التحقق بالمعاني هو الضمانة الوحيدة لعدم تقلب الآراء لقوله عليه السلام : « تكون فتن لا ينجو منها إلا من أحيا الله قلبه بالعلم » • ولقوله عليه السلام : « مثل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » ولقوله عليه السلام : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت » ولكن إذا فات كثير العلم فإن كثير العبادة والعمل والمذاكرة الدائمة قد تعوض •

ولا شيء كالحركة وإطلاق الطاقات يكوّن الشخصية الاسلامية ومن فاته أن يرى المسلم من خلال الحركة وإطلاق طاقاته كلها فإنه عاجز ولا شيء كربط المسلم بالقرآن والذكر والاجتماع بأهل الخير والصلاح •

ولكن كان الشيخ خالد الحضرة وهو من أعظم أولياء وعلماء بلاد الشام يقول لخلفائه وهم علماء أولياء: إنكم تخربون أكثر مما تعمرون• إن كثيرين ممن لا تشك بصلاحهم لجهلهم أو لقلة وعيهم يخربون أكثر مما يعمرون » •

★ ★ ★

إن عملية الانضاج في أي شيء تجعل الناضج في هذا الشيء مساعداً في نقل هذا النضج الى الآخرين ، وبقدر وجود الناضجين في

كل شيء يمكن إنضاج الأمة بشكل عام وهناك قضايا يحتاج النضج فيها الى أزمنة كالإيمان وهناك قضايا يحتاج النضج فيها الى جهد زائد فبقدر بذل الجهد يمكن النضج السريع إذا وجد الاستعداد ونحن نحرص على أن نوزع بعض الامور على جلسات متطاولة فنؤخذ شيئاً فشيئاً • فمثلا : إتقان تلاوة القرآن يحتاج الى مجموعة أمور :

١ ــ معرفة أمهات الاحكام مع التطبيق في التلاوة •

٢ ــ دراسة رسالة في علم التجويد لنعرف دقائق العلم مع التطبيق ، ثم بعد ذلك ختم القرآن مرة واحدة على الاقل مع التطبيق الدقيق للأحكام والتذكير الدائم فيها هذا كله من أجل أن ينضج الانسان في احسان تلاوة القرآن ولكن التفاعل مع القرآن وفهم آياته ونصوصه وإدراك علومه بحر لا نهاية له ، ونحن نختار أن تبدأ دعوة المسلم الى أن يعطي جزءاً من وقته لهذا القرآن وحبذا لو ذكر بالأحاديث الواردة في ذلك من مثل قوله عليه السلام : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » •

ولتبدأ الجلسة القرآنية بعرض نموذج أو نموذجين من إعجاز القرآن مما ذكرنا بعضاً منه في كتابنا « الرسول » ثم يبدأ أخذ دروس التلاوة لمريد قراءة القرآن ليحرص المربي على أن يركز على قضايا الايمان في كل جلسة بعد تبيان السنة النبوية في باب التربية بأن يسبق الإيمان القرآن •

ففي جلسة يذكر بأن الصلاة إيمان بدليل قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » إذ جاء هذا جواباً للسائلين عن صلاة من ماتوا

قبل أن تتحول القبلة ويركز بهذه المناسبة على الصلاة فرائضها ونوافلها وأذكارها ..

وفي جلسة يركز على الايمان الذوقي أخذاً من قوله عليه السلام : « ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا » ويركز خلال ذلك على دراسة سلسلة الأصول الثلاثة .

وفي جلسة يركز على حلاوة الايمان أخذاً من قوله عليه السلام : « ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن أحبّ عبداً لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داوود . ويركز خلال ذلك على محبة الله ورسوله بسلوك طريق المحبة من توبة وطهارة وغير ذلك . ويركز على سنة الاستغفار اليومية بعد الصلوات وبشكل مطلق وأن تكون محبته في الله ولله فلا يصادق إلا مسلماً وأن يكره الكفر وأهله . وفي جلسة يركز على قضية القلوب وأنواعها أخذاً من قوله عليه السلام : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح فأي الماءين غلبت على الأخرى غلبت عليه » ويركز على ضرورة الامداد الإيماني للقلب ويركز بشكل خاص على الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أنها ألحب طريق للخروج من الظلمة الى النور جمعاً بين قوله عليه السلام : « من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً » وبين قول الله جل

جلاله : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » في جلسة يركز على تجديد الايمان أخذاً من قوله عليه السلام : « جددوا إيمانكم قيل : كيف نجدد إيماننا يا رسول الله ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله » ويركز هنا على الدوام على لا إله الا الله عامة وعلى الالتزام بما ورد في الحديث الصحيح التالي خاصة : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يومٍ مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مئة حسنة ومحيت عنه مئة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومذاك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » للشيخين والموطأ والترمذي •

وفي جلسة يركز على الزكاة والإنفاق أخذاً من قوله عليه السلام : « والصدقة برهان » أي برهان على الايمان قال تعالى : « الذي يؤتي ماله يتزكى » فالإنفاق طريق الى تزكية النفس • وفي جلسة يركز على تلاوة القرآن كمذكر ومربٍّ على قضية الايمان أخذاً من قوله تعالى : « إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » ويركز خاصة على ورد يومي من القرآن أقله جزء أخذاً من قوله عليه السلام لابن عمرو بن العاص عن القرآن : « أُختمه في شهر » •

وفي جلسة يركز على ضرورة الالتزام اليومي بما مر كله لإبقاء حياة الايمان ومن أجل نموه كذلك فيستمر المسلم على ورد يومي : يؤدي فيه فروض الصلاة وشيئاً من نوافلها ويؤدي أذكارها ويؤدي فيه ورداً يومياً من الاستغفار والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله بما لا يقل عن مئة مرة ويتلو جزءاً من القرآن يومياً •

وفي جلسة يركز على ضرورة أذكار الاوقات والمناسبات وفي جلسة يركز عـلى تحرير الولاء الخالص لله عز وجل أخـذاً من قوله تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » • وكل ذلك مع الاستمرار في التلاوة • ثم يجمع مع التلاوة شيئاً من فقه الصلاة والزكاة ويبدأ لفت النظر الى بعض الكتب والدراسات كدراسة السيرة النبوية ودراسة بعض الرسائل في العقائد والأذكار وكل ذلك على حسب الاستعداد والإمكان •

★ ★ ★

وخلال ذلك يمكن أن تقام دورات يومية يمكن أن تستغرق يوماً أو ثلاثة أو أكثر للإسراع في أخذ بعض المعاني وخلال ذلك يمكن أن يطلب من الانسان أن يتفرغ بعض أيامه للإسراع في عملية تنوير القلب من خـلال الخلوات والاعتكافات فيطلب منه فيهـا أداء بعض سنن الذكر والفكر •

وبهذا كله وأمثاله يمكن أن ينضج الانسان من خلال سنة واحدة في برامج المرحلة الاولى وتطبيقاتها والسنة ضرورية لأنه تمر فيها كل مناسبة تحتاج الى علم وفقه فاذا كان المربي حكيماً ومحيطاً بما يلزم المرحلة من كتب ومناهج ومعانٍ فان المسلم ينضج في هذه المرحلة غاية في النضج ، كما أنه تكتشف خلال هذه السنة استعداداته وسلبياته ويعرف ما اذا كان أهلا ليتحمل أعباء مرحلة قادمة أو يبقى في إطار الدراسة وحدها حتى يأتي يوم يتم فيـه استعداده فيكون جاهـزاً ومجهزاً بكثير من أدوات المرحلة القادمة ونكتفي بهذا القدر هنا لأنه في رسالتنا « فقـه التكوين والعمـل » قد تحدثنا عن رحلة التكوين كاملة فلتراجع •

★ ★ ★

٨ ـ مما مرّ تدرك تصوراً عاماً عن قضية الصحة بدايتها وطريقها وشروطها ولوازمها وينبغي أن نقول كلمة عن علامة الصحة :

لقد رأينا من قبل الحديث الذي يذكر تداعي الأمم علينا وكيف أننا حينئذ نكون غثاء كغثاء السيل وأن عقوبة ذلك عند الله أن يقذف الله في قلوبنا الوهن وهو حب الدنيا وكراهية الموت ، وما ذكرناه إنما هو لإرجاع الوزن للسلم وعلامة الصحة أن يرفع الله عز وجل ما عاقبنا فيه فيعود إلينا حب الموت الزهد في الدنيا ، والأمر في غاية الحكمة جعل حسن البنا شعار إخوانه « الله غايتنا والرسول قدوتنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » وإنه ما لم يوجد الرجل الذي يحب الموت ويزيد في الدنيا فإن النموذج الصحي في أمتنا لم يوجد بعد ، وما لم يصبح المسلمون كلهم كذلك فإن المسلمين سيبقون غثاء كغثاء السيل .

٩ ـ وبمناسبة الكلام عن ميزان الصحة نحب أن نقول كلمة عن الصراع بيننا وبين الدولة اليهودية :

إن الله عز وجل قال عن اليهود : « أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون » ومن ثم فإن كل تصور عن سلامٍ دائم بين اليهود وبين هذه الامة خرافة كاذبة حتى لو رغبت هذه الأمة جدلاً في السلام ، ثم إن اليهود حتى لو هادنوا فإنهم يستعدون دائماً للوثوب والغدر ومن ثم فان صراعاً دائماً سيستمر ولن ينتهي إلا بانهاء الدولة اليهودية عن أرضنا وإن بداية إنهاء اليهود وهي البداية التي لا بداية غيرها هي وجود الجيل الذي يحب الموت لأن مثل هذا الجيل وحده هو الذي يمنع التوسع الإسرائيلي ثم يكون بداية إنهائه ، وما عدا ذلك فكله يأتي في الدرجة الثانية . إن اليهود لن يجعلهم

يعيدون حساباتهم ملايين المرات قبل أن يقدموا على عملية عسكرية إلا وجود مثل هذا الجيل .

١٠ ـ وفي عملية السير من المرض الى الصحة ستكون الآلام كثيرة وسيكون المخاض عسيراً ولكن جرت سنة الله عز وجل أن يجعل بعد عسرٍ يسراً ، وجرت سنته أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب قال تعالى : « من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » . « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » . وقال تعالى : « واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ونحن مبشرون بالنصر وعلينا أن نحسن السير ، وإذا كان وجود المجدد في الجيل هو بداية انطلاقة العمل الصحيح ، وإذا كانت طبقة الوراث في كل قطر هي البداية الصحيحة في العمل فإن شعبا ما لا بد أن يتحمل تضحيات المرحلة الاولى إن في إقامة دولة الله ثم في تحمل ما يلزم لذلك فليكن هذا موضوع الباب التالي :

★ ★ ★

الباب الخامس

دعوة الأنبياء ولواء شرف لمن يحمله

ـ« دعوة الأنبياء لواء شرف لمن يحمله »ـ

قال تعالى : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين» وقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم : « وإنه » أي هذا القرآن « لذكر لك ولقومك » أي لشرف « وسوف تسألون » عن هـذا الشرف وهذا القرآن ، كل ذلك يدل عـلى أن من نعم الله الكبرى على أمة أن ينزل عليها وحياً ويبعث منها رسولاً قال تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ومن هذه الآية الأخيرة نستشعر كم منّةٍ لله عز وجل على العرب أن بعث فيهم محمداً صلى الله عليه وسلم فلنتذكر هذه المعاني مجتمعة متأملين معها المعاني التالية :

★ ★ ★

قلنا من قبل إن الصيغة النهائية والخاتمة والشاملة والمكلفة بها الانسانية كلها هي الاسلام الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم والذي مصدراه الرئيسان هما الكتاب والسنة ، هذا الاسلام شرف الله بحمله العرب أول مرة ومن ثم قال عمر بن الخطاب : « نحن قوم أعزنا الله عز وجل بالاسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » وفي هذه الكلمة إدراك دقيق عميق من عمر رضي الله عنه

لارتباط مجد العرب بهذا الاسلام ومن ثم نلاحظ أن العرب منذ أنزل الله عز وجل عليهم الاسلام لا تجد موقف شرف لهم إلا وهو مربوط بهذا الدين ولاتجد موقف خزي أو ذلة لهم إلا بسبب بعدهم عن هذا الدين في الوقت الذي نلاحظ فيه أن ذلة العرب لا تعني ذلة الاسلام بل إننا نجد أن لواء الاسلام عندما تخلى عنه العرب رفعته شعوب أخرى فعزت به ومن ثم نجد أعلام عز ارتفعت للسلاجقة والبويهيين والمرابطين والعثمانيين وذلك مصداق قوله تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » وقد استبدل الله عز وجل بالعرب شعوباً أخرى نالت شرفاً عجيباً وأقرب مثال إلينا الدولة العثمانية التي كانت خلال خمسة قرون أعظم دولة في العالم بحملها هذا الدين ولو أننا تتبعنا بدايات انهيارها فإننا نراه متناسباً مع زيادة الانحراف عن أمر الله عز وجل ومع ذلك فانه بسقوط الخلافة العثمانية سقط السلطان السياسي للاسلام ولا يزال هذا السقوط مستمراً ومن ثم فإن لواء الاسلام وهو لواء الشرف الوحيد في هذا العالم ينتظر شعباً يحمله ليشرف به ويتصدر لهذا الحمل ويتحمل مسؤولياته ، فهل يثوب العرب الى رشدهم في هـذا الشأن أولا ؟ ويبـدو أننا بحاجة الى الكلام عن مجموعة قضايا في هذا المقام :

١ً ـ إن هذا الاسلام في كل العصور يُقيض الله عز وجل له من يحمله قال تعالى : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » وقال عليه السلام : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهـم حتى يأتي أمر الله » . وقال عليـه السلام : « يحمل هـذا الدين من كل خلف عدوله ينتقون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأليه الجاهلين » وإذ يحمل أحد هـذا الدين شعباً كان أو فرداً فإن لله المنّة عليه فلا منّ لأحد على الاسلام بل لله المن

على كل أحد حمل هذا الدين « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ».

٢ ـ إنه ما من أحد حمل هذا الدين حملا صحيحاً إلا كانت بركات ذلك عائدة عليه سواء كان ذلك فرداً أو أمة أو قبيلة أو أسرة فهؤلاء العرب كشعب عادت بركات حمل الاسلام عليهم بما لا يحصى ، فمن الناحية الاقتصادية انتصبت خزائن العالم في أرضهم ومن الناحية السياسية سادوا أكثر العالم القديم ومن الناحية المعنوية كانوا حملة رسالة نقلوا فيها الكثيرين من الظلمات الى النور ومن الناحية الحضارية استلموا مشعل المدنية العالمية فزادوه ضياء وأعطوه لشعوب العالم .

وإذا درست حال الجيل الاول الذي حمل الاسلام وقارنت بين ما كان وما يمكن أن يكون لولا الإسلام وبين ما كان وآل اليه أمره بعد الاسلام لرأيت عجباً . وإذا درست ما آل اليه أمر قبائل الصحراء الغربية جدالة وملطة ولمتونة بعد إذ حملت الاسلام حق الحمل فكان من آثار ذلك دولة المرابطين التي حكمت المغرب والاندلس سنين طويلة فإنك ترى بركات ذلك عليهم واضحة .

والأمثلة في التاريخ قديماً وحديثاً كثيرة جداً ولا عبرة بجزء مرحلة بل العبرة في مرحلة متكاملة ولسنا هنا في معرض التفصيل بل في معرض التقعيد والتذكير .

إن بركات حمل الاسلام على العز وطمأنينة قلب لا حدود لها وسعادة نفس لا مثيل لها وهذه وحدها لا يعدلها شيء . قال تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقال تعالى : « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى » إن بركات حمل الاسلام شيء

لا نهاية له على حامليه والأمور بخواتيمها ولا عبرة كما قلنا بجزء حياة ولابجزء مرحلة قال تعالى: « والعاقبة للتقوى » . « والعاقبة للمتقين».

٣ ـ عندما نقول حمل الاسلام فينبغي أن يعرف ماذا يراد بهذا الحمل ؟ إننا نريد بهذا الحمل الحمل الكامل الشامل الذي لا احتراس معه ولا احتراز ولا خلط له بغيره ولا نقصان منه ولا زيادة عليه .

أما الحمل المحترس أو المحترز أو الحمل المخلوط أو الحمل الناقص أو الحمل الزائد فكل ذلك لا يعتبر حملا ولا تترتب عليه آثاره التي وعد الله عز وجل بها حملة دينه .

فالحمل الناقص يدخلنا في قوله تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب » .

والزيادة في الاسلام غلو فيه ويدخلنا ذلك في قوله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً » .

والاحتراس أصلا لا يرشحنا لحمل دين الله فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبني شيبان لما احترسوا : « إن دين الله لا يقيمه إلا من حاطه من جميع جوانبه » إن شعباً ما أو دولة ما تحمل الاسلام حق الحمل يعطيها الله عز وجل من نصره وتأييده مالا يدخل في الحسبان . « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

٤ً ــ ولكن هل قضية حمل الاسلام هي من قضايا الخيارات بالنسبة للانسان أو الشعوب أو البشرية حتى ننظر اليها بمقدار ما تقدمه من فوائد أو ترتبه من مضار دنيوية ؟ إن حمل الاسلام هو نفع خالص في الميزان الشامل الــذي يشمل الدنيا والآخرة ومــع هذا فإن حمل الاسلام مفروض على الانسان والشعوب أولاً وأخــيراً • فالانسان مكلف بحمل هــذا الاسلام والشعوب مكلفــة بحمل هذا الاسلام والانسانية كلها مكلفة من الله عز وجل بحمل هذا الدين • « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » •

وقد رتب اللــه عز وجل عــلى رفض التكليف أموراً في الدنيا والآخرة ، وقد رتب الله عز وجل على الانحراف عن التكليف أموراً في الدنيا والآخرة ، فليس أمام أحــد خيار في القبول أو الرفض وليس أمــام شعوب العالم خيار وليس أمــام الانسانية خيار في موضوع حمل الاسلام •

٥ً ــ وفي كل زمان ومكان تبقى شبهات الكافرين وطروحهم واحدة وقد سجل القرآن كل طرح وكل شبهة ورد عليها ومن طروح الكافرين في زمن النبوة طرح يطرحه الكافرون حديثاً : « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » نفس منطق الكافرين حديثاً إذ يقولون : إننا إذا حملنا الاسلام تكالبت علينا أمم الأرض كلها قال تعالى رداً على أولئك : « ألم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيءٍ رزقاً من لدنّا ولكن أكثرهم لا يعلمون » لقد مكن الله لهم حرماً آمناً وهم كافرون • فكل شيء فِعلُه • أفيخافون على أنفسهم بعد أن يسلموا لله رب العالمين ، إنه الجهل بالله هو الذي يجعلهم يقولون ما يقولون وهي العلة نفسها التي تجعل هؤلاء يقولون ما يقولون •

٦ ــ وقد يكون مناسباً في هذا السياق ونحن نذكر الانسان كل إنسان بوجوب حمل الاسلام ، ونذكر الشعوب كل الشعوب بوجوب حمل الاسلام ، ونذكر الانسانية كلها بذلك أن نقول كلمة للعرب وعن العرب وأن نذكر بعض العرب الذين هم مظنة خير تشهد لذلك الآثار إلا أننا ونحن نتحدث هذا الحديث لا نحب أن يفهم فاهم أننا نتعصب لغير الاسلام أو أن كلامنا عن العرب أو تخصيصهم بالذكر أهمال لغيرهم أو انتقاص لدور شعوب العالم الاسلامي • إن الأمر ليس كذلك وإنما نخص العرب بالذكر والتذكير لأنهم الحملة الاولون لهذا الدين ولأن هذا الدين بلغتهم ومن ثم فهم مطالبون به ومكلفون بحمله تكليفاً أولياً قائمة الحجة عليهم فيه أكثر من غيرهم فتخصيصهم بالذكر من هذا الباب وهي خصوصية لا تنقص من قدر غيرهم بل لتحملهم مسؤولية خاصة ، وإذا اتضح هذا نقول :

١ ــ إن رقعة العالم العربي الممتدة هذا الامتداد الكبير في أفريقيا وآسيا ما كانت لتكون كذلك لولا الاسلام بل إن أجزاء من الارض العربية كانت ستصبح رومانية أو فارسية لغة وعادات وتقاليد لولا الاسلام •

٣ ــ إن كثيراً من الارض العربية كانت تابعة لدول أخرى والاسلام هو الذي غير ذلك الوضع •

٣ ــ إن الاسلام هو الذي جعل اللغة العربية لغة عالمية إذ أن كل مسلم في العالم ينظر الى هذه اللغة بتقديس ويحب أن يتعلمها •

٤ ــ إن الاسلام جعل العرب أصحاب رسالة لشعوب العالم مركزهم فيها مركز المعلم •

هذه بعض بركات الاسلام على الشعب العربي فبالله ما أكبر كفر الكافرين من العرب بهذا الدين وماأكثرهم وماأجرأهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه ، وإنها لجاهلية أعتى من الجاهلية الاولى .

٧ً ــ لقد اصطفى الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم من بين البشر واختار العرب من بين الشعوب واللغة العربية من بين اللغات وفي ذلك كله حكم كثيرة فالله عز وجل يقول : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ومن دراسة شاملة لفقه اللغة العربية ومقارنتها ببقية اللغات تجد لها خصائص لا تتوافر إلا في هذه اللغة ، وللعرب كشعب خصائصهم النفسية ، فالعربي يملك طاقة نفسية ضخمة هذه الطاقة النفسية تعبر عن ذاتها بفردية العربي وكرمه وشجاعته ووفائه ودفاعه عن كرامته واعتزازه بشرفه ورفضه الضيم وغير ذلك من معان لا نقول إنها غير موجودة عند الآخرين ولكنها ملحوظة بشكل واضح في النفسية العربية، هذه الطاقة النفسية الضخمة عند العربي إما أن تعبر عن ذاتها بشكل خاطىء وعندئذ تكون أداة تدمير ، وإما أن تعبر عن ذاتها بشكل صحيح فتكون أداة تعمير ، فهي تشبه السيل الضخم الكبير إن تُرك وشأنه دمر كل ما أمامه وإذا ضبط بالسدود وأحسنت الاستفادة منه كان أداة إحياء كبيرة ، وكذلك النفسية العربية ، إذا ضبطت وأطلقت في مسارها الصحيح ظهر على يدها من الآثار الكبير الكثير ، وإذا لم تضبط وتطلق في المسار الصحيح كانت أداة شقاء لنفسها ومن حولها .

٨ً ــ من شعر العرب قول عمرو بن كلثوم مفتخراً بنسبه وقومه :

بغاة ظالمين وما ظلمنا ولكنّا سنبدأ ظالمينا

ومن شعرهم قول :

نغير عـلى الذوائب من معد وضبة إنـه إن حـان حـانا
وأحياناً عـلى بكر أخينا إذا مالـم نجـد إلاّ أخـانا

ومن شعرهم قول :

أتيه عـلى جن البلاد وإنسها ولو لم أجد خلقاً لتهت على نفسي

من مثل هذه المعاني نجد الطاقة النفسية الضخمة عنـد العرب عنـدما تعبر عن نفسها تعبيراً خاطئاً • أدرس تتائـج مثل هذا التعبير الخاطىء عن النفس لترى كم يمكن أن يخلفه من تمزق وآلام ، وادرس بعد ذلك وضع النفسية العربية المسلمة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قيدها العدل وحكمها الحق وهذبها خوف الله ثم ادرس تتائج ذلك لترى هذه الطاقة النفسية الهائلة عند العرب عندما توجه في إطارها الصحيح كم يظهر نتيجة لذلك من آثار عظيمة إن في علاقات الانسان مع الله أو في معاملة الانسان للانسان سلماً أو حرباً داخلياً أو خارجياً •

٩ً ـ والاسلام بالنسبة لكل إنسان هو الضابط الوحيد الصحيح لنفسه وهو وحده الذي يطلقها في إطارها السليم • إن تجارب العالم تشير الى أنه يمكن أن تعتاد شعوب العالم على ضوابط معينة تجد فيها مصلحة دنيوية تلتزم بها وتأبى الخروج عليها ، أما العرب فلم يعرف إطلاقاً أن هناك ضابطاً ضبط أنفسهم ضبطاً محكماً إلا الاسلام ، خذ مثلا على ذلك قضية الطاعة والانضباط فقد استطاعت شعوب وجيوش أن تصل الى ذروة في الطاعة والنظام والانضباط بشكل عجيب ولكن العرب في تاريخهم كله لم يؤثر عنهم انضباط ولم تعرف عندهم طاعة أو نظـام على مستوى شامل ـ أي زائد عـلى مستوى القبيلة ـ إلا بإسلام كامل ، وهـذه تجربة العرب المعاصرة فقـد ظهـرت عشرات

الاتجاهات السياسية وعشرات المدارس التربوية وبذل الكثير من أجل إيجاد جيوش نظامية منضبطة وكان حصيلة ذلك كله انقلابات متوالية ومذابح بين أبناء الاتجاه الواحد ونزعات لا نهاية لها بين الاحزاب وكل حزب ينشق على نفسه مرة ومرة ومرة .

قارن هذا كله بالانضباط الكامل الذي انضبط به العرب المسلمون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في عهد أبي بكر أو في عهد عمر وقارن هذا بالطاعة والانضباط اللذين تجدهما في الحركات الصوفية الناضجة أو الحركات الدينية التي تقوم على فهم ناضج وتربية سليمة وقيادة حكيمة تجد دقة ما قلناه وصحته .

ومن ثم نقول : إن العرب لا قيام لهم أصلا إلا بالاسلام . فإذا حملوا الاسلام فان آثار ذلك على الاسلام وعلى أنفسهم وعلى المسلمين تكون كبيرة وستكون .

١٠ً ــ إن العالم العربي بحكم توسطه في قلب العالم الاسلامي فإنه يتحمل هذا العالم الاسلامي كله ، وسيلتف العالم الاسلامي كله حوله فيكون بمثابة أجنحة له .

٢ ــ إن كل شعوب العالم الاسلامي لن تجد مشقة في الإلتفاف حول الجسم العربي بسبب الشعور الفطري عند كل مسلم أن الشعب العربي هو القيادة الطبيعية للمسلمين .

٣ ــ إن تلاحماً بين الشعب العربي والشعوب الاسلامية سيغير موازين الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية في العالم لصالح كل الشعوب الاسلامية ولصالح علاقات أكثر عدلاً في العالم .

وهكذا نجد أن شيئاً جديداً وسريعاً سيحدث في العالم كله إذا حمل العرب الاسلام حق الحمل ، ومن ثم فنحن كمسلمين أولا وقبل

كل شيء تتمنى للعرب أن يعوا حقيقة وضعهم ويقوموا بدورهم قياماً بحق الله أولا وإنقاذاً لأنفسهم ثانياً وإنعاشاً للشرف الذي شرفهم الله عز وجل به ، ونرى أن جهداً إسلامياً كبيراً ينبغي أن يبذل على الارض العربية من أجل نقل العرب من حال الجفاء مع الاسلام الى حالة العشق الحار الجريء معه .

١١ً ــ وإذ بينا دواعي الكلام عن العرب وللعرب في موضوع حمل رسالة الاسلام فقد يكون مناسباً أن نخصّ بالذكر أقطاراً أو أقواماً من العرب وغيرهم ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكراً خاصاً فلعل ذلك يكون فيه زيادة بعثٍ لهؤلاء على العمل والحمل :

ــ أولاً : الشام :

أ ــ في الحديث الصحيح : « إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم » فهذا الحديث يدل على أن مقياس الخيرية في هذه الأمة الشام فبمقدار الخير في الشام يكون الخير في هذه الأمة فإذا فسد أهل الشام فتلك علامة فسادٍ عامة في هــذه الأمة كلها ، والشام يدخــل فيها سورية والاردن وفلسطين ولبنان ، ومن رأى الفساد في هذه البلاد عرف حال هذه الأمة ، ومن ثم فان جهاداً في هذه المنطقة ليس كجهاد في غيرها إذ تعميق الخير في هــذه الارض تنعكس آثاره على مجموع الامــة الاسلامية .

ب ــ في إحدى الروايات الصحيحة للحديث : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم الى قيام الساعة » رواية صحيحة تقول : « وهم في الشام » وفي تلك بشارة لاستمرار الدعوة الاسلامية الصافية في الشام الى قيام الساعة وفي ذلك بعث لكل مسلم في أرض الشام أن يكون من هذه الطائفة .

جـ ــ في قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثهـا عبادي الصالحون • إن في هـذا لبلاغاً لقوم عابدين » يقول النسفي : إن المراد بالأرض هنا الشام ، ونحن نـرى أن النص عام لكن يشهد للنسفي أن الزبور كان فيه خطاب لبني إسرائيل ومترهم ومحل عملهم وسكناهم الشام أو بعضها وعلى كل ففي الآيتين بعث على العبادة والإيمان والعمل الصالح وبشارة الأهل ذلك بالنصر •

د ــ في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام ينزل قبل قيام الساعة في المنارة البيضاء شرقي دمشق إشارة وبشارة بأن دمشق عاصمة للإسلام الى قيام الساعة لأن الرسل عليهم السلام يكون مركزهم في العواصم •

من كل ما مر نـدرك الدور المرشحـة له الشام وندرك أهمية تكريس الجهود للشام وندرك كم الآمال معقودة على الشام أقول هذا مع أنني أقول :

إن أثقل وضع على الاطلاق في العالم الاسلامي هو وضع الشام وأعقد وضع على الاطلاق هو وضع الشام وإن وضع الشام الآن يحتاج الى كلمة الحكماء وجرأة الابطال ليمكن اقتحامه ، وأظن أن اقتحام هذا الوضع يحتاج الى مجموعة أمور كلها صعب وضروري ليمكن تجاوز هذا الوضع الصعب والمعقد •

وقد روى الإمام أحمد حديثاً صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل تحت رأسي فظننت أنـه مذهوب به فأتبعتـه بصري فعُمِد به الى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام » • وفي الحديث الآخر « معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق » وفي الحديث الصحيح : « كنا يوماً عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع فقال : « طوبى للشام •

فقلت : لمَ ذاك يا رسول الله ؟ قال : لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليه» • وفي الحديث الحسن : « سيصير الأمر الى أن تكونوا أجناداً مجندة ، جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق • فقلت : خِر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك فقال عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده،فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم فاسقوا من غُدُركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله » وقد توكل الله عز وجل به • أموره كلها الى خير •

٢ً ــ اليمن :

أ ــ في الحديث الذي رواه الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدّة وألين قلوباً • الإيمان يمان والحكمة يمانية ، ورأس الكفر نبل المشرق ، والفخر والخيلاء في أصحاب الابل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم » وفي رواية : والفقه يمان •

ب ــ في الحديث للشيخين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان هاهنا ، وأشار بيده الى اليمن والقسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر » •

جـ ــ وروى الطبراني في الاوسط بإسناد حسن عن جابر قال : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : « فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه » قال : هؤلاء قوم من اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب » • من هذه الأحاديث الثلاثة ندرك محل اليمن في قضية الاسلام وندرك محلهم في إنهاء الردة ودورهم فيها ومما يبشر بخير أن اليمن لا تزال جوانب الخير فيها قائمة ، من ذلك أن

شعبها وحـده من بين شعوب الامـة الاسلامية ما يزال حتى كتـابة هذه السطور يحتفظ بسلاحه فتربيته إذن أفضل من تربية النعاج التي يرغب حكام العالم الاسلامي أن يربوا عليهـا شعوبهـم ، إن وجود السلاح في أيدي الشعوب هو الطريقة الوحيدة ليجعل الحكام يفكرون كثيراً وهم يتآمرون على عقيدة هذه الأمة وشرفهـا ودينها ورسالتها وتاريخها وتراثها ، ثم إن اليمن بعيدة نوعاً ما عن مركز الضغوط العالمية الأكبر وهو الشام ومصر وهذا يعطيها فرصة ما لتبني وتربي .

٣ ـ عُمان :

روى الإمام مسلم عن أبي ذر : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً الى حيٍّ من أحياء العرب فسبوه وضربوه ، فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال صلى الله عليه وسلم : لو أن أهل عُمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك » . وروى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني لأعلم أرضاً يقال لها عُمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر » .

وإن الإيجابيات في عُمان ما زالت كثيرة وإنها لمظنة خير حتى الآن وكما كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ ـ الحجاز :

روى الترمذي بإسناد حسن عن عمرو بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل . إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد

الناس من بعدي من سنتي » • وروى الإمام مسلم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الاسلام بـدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » من هذين الحديثين ندرك محل الحجاز ومحل مكة والمدينة وما بينهما في بقاء الاسلام واستمراريته وإعادة تجديده بعد غربته •

٥ ـ المغرب :

روى الإمام مسلم عن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » وفي هذا بشارة عظيمة للأمة الاسلامية بأهل المغرب وبشارة لأهل المغرب ، وإننا لنرجو أن تتجدد همم أهل المغرب عامة لتجديد الاسلام وإحيائه •

١٢ ـ وكما ذكرت أقطار وأهلها ذكرت قبائل بعينها :

أ ـ قريش وآل البيت •

ب ـ الأنصار •

جـ ـ جهينة ومزينة وأسلم وغفار •

د ـ الاسد والأشعريون •

هـ ـ بنو تميم •

و ـ قيس •

ز ـ عنزة •

فلنر بعض هذه الاحاديث في اختصار :

أ ـ روى الشيخان والترمذي : « قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله » •

ب ــ أخرج الترمذي بإسناد حسن غريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

جـ ــ روى الترمذي عن أبي عامر الأشعري مرفوعاً قال : « نعم الحي الاسد والأشعريون لا يفرون في القتال ولا يغلون ، هم مني وأنا منهم ، قال عامرٌ ابنه فحدثت به معاوية فقال : ليس كذا قال صلى الله عليه وسلم قال : هم مني وإلي ، فقلت : ليس كذا حدثني أبي ، ولكنه حدثني قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هم مني وأنا منهم ، قال : فأنت أعلم بحديث أبيك » .

د ــ روى الشيخان عن أبي هريرة : « لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم يقولها فيهم ، سمعته يقول : هم أشد أمتي على الدجال ، وجاءت صدقاتهم فقال صلى الله عليه وسلم : هذه صدقات قومنا ، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال صلى الله عليه وسلم أعتقيها فإنها من ولد اسماعيل » وعنه أيضاً قال : « إن رجلاً من قيس جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : العن حمير ، فأعرض عنه ، فأعاد عليه فقال : « رحم الله حمير أفواههم سلام ، وأيديهم طعام ، وهم أهل أمن وإيمان » . وروى البزار بلين عن أبي هريرة مرفوعاً « وذكر بني تميم فقال : ضخام الهام ثبت الاقدام نصار الحق في آخر الزمان أشد قوماً على الدجال » .

هـ ــ روى الترمذي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأزد أزد الله في الارض يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم وليأتين على الناس زمان يقول الرجل فيه : يا ليت أبي كان

أزدياً ويا ليت أمي كانت أزدية » • وروى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً قال : نعم القوم الأزد • طيبة أفواههم ، برة أيمانهم ، تقية قلوبهم » •

و ــ روى رجال الصحيح عن طارق بن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم : قدم وفد بجيلة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اكتبوا البجليين وابدأوا بالأحمسيين » وفي رواية : « قدم وفد أحمس ووفد قيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابدأوا بالأحمسيين قبل القيسيين ثم دعا لأحمس : اللهم بارك في أحمس وخيلها ورجالها سبع مرات » لأحمد والكبير •

روي في الكبير والاوسط عن غالب بن أبجر قال : « ذكرت قيس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : رحم الله قيساً ، قيل يا رسول الله : ترحم على قيس ؟ قال نعم • إنه كان على دين أبينا ابراهيم خليل الله • يا قيس حيّ يمناً ، يا يمن حيّ قيساً • إن قيساً فرسان الله في الأرض ، والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس ، إنما قيس بيضة ففلقت عنا أهل البيت ، إن قيساً ضراء الله يعني أسد الله » •

ز ــ روى الموصلي والبزار والاوسط وأحمد عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر عنزة ذات يوم فقال أصحابه يا رسول الله وما عنزة ؟ فأشار بيده نحو المشرق ، فقال حيٌّ من ها هنا مبغي عليهم منصورون » •

١٣ ــ ولئن ذكرنا ما ذكرنا ونقلنا ما نقلنا إننا لا نريد الاستقصاء فالعرب كلهم مظنة حمل لهذا الدين وشعوب الامة الاسلامية تعطي العرب إذا حملوا هذا الدين محبة ومودة وقيادة طوعية ، ففي الحديث الذي رواه الترمذي وقال عنه : حديث حسن غريب قوله عليه السلام لسلمان الفارسي : لا تبغضني فتفارق دينك ، قلت يا رسول الله :

كيف أبغضك وبك هداني الله قال : تبغض العرب فتبغضني » هذا للعرب الذين حملوا الاسلام أو يحملونه أما العرب الـذين يبغضون رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه ورسالته فهؤلاء شأنهم شأن كل كافر ليس له إلا ما للكافرين ولقد رأينا أن شرف حمل الاسلام مرشحة له كل الشعوب إذا أدت ثمن ذلك ورأينا أن كل الشعوب مكلفة بحمل هذا الدين والمسلمين كلهم بخير والى خير هذه الامة الاسلامية كلها مظنة خير ، وفي الحديث الذي رواه الترمذي وغـيره بأسانيد قوى بعضها بعضاً « مثل أمتي كالمطر لا يدري آخره خير أو أوله » .

١٤ ـ ولئن مرت ظروف صعبة على هذه الامة إن أمامها آفاقاً واسعة كبيرة فهذه الأمة مبشرة من رسولها صلى الله عليه وسلم بقيام دولتها العالمية وغلبتها على العالم كله وفي كتابنا «جند الله ثقافة وأخلاقاً» كلام في ذلك فليراجع ، فعلينا أن نبدأ وأن نحسن البدء والعمل تربية وتنظيماً وتخطيطاً وتنفيـذاً والله معنا وقد أعدّ لنا جنة عرضها السموات والارض فلنبع لله أنفسنا وأموالنا ولنصدق البيع والثمن الجنة والجنة غالية والطريق اليها صعب « ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة » ولا شك أن أعداء الله ورسله كثيرون ولا شك أن الواقـع المريض ثقيل ولكن إذا أحسنا السير في الطريق الصحيح الى الصحة فإن النتيجة ستكون طيبة باذن الله .

★ ★ ★

الباب السادس

خاتمة

وأخيراً يا إخوتي :

يناقشكم أعداء الانبياء في أمور كثيرة ويطالبونكم بأمور كثيرة وتخجلون أحياناً فلا تقولون كل ما ينبغي أن تقولوه . يسألكم أعداء الانبياء مثلا عن الحرية السياسية في دولتكم وهل ستعطونهم حرية سياسية ؟ هل ستعطون غيركم حرية سياسية ؟. وطبعاً بإمكانكم أن تسألوا عن ماهية الحرية السياسية التي يريدونها وبامكانكم أن تجيبوا عن حكم الاسلام بتجرد ولكن بامكانكم كذلك أن تسألوا كل العالم هل أعطاكم حرية سياسية ؟ فلو وجهتم هذا السؤال الى أمريكا لكان الجواب :لا بل خططت لسلبنا حياتنا فضلا عن حرياتنا ، ولو وجهتم السؤال الى الاتحاد السوفياتي وكل الاحزاب الشيوعية في العالم لكان الجواب : لا بل قدم الاتحاد السوفياتي والشيوعيون في العالم لأمثالنا السحق والقتل وكتمان الأنفاس بدلاً من أن يعطينا حرية سياسية وسلوا الاحزاب القومية على اختلاف اتجاهاتها هل أعطتنا حرية سياسية وسلوا الاحزاب التي تدعي الديمقراطية كيف تعاملت معنا ؟ فإذا كان هذا موقف الجميع منا قبل السلطة ألا فليعلم الجميع أن أحداً لايستطيع أن يطالبنا إلا بمبادئنا ، ومبادؤنا عادلة رحيمة لأنها حكم الله ، فمن سألكم عن هذه القضية أو غيرها فقولوا له : نحن سنطبق شريعة الله

وشريعة الله هي الحق الخالص والعدل الخالص فإذا أعطتكم حرية شيء قد كلفنا وشرفنا بتكليفه ولن نتردد في تنفيذ أوامره غير أنكم جميعاً تستطيعون أن تحاكمونا الى مبادئنا وتطالبونا بها وستجدوننا ملتزمين بها خاضعين لأحكامها سينصفكم قضاؤنا حتى لو كان الظالم أميرنا وخليفتنا .

لن نعاملكم بمثل ما عاملتمونا به مع أن ذلك من حقنا ولكن لا يحق لكم أن تطالبونا بسوى شريعتنا أما أن تحرمونا حق الحياة ثم تطالبونا بأن نعطيكم فرصة أخرى لتذبحونا ولتفسدوا في أرض الله من جديد فهذا ما لن نفعله . إن لغة واحدة فقط من بين كل لغات العالم تستطيعون أن تطالبونا بها هي عندما تقولون : طبقوا فينا حكم الله ، وتستطيعون أن تناقشونا تماماً في كوننا نطبق فيكم حكم الله حقاً وصدقاً أولا ، إنكم تستطيعون أن تطالبونا بكل التزام التزمناه لكم وستجدون كل قضاتنا يحكمون لكم إذا أخللنا بالتزام ، أما إذا لم نلتزم لكم بشيء فلا تطالبونا إلا بمنطق شريعتنا .

إنكم سلبتمونا كل شيء وأفسدتم كل شيء وصورتم لأنفسكم صوراً من الافكار والمبادىء والموازين فعبدتموها من دون الله ، ولكنكم لن تستطيعوا أن تحملونا على عبادتها أو الخضوع لها ، وإنكم مخطئون إذ تصورتم أننا سنتعبد لها أو نأبه لنباحكم اياها أو فيها .

ثقوا إن أمرنا الله أن نسترقكم فسنسترقكم وذلك هو العدل ، وإن سمح لنا أن لا نسترقكم فلن نسترقكم لأننا لن نعاملكم بالقول الاشد بل بالقول الأخف من شريعتنا لأننا لن تتعامل بمنطق الحقد . ولو أننا تعاملنا بمنطق الحقد فعاملناكم بمثل ما عاملتمونا به فإن شيئاً لا يكون كبيراً في حقكم لأنكم تجاوزتم كل حد في تطبيق الحقد .

يا إخوتي : لا تأبهوا لنبـاح الكلاب ولا لزئـير الأسود ولا لخداع الثعالب ولا لشيء ما مما في هذا العالم • شيء واحد فقط : كلمة الله : فهماً والتزاماً هذا هو واجبكم على ضوئها ناقشوا ، ومن طالبكم بغيرها من أصنام الهوى فأفهموه أن أجيالا من المسلمين قد خدعت مرة ولن تخدع هذه الاجيال مرة ثانية : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » •

★ ★ ★

لقد خدع المسلمون كثيراً وغرر بهم كثيراً حتى نسوا البديهيات وتعاملوا مع غيرهم ببلاهة قاسية حتى ذاقوا ما ذاقوا ورأوا حصيلة ذلك ضياعاً للعباد والبلاد وضياعاً للكرامة والشرف ، واستعلاء عليهم في كل شيء وإذلالا في كل شيء وقتلا لأبنائهم ونسائهم واستئثاراً وأثرة في المؤسسات والوظائف والارض والمال وكل ذلك تحت شعارات خائبة أنستهم الحق والحقائق فتخلوا عن المستقبل ، ولقـد استطاع الكافرون أن يدحرجوهـم ويسخروهـم ويشتروهم ويستعبدوهـم ويحكموا من خلالهم وكان حصيلة ذلك جيلاً ضائعاً مستعبداً لا قيمة عنده للوقت ولا اعتزاز عنده بتاريخ صحيح ولا معرفة عنده بلغة ، قديراً على الاستعراض مستغرقاً في اللعب والشهوة فإلى متى ؟ والى أين ؟

لم يعد شيء" يشرف في تاريخنا الا ثـورة الزط والزنج ودعوة القرامطة وحركة الشطارين والعيارين وما عدا ذلك فكله خزي وذلة ! أن تكون دمشق عاصمة العالم في زمن الأمويين خزي وذلة ! وأن تكون بغداد عاصمة العالم في زمن العباسيين خزي وذلة، وأن تكون إسلامبول عاصمة العالم في زمن العثمانيين خزي وذلـة ، وحملنا لواء الحضارة والمدنية قروناً طويلة خزي وذلة • والشيء الوحيد المشرف في تاريخنا هو المخزي حقاً ، فإلى متى يستمر هذا الهذر ؟

ولغتنا الحبيبة لغة القرآن ولغة الشعر الموزون المقفى ولغة التعبير العظيمة عن أدق خلجات النفس ، هذه اللغة لم يعد فيها شيء أدبنا تافه ، ونحونا بشع ، وشعرنا سخيف ، وإملاؤنا غير عملي ، وصرفنا يحتاج الى تبديل ولساننا أعوج وغيرنا أي كل شعوب العالم تملك لساناً مستقيماً وإملاء صحيحاً وشعراً عذباً ونحواً سهلا وأدبا عظيماً ، لقد استطاع اليهود إحياء لغتهم الميتة الى أن نالوا بها جائزة نوبل للآداب •• ونحن نستجيب لكل دعوة مريبة مشبوهة تهدف الى القضاء على لغتنا وأدبنا وشعرنا وطرائفنا الراقية في التعبير فإلى متى يستمر هذا العبث وهل سنسمح له أن يتكرر ؟

إن وعيك وفهمك وحدهما بهما ينقطع هذا الهذر وينقطع هذا الهراء •

لقد جعلونا منخفضاً للهواء الفاسد ومستنقعاً لكل قاذورات العالم وما ندري بعد ذلك ماذا سنعطي للعالم ونحن الآخذون لكل هذا الشر والعاجزون عن عطاء أي شيء فالى متى يستمر هذا الهذر وهذا الهراء ومتى نعود لنقدم رسالتنا الاسلام الى العالم فنصبح عطاء خالصاً يحتاج اليه والينا الانسان كل إنسان •

لقد دمروا كل شيء في أمتنا تحت وطأة شعارات التقدمية وغيرها من شعارات تخدع ولا تغني ، فإلى متى يبقى هذا الخداع ويستمر والى متى نفر من الحق والحقيقة والى متى يخيفنا رفع علم الجهاد مع أن الله عز وجل وصف حزبه بقوله : « يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » •

إن علينا أن نرفع لواء الجهاد لتحرير الانسان الذي لا أحد سوانا مؤتمن عليه وعلى انسانيته وحتى على أديانه التي تخالف ديننا ، إن علينا أن نرفع لواء الجهاد لتحرير أنفسنا وتحرير غيرنا من الظلم

والعسف لأنه قد ثبت بالتجربة والرؤية البصيرة أن غيرنا لا يؤتمن على أرض ولا على عرض ولا على شعب ولا على قيم ولا على خلق ولا مال ، ولا حتى عـلى حاضر أو مستقبل ، ناهيك عن أن الماضي يشوهونـه ويمسخونه ويحرفونه •

إن علينا أن نتقدم ولا نلتفت الى الوراء إلا بالوصول الى السلطان السياسي للاسلام والمسلمين على أرضنا وعلى كل أرض • والرأي العام الظالم والضجيج العالمي والهراء المتصاعد من كل قلب منتن ومن كل لسان قذر ، كل ذلك علينا أن لا نلتفت اليه •

والذين يرغبون أن يعطونا دروساً في الوطنية والقومية والانسانية وغير ذلك من الدروس عليهم أن يخرسوا وأن يسمعوا صوتنا فقط لأننا وحدنا الذين نملك أن نعطي للعالمين دروس الحق في كل شيء •

والذين تمسكنوا كثيراً حتى تمكنوا ثم أصبحوا يتلذذون بذلتنا وتعذيبنا علينا أن نرحم ذرياتنا وحفدتنا من أن يقعـوا تحت أسرهم مرة ثانية •

إن العالم لا يعرف حقاً إلا لمن يملك القوة ، ونحن وحدنا الذين إذا ملكنا القوة فسنبقى محكومين للحق ونحكم بالحق ، فمن أجـل تحرير الانسان من كل عبودية لغير الله عز وجل ، ومن أجل أن يسود الحق على أنفسنا وعلى العالم علينا أن نملك القوة القادرة الواعية التي تعرف متى تضرب وتعرف كذلك متى ومن ترحم •

إننا جند الله ونحن حزبه وعلينا أن ننفذ أوامر اللـه عز وجل متحررين من كل عقدة ومن كل خوف ومن كل وجل ، إن طاعتنا لله رب العالمين هي شرفنا الـذي لا يستطيع أن ينال منه أحـد لأن كل

الكافرين في العالم أخس من أن يكون لهم ذرة شرف فضلا عن أن يعطوا أمثالنا لقب شرف .

إن علينا أن نعمل بجرأة وحكمة معطين التربية حقها والعلم حقه والتكوين حقه والتنفيذ حقه كذلك .

والله الموفق

والحمد لله رب العالمين .

* * *

النادي الشبابي

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الباب الأول :	
البديهيات الأولى	١١
الباب الثاني :	
تراث الانبياء	٤٥
اعداء الانبياء والقاءاتهم	٧٧
الفصل الأول	٨٣
الفصل الثاني	١١٣
الباب الثالث :	
الصراع أبدي ٌ ولكن أمة الله مريضة	١١٧
الباب الرابع :	
الطريق الى الصحة والنصر باذن الله	١٥٣
الباب الخامس :	
دعوة الانبياء لواء شرف لمن يحمله	١٨٣
الباب السادس :	
الخاتمة	٢٠٥
الفهرس	٢١١

النادي الشبابي

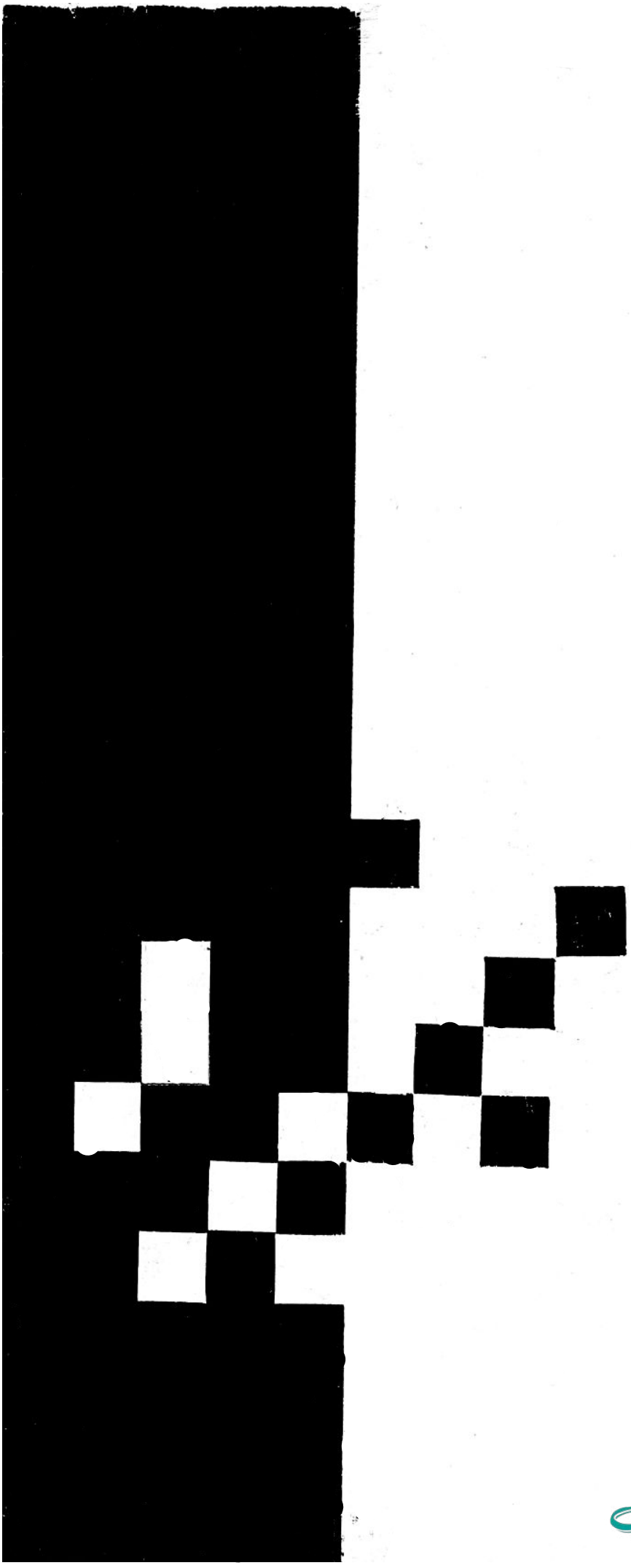

النادي الشبابي